

2018م | سلسلة الاختراق الثقافي (6)

أزمة الشباب المسلم في عصر العولمة

إعداد: حيدر محمد الكعبي

المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية
يعنى بالاستراتيجية الدينية والمعرفية / النجف الاشرف
www.iicss.iq / islamic.css@gmail.com



سلسلة الاختراق الثقافي (٦)

أزمة الشباب المسلم
في عصر العولمة

إعداد

حيدر محمد الكعبي

التصميم والإخراج الفني

علي صاحب البرقعاوي

المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية

يعنى بالاستراتيجية الدينية والمعرفية

النجف الأشرف ٢٠١٨

باسمه تعالى

مقدمة المركز:

(الاختراق الثقافي) عنوان سلسلة اصدارات جديدة ينشرها المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية لرصد اهم المؤسسات والأشخاص والمشاريع والأعمال التي تصب في تغريب الامة الاسلامية وسلب هويتها الدينية اما مباشرة أو تحت غطاء الدعايات البراقة والخادعة أمثال: الفن والأدب والتقدم و التسامح والحضارة والمدنية وغيرها من الدعايات والأساليب الماكرة التي تهدم كيان الأمة بشكل ناعم وبطيء وتستبدل هويتها وثقافتها بهويات وثقافات دخيلة.

تهدف هذه السلسلة الى إعلام أصحاب القرار الديني والسياسي بما يجري في الساحة الثقافية من خروقات خطيرة تهدد كيان الفرد والمجتمع أخلاقياً وثقافياً وسياسياً، وتوقعه في الضلال والتيه فيصبح منكوساً، مّما يسهل عملية التغريب والسيطرة عليه. كما انّ هذه السلسلة تحاول أن توقظ ضمير أصحاب القرار والنخبة الفكرية والدينية للقيام بدراسة هذه الظواهر ومحاولة معالجة الموقف من خلال كتب ودراسات ومحاضرات وندوات وغيرها من الأساليب والمشاريع الثقافية والمعرفية البديلة قبل فوات الأوان.

وهذا البحث الذي جاء بعنوان (أزمة الشباب المسلم في عصر العولمة) يقع في صميم الابحاث المتعلقة بالاختراق الثقافي، إذ يسلط الضوء على أبرز الازمات التي يعيشها شبابنا في ظل تأثيرات العولمة، لذا يكتسب هذا البحث أهمية من ناحيتين:

الأولى: التعريف بالعولمة وأساليبها وأهدافها الجوهرية، ولا تخفى أهمية البحث في هذه الناحية بأعتبار أن العولمة تمثل رأس الحربة في الغزو الثقافي المعاصر لشعوب العالم؛ والشعوب الاسلامية بشكل خاص.

الثانية: تناول أبرز الأزمات التي يمر بها الشباب المسلم وطرحها على طاولة البحث والنقاش، ولا تخفى أهمية البحث في هذه الناحية أيضا باعتبار أهمية شريحة الشباب التي تمثل العنصر الفاعل في حركة وتطور أي مجتمع من المجتمعات الانسانية.

ونحن إذ نقدّم هذا العمل الى النخبة، نروم استنهاض همم اقلامنا المستنيرة في الحوزة والجامعة للقيام بتظهير اللئالئ المختبية في تراثنا الاسلامي وتقديمه للجيل الجديد بحلّة قشيبة.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الرسول الامين وآله الميامين.

الفهرس

تمهيد...4

الفصل الاول: الشباب والظواهر الاجتماعية

اولا: الشباب والانتحار 21

ثانيا: الشباب والهجرة الطوعية 34

ثالثا: الشباب والطلاق 42

رابعا: الشباب والتحرش الجنسي 56

خامسا: الشباب والمخدرات... 69

سادسا: الشباب والموضة 92

خاتمة 114

الفصل الثاني: الشباب والترفيه

اولا: الشباب والانترنت 120

ثانيا: الشباب والدراما 147

ثالثا: الشباب والادب الروائي 154

رابعا: الشباب والعاب الفيديو......................................160

خامسا: الشباب والرياضة 169

سادسا: الشباب والاحتفالات العامة 180

الفصل الثالث: الشباب والدين

اولا: الشباب والتطرف الديني.......................................188

ثانيا: الشباب والالحاد 196

ثالثا: الشباب والشعائر الدينية 205

رابعا: الشباب والمؤسسة الدينية 209

خاتمة...213

تمهيد:

يمكن تعريف العولمة (Globalization) باختصار أنها: ظاهرة نشر ثقافة الاستهلاك[١] بين شعوب العالم بهدف دعم اسواق الدول الرأسمالية الكبرى، وتظهر انعكاسات تلك الثقافة على نمط حياة المجتمعات البشرية على اختلاف مشاربها وتوجهاتها.

ومن المعروف بين اوساط الباحثين أن ظاهرة العولمة انطلقت أساساً من الولايات المتحدة الامريكية بعد هيمنتها على الاقتصاد العالمي والسياسة الدولية، فبعد انهيار منافسها الاتحاد السوفيتي في العام ١٩٩٠ اهتمت امريكا بالعمل على مشروع القطب العالمي، إذ رأت لنفسها حق نشر أيدولوجيتها الرأسمالية بين شعوب العالم.

من هذا المنطلق (يؤكد عدد من الباحثين أهمية فهم العولمة على انها (امركة[٢] Americanisat) العالم لاختفاء الحدود الفاصلة بين المفهومين، فهما متوافقان وتعنيان الشيء نفسه، والعولمة هي الاسم الحركي للأمركة)[٣].

يقول (ويليام جرايدر)[٤]: (صدّرت امريكا نظامها المزدهر وديناميكية تاريخها الخاص

(١) الاستهلاك: هو النفقات على السلع والخدمات المستخدمة في تلبية احتياجات ورغبات خلال فترة معينة (عن موقع DailyForex) والجذر اللغوي للاستهلاك هو الاهلاك، فيقال: استهلك المال: أي أهلكه (عن: معجم الرائد) ومن هنا شاع بين المفكرين وكتّاب الرأي مفهوم الاستهلاك بمعنى انفاق المال على السلع والخدمات غير الضرورية، وهذا المعنى الشائع يرادفه مفهوم (الاسراف) في التعبير الاسلامي، قال تعالى: (يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِد وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (الاعراف-٣١)، وقد آثرنا في هذا البحث التعبير عن هذا المعنى الشائع بمصطلح (ثقافة الاستهلاك).

(٢) الامركة: مجموعة من القيم والافكار تروجها اوساط الفكر السياسي الامريكي بقصد سيادة هذا النهج سواء في داخل امريكا او خارجها سياسيا وعسكريا والتحكم في اقتصادات العالم وتخصص لهذا الترويج اعتمادات ضخمة باستخدام اعلامها المهيمن، في مقدمة هذه القيم والافكار: حقوق الانسان والديمقراطية الفردية وتحويل القطاع العام الى الخاص والجانب السطحي والتافه واللانساني في ثقافتها الشعبية على شعوب العالم اجمع وتهميش ثقافتها القومية التاريخية، ومحاولة الادارة الامريكية ان تكون مركز الرأسمالية وقمة النظام الدولي الجديد (عن كتاب –آليات العولمة الاقتصادية وآثارها المستقبلية في الاقتصاد العربي- هيفاء عبد الرحمن التكريتي -هامش ص٤١).

(٣) ينظر: كتاب (آليات العولمة الاقتصادية وآثارها المستقبلية في الاقتصاد العربي)- هيفاء عبد الرحمن التكريتي- ص٤١.

(٤) ويليم جرايدر: مؤلف وكاتب مقالات امريكي، أشهر مؤلفاته (عالم واحد.. مستعدون أم لا).



ملصق يبين هيمنة الشركات التجارية الذي يمثل جوهر العولمة

كنموذج للآخرين، لقد بشرت بعقيدة كيفية جعل الغير فقيراً يحصل على المساعدة، ويستثمر في اللاعبين الجدد الذين يتبعون القواعد، وفي بعض الاحيان يعاقبون البعض لانحرافهم عن النص، ولا يحتاج المرء للتجول في تلك الاماكن البعيدة ليرى ان الازمة العالمية للاستهلاك هي حقاً أولا وفي المقام الأول أمريكية)[1].

ويعد الاعلام الحديث العابر للقارات من أهم وسائل نشر ثقافة الاستهلاك بين الشعوب غير الامريكية، إذ يلعب صنّاع الاعلام «المُعولِم» على استراتيجية ذكية أساسها التضليل بأن الاعلام محايد وأن هدفه الأساس خدمة الناس من خلال تسليط الضوء على مشاكلهم، والحقيقة أن غاية الاعلام الأساسية التي غالباً ما تُخفى عن الناس هي: تدجينهم لمصلحة النظام الاستهلاكي وجعلهم طيّعين للشركات المُنتجة للسلع، وبعبارة اخرى تدريبهم على أن يكونوا مُستهلكين جيّدين.

(١) (ثقافة الاستهلاك.. الاستهلاك والحضارة والسعي وراء السعادة) - روجر روزنبلات - ص ٤١

فوسائل الاعلام – المرئية بشكل خاص- هي الوسيلة الاساسية لإقناع شعوب العالم بأن سعادة الافراد تكمن في مقدار ما يستطيعون شراءه من اشياء، وان قيمة الانسان تساوي ما يستطيع انفاقه على المأكل والمشرب والملبس وما يركبه وما يسكنه، وكل ذلك يجب أن يتم على النمط الغربي -الامريكي تحديدا- وغالباً ما يتم الترويج لهذا النمط من خلال صناعة نماذج بشرية تتظاهر بالمثالية والسعادة القصوى، مثل المغنين والممثلين والرياضيين ومقدمي البرامج الذين يظهرون في اعمال اعلامية واعلانية متنوعة.

لذلك تؤكد الباحثة (جوليت شور)[١] قائلة: (وجدت في تحليلاتي أن كل ساعة مشاهدة للتلفزيون في الاسبوع تزيد الانفاق السنوي بما يقدر بـ(٨,٢) دولارا سنويا، وهناك دليل آخر على الصلة بين الانفاق ومشاهدة التلفزيون، يشير الى ان هناك ارتباطا بين الديون والمشاهدة الزائدة للتلفزيون، وفي استطلاع للرأي أجراه «صندوق اسرة ميرك» في عام ١٩٩٥ صاحب ارتفاع الاستجابة بأنهم «يشاهدون التلفزيون أكثر من اللازم» بشكل مطرد ارتفاع في مستوى الديون، حيث إن أكثر من النصف (٦٥٪) من الذين ذكروا أنهم غارقون في الدين قالوا إنهم يشاهدون التلفزيون أكثر من اللازم)[٢].

والخلاصة هي أن جوهر العولمة اقتصادي صرف، غايته نشر ثقافة الاستهلاك على الطريقة الامريكية، وتلعب وسائل الاعلام الدور الاكبر في نشر هذه الثقافة لتغيير اسلوب حياة الشعوب على ضوئها، ولهذا نجد اليوم أن أكثر المجتمعات تميل إلى أن تلبس وتأكل وتتصرف على النمط الامريكي، وهذا ما نسميه بـ"التأثير الثقافي للعولمة".

وعلى هذا الأساس يمكن قياس درجة تأثر أي مجتمع بالعولمة –الأمركة- بمستوى انتشار ظاهرة الاستهلاك بين افراده، لأن (ثقافة الاستهلاك ذات مكانة هامة ضمن منظومة السلوك العامة للمجتمع)[٣].

(١) جوليت شور: مديرة الدراسات وكبيرة المحاضرين في الدراسات النسائية بجامعة هارفرد.

(٢) (ثقافة الاستهلاك.. الاستهلاك والحضارة والسعي وراء السعادة) –مصدر سابق - ص ٥٦.

(٣) ينظر(ثقافة الاستهلاك..واستهلاك الثقافة) – د. ماهر عربيات- صحيفة الرأي- نشر بتاريخ ٢٠١٦/٦/٦.



نظرياً؛ فإن تأثير العولمة سيكون قليلا في اوساط الشعوب الاسلامية باعتبارها ذات الثقافة الأقل اندماجاً مع "الأمركة"، فتعاليم الاسلام تتقاطع مع الثقافة الاستهلاكية، ولكن عملياً فإن الماكنة الاعلامية - وعلى رأسها وسائل الاعلام المرئية والالكترونية- تمكّنت من تحقيق مكاسب واسعة وسريعة في هذا الصدد.

ويشهد على ذلك ما أصدرته مؤسسة «KOF» الاقتصادية السويسرية في نتائج مؤشرها الدولي للعولمة (الذي يقيس أداء الدول من حيث مدى اندماجها في عملية «العولمة» على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ويتم حساب المؤشر من خلال تقدير خمسة محاور لكل دولة وهي: التدفقات الاقتصادية الحقيقية، القيود الاقتصادية، البيانات المتوفرة حول تدفق المعلومات، وبيانات الاتصال الشخصي، وبيانات التقارب الثقافي.

وجاءت الكويت في هذا التقييم في المركز الـ٤٥ عالميا والرابع عربياً بعد الامارات (٢٩ عالميا) وقطر (٣٨) والبحرين (٤٣)، وجاء بعد الكويت في القائمة العربية: الاردن - المغرب - السعودية - لبنان - عمان - تونس - مصر - الجزائر - اليمن - موريتانيا - سوريا - ليبيا - العراق – فلسطين)[1].

والسبب الأساس في تأثر المجتمعات الاسلامية بالعولمة سريعاً هو عدم امتلاك هذه المجتمعات حصانة ثقافية مضادة باستثناء حركة فكرية اسلامية بطيئة، وسبب بطئها يعود الى طبيعة نشاط أكثر المفكرين الاسلاميين الذين ينظرون بعين الريبة لأي

(١) (الكويت الـ٤٥ عالميا والـ٤ عربيا في اندماجها بالعولمة اقتصاديا واجتماعيا)- وكالة البلاد للأنباء والنشر الالكتروني- نشر بتاريخ ٢٠/١٠/٢٠١٥.

تجديد في فهم الدين الاسلامي والتجديد في آليات الدعوة اليه، بل ان بعضهم يرى وجوب معاداة ذلك التجديد حتى أنتج تطرّفاً دينياً وُلِد منه الإرهاب لاحقاً.

وحيث إن التحولات المُستجدّة للحياة دائماً ما تفرض ذلك التجديد بشكل قاهر، فإن حركات التجديد الاسلامية غالباً ما تأتي بشكل طارئ، وعلى هذا الاساس بقيت الحركة الحضارية في اغلب المجتمعات المسلمة مجرد مجموعة من ردود الأفعال الطارئة مما أنتج تخلفا حضارياً سمح للعولمة أن تملأ بسرعة الفجوات الثقافية التي ينتجها هذا التخلف للشعوب المسلمة.

ويتجلّى التخلف الحضاري للشعوب المسلمة بتراجع المنظومتين «العقائدية» و«الاخلاقية» اللتان حرص الاسلام كل الحرص على تجسيدهما على المستويين «الفردي» و«الاجتماعي»، ونتيجة لذلك اشتهرت مقولة: «أننا مسلمون بلا إسلام».

وقد ترد هنا اشكالية تتعلق بتقييم حجم الخطر الذي تشكله العولمة المعاصرة على المجتمعات العربية والاسلامية، ومفاد هذه الاشكالية هو: إن هذه المجتمعات قد مرت بتجربة الاحتكاك بالثقافة الغربية في عهد الاستعمار الاوربي، ولكنها على الرغم من ذلك تمكنت من الحفاظ على هويتها وموروثها الخاص، ومن ثم فهي قادرة على أن تجاوز فتنة العولمة تماماً كما تجاوزت فتنة الاستعمار سابقاً.

وللجواب على هذه الاشكالية لا بد من التفريق الدقيق بين طبيعة تأثير الاستعمار الاوربي (العهد الكولونيالي Colonialism) وطبيعة تأثير العولمة المعاصرة.

فعصر الاستعمار يقوم اساساً على السيطرة على مقدرات الشعوب وتوظيف الامكانات المتُاحة لاستغلال ثروات البلدان لصالح المُستعمرين، وعلى الرغم من أن هذا الحال كان يفرض نوعا من الاحتكاك الحضاري بين المستعمِر والشعوب الخاضة له، إلا انه لم يشكل تهديداً اقتلاعياً لثقافتها الاصيلة، بل على العكس، فالشعوب كانت تنظر الى المستعمرين بعين العداوة وتتنامى لديها ثقافة المقاومة بأبعادها الفكرية والثقافية والعسكرية.

الترتيب عربيا	الدولة	الترتيب عالميا
ترتيب بعض الدول العربية على المؤشر العام للعولمة		
01	الإمارات	29
02	قطر	38
03	البحرين	43
04	الكويت	45
05	الأردن	46
06	المغرب	51
07	السعودية	58
08	لبنان	60
09	عمان	67
10	تونس	82
11	مصر	91
12	الجزائر	117
13	اليمن	124
14	موريتانيا	127
15	سوريا	135
16	ليبيا	146
17	العراق	162
18	فلسطين	174

أما في عصر العولمة، فقد جاءت هيمنتها على الشعوب من مداخل ثقافية بحته، اهمها وسائل الاعلام المرئية، حيث تأثير «الصورة» التي لها قابلية سحرية في التأثير والاقناع ولا تحتاج الى لغة لكي تعبر القارات وتغزو عقول الجماهير وقلوبهم.

كما ان ثورة الاتصالات التقنية التي تميز بها عصر العولمة أفقد الدول السيطرة على تلك المداخل الثقافية، إذ ليس ثمة حدود تقف بصرامة أمام تقنية البث الفضائي وفضاء الشبكة العنكبوتية، فوسائل الاتصال هذه جعلت الناس وجهاً لوجه مع ثقافة العولمة من دون محددات رقابية تذكر.

فالنتيجة من ذلك ان الشعوب سوف تنقاد لثقافة العولمة عن قناعة، وتضعف لديها المناعة الحضارية باستمرار مع سيادة الانماط الثقافية الجديدة وطغيانها على اوسع طيف من شرائح المجتمع، بحيث يتحول المثقف الأصيل الى غريب في بلده لا يجد في سوق الثقافة المضطرب رواجاً لبضاعته.



وقد تُطرح هنا اشكالية اخرى تتعلق بتقييم حجم الخطر الذي تُشكله ثقافة الاستهلاك كهدف رئيس للعولمة، ومفاد هذه الاشكالية هو: إن ثقافة الاستهلاك لا تمثل سوى تجاوز حد الاعتدال في التعامل مع العناصر المادية للحياة، وبتعبير اسلامي: هو الاسراف في التعاطي مع المباحات، وعلى هذا الأساس فإن ثقافة الاستهلاك التي تبشر بها العولمة لن تشكل خطرا اقتلاعياً لهوية الأمة المسلمة.

وللجواب على هذه الاشكالية نقول: إن التقليل من خطر ثقافة الاستهلاك لهو من الاخطاء الجسيمة التي ترسّبت في ذهنية الشعوب الاسلامية، فثقافة الاستهلاك هي في الحقيقة جذر الغالبية العظمى من الانحرافات التي يُمكن أن تصاب بها أي أمة من الأمم، بخاصة اذا انتقلت هذه الثقافة من الاطار الفردي الضيّق الى النطاق الاجتماعي العام.

لذا نجد أن القرآن الكريم قد شدّد على ذم خصلة الاسراف أيما تشديد، وقد اشار اليها في أكثر من ١٢ موضعاً منه لعل أشدّها قوله تعالى: (وأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ)(غافر/٤٣).

يقول الدكتور جلال أمين[١]: (إن ثقافة الاستهلاك ثقافة مجتمع تحتل فيه كثرة ما

(١) د. جلال امين: كاتب وناقد مصري.

يحوزه الفرد من السلع مكانة عالية وتنال تقديراً مبالغا فيه في سلم الأولويات، وفي أثناء ذلك الصراع للحصول على السلع يتنازل الإنسان عن القيم الأخلاقية والإنسانية بل الدينية أيضا، فوجوده بدرجة أو بأخرى لم يعد مرتبطا بهذه القيم بل باستهلاكه، فكلما زاد الاستهلاك كلما أثبت وجوده أكثر فأكثر إلى أن تحول الأمر إلى ما يشبه الجنون.

والجنون أن ننتج ما لا نريده ونستهلك ما لسنا بحاجة إليه لمجرد الاستهلاك، حسب بيجوفيتش[1] ليست الإشكالية بالطبع في الاستهلاك الذي يلبي حاجات الفرد والمجتمع، وإنما في جعل الاستهلاك غاية الوجود الإنساني وتحديد قيمة الفرد في المجتمع بناء على مقدار استهلاكه للمادة «أي أن الاستهلاك يتحول إلى معيار في حد ذاته يُقاس عليه»)[2].

ففي ضوء هذا النموذج الاستهلاكي يمكن أن يتحول الأب في نظر الشاب الى مجرد مصدر للتمويل المالي، وتتحول الأم في نظره الى مصدر للخدمة المنزلية، وتتحول الزوجة الى وسيلة للّذة الجنسية، أما الابناء فيكونون بنظره ناتج عرضي، إن قَبِلَ تحمّل مسؤولية إعالتهم مالياً فلن يفكر في تحمّل مسؤولية التواصل معهم عاطفياً وتربوياً.

عند هذه النقطة يجد الإنسان نفسه متعلقاً أكثر بعالم الأشياء، ويقابل (هذا التوسع في دائرة الاستهلاك انحصار دائرة القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية في نطاق ضيق وتحل قيم السوق والسلع والاستهلاك محلها، وتحول الإنسان إلى شيء تتمركز أحلامه حول الأشياء، كما تحول الفكر والفن بل والدين أيضا إلى مجرد سلعة.

يركب أحد الشباب الجامعي إحدى الحافلات فإذا به ينظر على جانب السيارة ليجد شابا يركب سيارة مرسيدس بدت عليه مظاهر الثراء، هنا يقارن الشاب بينه وبين صاحب السيارة لا من خلال الفكر أو الروح، ولكن من خلال الشيئية، فينظر إلى

(١) علي عزت بيجوفيتش: ناشط سياسي بوسني وفيلسوف إسلامي، وهو اول رئيس جمهوري لجمهورية البوسنة والهرسك، وهو مؤلف لكتب عدة أهمها (الاسلام بين الشرق والغرب).

(٢) (ثقافة الاستهلاك)- محمد طرفة – موقع ساسة بوست – نشر بتاريخ ٢٠١٥/٨/٣١.

نفسه سريعا على أنه "حافلة" والآخر على أنه "مرسيدس"... إن الفرد أصبح ينظر إلى ذاته على حسب ما يمتلك من أشياء، ويقيم العلاقات مع غيره على حسب ما يمتلك هذا الغير من أشياء، وهذا ما يسمى بـ«التشيّؤ»)[١].

وذلك ما يحدث اليوم فعلاً في البلدان الاسلامية، فقد (تحول الإسراف والتبذير والمبالغة في الاستهلاك إلى عادات وأعراف حاكمة في مجتمعاتنا، فأطفالنا يتربون من صغرهم على حب الاستهلاك فتعطى لهم النقود دون حاجة، ويتعلمون على الاستمتاع بالشراء لمجرد الشراء وإن كان لشيء لا يفيدهم بل قد يكون ضاراً لهم، وترى في حالات كثيرة حينما يبكي الطفل ويريد أهله تهدئته يقال له خذ ريالاً أو خمسة أو عشرة واذهب إلى البقالة.

في مقابل ذلك تشجّع بعض العوائل في المجتمعات المتقدمة أبناءها منذ صغرهم على فتح حسابات للادخار وتعلّمهم كيف يفكرون فيما يشترون قبل أن يشتروا.

وعلى المستوى العام فالتسوّق والشراء لم يعد تلبية لحاجة في حياة العائلة، بل أصبح برنامجاً للترفيه والتمتع، فيذهبون إلى السوق ليس لشراء حاجات معينة يريدونها وإنما يتجولون في المحلات التجارية لتنخلق عندهم الحاجة ورغبة الشراء، فالاستهلاك بحد ذاته مصدر لذة وارتياح.

كما تعوّد الناس على أن يشتروا الأشياء بالكميّات وحتى فيما يسرع إليه التلف، فيحمّلون أنفسهم نفقات التخزين والتبريد، ويخسرون قسماً كبيراً منها بالخراب والتلف، ذلك أن الواحد منّا يستحي أن يشتري بالكيلو أو الحبّة الواحدة، بينما ترى في أمريكا وأوروبا أنّ

(١) المصدر نفسه.

العائلة تشتري بضع حبات من البرتقال أو التفاح وجزءاً من حبة البطيخ وما أشبه.

وعاداتنا في الأكل والشرب قائمة على الإسراف والتبذير غالباً وخاصة في الولائم والمناسبات العامة، حيث يقدم لشخصين أو ثلاثة صحن طعام ممتلئ يكفي لعشرة أشخاص، فيتناولون منه مقداراً يسيراً ويرمى الباقي وهي حالة مألوفة معروفة.

وتحكي أرقام وزن النفايات المنزلية صورة عن مستوى الإسراف والتبذير، فقبل سنوات أشارت دراسة نفذها المعهد العربي لإنماء المدن بعد مسح شامل لحوالي ١١١ مدينة عام ١٩٨٦ إلى أنّ النفايات المنزلية في ٢٩ مدينة في دول مجلس التعاون الخليجي تشكل ٧٩٪ من المجموع العام للنفايات المختلفة، وهذه النسبة تعتبر من أعلى النسب في كل دول العالم، ويلقي الفرد في مدينة الرياض نحو ٢٠٠٠ غرام من النفايات العامة يومياً، في بعض الدول الأوروبية تجمع القمامة والنفايات المنزلية يومين في الأسبوع، أمّا عندنا فهي تجمع يومياً، بل يلاحظ أنها تزيد على استيعاب البراميل المعدّة لها.

كما اصبح الاستهلاك ميداناً للتفاخر والتباهي، فاختيار نوع السيارة أو اثاث المنزل أو طريقة احتفال الزواج في هذه الصالة أو تلك وبهذا الشكل او غيره لا يتم نتيجة اختيار موضوعي وانما لتسجيل نقاط في مجال التفاخر والتباهي، ومحاكاة لذلك الشخص او تلك الجهة)[١].

هذا وإن أكثر شرائح المجتمع الاسلامي تعرضاً لمخاطر العولمة هم الشباب، فهذه الشريحة الاجتماعية المهمة لها خصائص نفسية استثنائية، لأن مرحلة الشباب (هي فترة أزمة وتمتاز بالتمرد العدمي، فترة الشباب أكثر حساسية تجاه الظلم والشعور بالضيق، فترة الشباب تتقبل الأفكار البسيطة وترفض الأفكار المعقدة، فترة الشباب دائما ما ترتاب من وسائل الإعلام التقليدية وكثيرا ما تستخدم المواقع الإلكترونية، فترة الشباب تتصور المزيد من الانقسامات وتنادي بالترابط العام، أضف إلي ذلك أن الكثير من الشباب يترددون بكثرة على مواقع التواصل الاجتماعي كما يستخدمون

(١) الاستهلاك و عادات الإسراف- الشيخ حسن الصفار- الموقع الالكتروني لمكتب الشيخ حسن الصفار- نشر بتاريخ ٢٠٠١/١/٥.

على نطاق واسع المواقع الإلكترونية ويميلون للقيام بالمغامرات عبر شبكات التواصل الاجتماعي، كما أنهم أكثر تقبلاً لنظرية المؤامرة)[١].

ومما يزيد من الطين بلّة هو أن الشباب في مجتمعاتنا الاسلامية غالباً ما يرثون خللا تربوياً من مرحلة الطفولة يصيبهم بـ«الاغتراب» الذي أشارت اليه الباحثة (مريم قويدر) قائلة: (إن سوء معاملة الطفل مرتبط بارتفاع مستوى الاغتراب لديه وتبنيه في المرحلة المتقدمة من عمره للعديد من السلوكيات المتباينة ما قد يؤدي به الى نوع من الصراع القيمي، لذا نجد الأطفال والشباب في الوطن العربي يتميزون بشدّة التنوّع، انتقاليين يتجاذبهم الماضي والمستقبل - الشرق والغرب في آن واحد، منكفئين على جذورهم انكفاءً اصيلا وسلفيين تقليديين اصيلين في تطلعاتهم ومستقبلهم، متجددين علمانيين مستحدثين في تطلعاتهم ومنفتحين متغيرين بسرعة، فهم ببساطة كوكبة من التناقضات)[٢].

وعندما تأتي العولمة بثقافة الاستهلاك فإنها في الواقع تعزز من ازمة الاغتراب لدى الشباب المسلمين، فعندما يجد الشاب نفسه متعلقاً أكثر بعالم الأشياء بفعل ثقافة الاستهلاك، فان هذا التعلّق يؤدي إلى (ضمور النزعة الإنسانية واختفاء البعد القيمي والروحي في مقابل توحش النزعة المادية، ويتزايد الصراع من أجل الحصول على أكبر قدر من السلع، وكنتيجة حتمية لفقدان الاتزان يتزايد شعور الفرد بالعزلة حيث يفقد الاتصال بذاته نظرا لهيمنة الطابع المادي عليه وينفصل عن تيار الثقافة في المجتمع، حيث تبدأ نزعته المادية تفرض عليه نموذجاً مادياً محدداً، بداية من تقليد أنماط ثقافية معادية لتيار الثقافة الأصيل الضارب في عمق المجتمع وانتهاء بتحول شامل في طريقة التفكير والتعامل مع مجتمعه، كما يزداد إحساس الفرد بالعجز وبأنه غير قادر على التأثير في المواقف الاجتماعية المحيطة به وهذا ما يسمى بـ«الاغتراب»)[٣].

(١) العلاقة بين التطرف والانترنت- المركز الاوربي لدراسات مكافحة الارهاب والتطرف- نشر بتاريخ ٢٠١٧/٣/٢٥.

(٢) اثر الالعاب الفيديو على السلوكيات لدى الاطفال ـ مصدر سابق - ص٩٧

(٣) ينظر: (ثقافة الاستهلاك)- مصدر سابق.

وان الظروف الاقتصادية السيئة التي تعاني منها غالبية الدول الاسلامية تفاقم من أزمة الاغتراب لدى شبابنا، فالشاب الذي يربط قيمته بما يستهلكه عندما يعيش في بيئة متردية اقتصادياً سوف يصاب حتما بقلق يهدد استقراره النفسي، وذلك ما يولّد لديه تمرداً على النُظم الاخلاقية والعرفية الخاصة بمجتمعه، لأنه يجد أن هذه النُظم لا تلبي له حاجاته النفسية والمادية، وغالبا ما يجره هذا التمرد إلى التطرف الديني أو إلى الانحلال الأخلاقي.

يقول الباحث (نضال البيابي): (عندما تتقلص مساحة الحرية على المستويات المعنوية وتسيّج ساحة النقد بسياج شائك على المستويين الديني والسياسي ويفصل فصلا تاما بين الجنسين درءاً للمفاسد، وبالتضاد يواكب ذلك انفلات في الحرية المادية التقنية مما يعرف بظاهرة «التخلف الثقافي» أي التغير البطيء للعناصر المعنوية إزاء التغير السريع للعناصر المادية فضلا عن النماء المطّرد للبطالة والفقر في النسيج الاجتماعي وما يترتب على ذلك من تفشي العزوبية والعنوسة بين أفراد المجتمع، فلا غرو أن تكون هذه الأرض خصبة لإنبات الانحرافات السلوكية كالتطرف الديني من جهة والانحلال الأخلاقي من جهة أخرى، وكلاهما يدوران في دائرة البحث عن الإشباع التي لم توفره المنظومة الأخلاقية والعرفية للأفراد)[١].

ونتيجة لذلك نرى شبابنا (لا يشعرون بالانسجام مع عالمهم الكلاسيكي ولا يتقبلون قيمه وانماطه السائدة، فهناك عوامل نفسية واجتماعية تجعلهم يعيشون حالة صراع دائم مع اسرتهم ومجتمعهم وحتى مع انفسهم، فهم يقرّون انهم مضطهدون ومسحوقو الشخصية نتيجة لما تنطوي عليه املاءات الاسرة والمجتمع)[٢].

وفي خضم طاحونة العولمة الدائرة على مجتمعنا اليوم، يمكن تحديد نقطة شروع لتعاقبها بين الاجيال المسلمة، هذه النقطة تبدأ من سلوك الأب أو القيّم على الاسرة، فبمقدار ما يكون هذا الشخص متأثراً بثقافة الاستهلاك فإنه سيسعى - بقصد أو من

(١) شات القنوات الفضائية والحب المحرم- نضال البيابي - شبكة العراق الثقافية - بنشر تاريخ ٢٠١٠/٥/٢١.

(٢) الاثر السوسيو ثقافي للانترنت على الطفل الجزائري - دراسة ماجستير جامعة الجزائر كلية العلوم السياسية والاعلام ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩- شفيق ليكوفان ص ٦١.

دون قصد- الى نقل هذه الثقافة لأبنائه، فيشتري لهم كل ما يشتهون لاعتقاده بأن ذلك في مصلحتهم وانه مصدر سعادتهم، وأبرز نقاط الخطر في هذا السلوك يتمثل بتوفير تقنيات الترفيه الحديثة(١) للأولاد من دون ضوابط ورقابة صارمة، فهذه التقنيات هي الباب الأوسع الذي تدخل منه أجيالنا الى آفاق العولمة لتتشبع بثقافة الاستهلاك.

يبدأ الأمر بالنسبة لحديثي السن مع فضائيات الافلام الكارتونية وما يصحبها من اعلانات مشوّقة للألعاب وانواع الحلويات والمشروبات اللذيذة، ومع دخولهم سن المراهقة يرتبطون بعالم الالعاب الالكترونية والانترنت وما يلحق به من اعلانات حول الاجهزة والملابس والاكسسوارات والسيارات والسفرات والجنس، ومع وصول الشاب الى سن الرشد يكون قد تعرض لجرع اعلامية واعلانية كافية ليكون عنصراً فعّالاً في ماكنة الاستهلاك العالمية، وحينها يقرر عن قناعة تامة بأن قيمته لا تنفك عمّا يمتلكه من أشياء، مع تعلقٍ شديد بالمُتع المادية وبُعدٍ واضح عن القيم الروحية، فما يحتك به من عناصر تثير الغرائز أكبر بكثير مما يحتك به من عناصر التربية الروحية.

هنا يكون الشاب وفقا لوضعه الاقتصادي على حافة حرجة، فاذا لم تساعده الظروف الاقتصادية على أن يحقق لنفسه مكانة مالية تؤمن له وضعاً اجتماعياً يناسبه، فإن الانحراف الاجتماعي سيكون في كثير من الاحيان الخيار الذي يميل إليه، وبخاصة أن وازعه الديني أضعف من أن يمنعه عن ذلك، ومن هنا ترتفع نسبة الانتحار أو ادمان المخدرات أو الانحراف الجنسي أو الانخراط في عصابات الجريمة.

أما اذا اسعفته الظروف الاقتصادية بشكل يضمن له تحسن وضعه الاجتماعي، فهو على ذات الصعيد المكرّر للاستهلاك؛ يقدّس الاشياء ويجد ذاته فيها ويقدّس الغرب وما فيه ويتنكّر لثقافة مجتمعه وينفر منها، وهو على كل حال فريسة سهلة للمشاكل الاجتماعية الاخرى مثل الطلاق أو الهجرة الطوعية أو الإلحاد.

والمشكلة هي أن وتيرة الاستهلاك لا تقف عند سقف معين في أي مجتمع من

---

(١) مثل اجهزة استقبال البث الفضائي(الستلايت) والهواتف الذكية والحواسيب والألعاب الالكترونية.

المجتمعات، فما دامت هنالك شركات رأسمالية تنتج وتريد من الناس ان تستهلك انتاجها؛ فان الاعلام والسياسة مجندة لخدمة هذا الغرض، وفي ضوء ذلك تكون متطلبات الحياة الاستهلاكية اكثر تعقيدا على الافراد يوماً بعد اخر، ومن ثم فان نسبة الرضا عن الوضع الاقتصادي -والمكانة الاجتماعية بالتبع- ستنخفض اكثر في شعور الشباب من الجنسين، ما يعني تفاقم المشاكل الاجتماعية التي تقدم ذكرها، وهذا عينه ما يحدث في كل المجتمعات البشرية التي تتأثر بالعولمة وتفتقر للحركة الحضارية الفاعلة التي تخفف من حدّتها.

رقم	الدولة	Maplecroft(1) 0-2,5= عال جدا 2,5-5= عال 5-7,5= متوسط 7,5-10= ضعيف	الترتيب الدولي (بين 197 دولة) في عدم الاستقرار	عولمة سياسية	عولمة اقتصادية	عولمة اجتماعية	معدل العولمة(2)	مؤشر جيني 0(عدالة تامة)-100 (عدم عدالة تام)(3)
1	الأردن	متوسط	99	87,10	64,55	63,55	70,10	39,7
2	الإمارات	متوسط	135	54,75	87,40	78,91	75,66	غ.م
3	البحرين	متوسط	86	47,78	89,91	62,73	68,34	غ.م
4	تونس	متوسط	93	86,88	61,49	38,52	59,58	40
5	الجزائر	عال	31	83,94	47,13	35,28	52,37	35,33
6	سوريا	عال جدا	9	58,02	43,03	34,19	43,67	35,78
7	السعودية	متوسط	89	62,40	69,58	69,03	67,49	غ.م
8	السودان	عال جدا	3	55,70	39,25	19,50	36,19	35,3
9	عمان	متوسط	115	45,91	75,33	86,65	61,38	غ.م
10	العراق	عال جدا	7	56,38	غ.م	28,65	40,10	30,86
11	قطر	متوسط	149	75,12	78,65	63,39	72,03	41,10
12	كويت	متوسط	108	61,31	67,35	81,29	70,97	غ.م
13	لبنان	عال	42	62,80	غ.م	70,82	67,51	غ.م
14	ليبيا	عال جدا	6	68,44	غ.م	35,22	48,94	غ.م
15	مصر	عال	27	94,16	49,30	41,31	58,10	34,4
16	المغرب	متوسط	98	90,03	51,61	50,77	61,38	40,88
17	موريتانيا	عال	39	48,59	57,95	28,30	44,43	39
18	اليمن	عال جدا	10	65,50	49,92	26,26	45,18	37,69

مؤشرات البنية العربية للعام ٢٠١٣ - المصدر مركز الجزيرة للدراسات

وعلى هذا الاساس لا يوجد مجال للمقارنة بين النقاط السلبية والنقاط الايجابية التي يمكن أن تخلفها العولمة لدى الشباب المسلم، فقضايا مثل الانتحار وانتشار المخدرات وارتفاع نسب الطلاق وتفاقم الهجرة الطوعية والانحلال الاخلاقي والتطرف الديني كلها أزمات مرعبة تستصغر معها الايجابيات التي يمكن أن تحسب لعصر العولمة، والحال ينذر بمزيد من الانتكاسات مالم يكن لدينا نشاط مضاد وفعّال يمنع تحول تلك الازمات الى ظواهر راسخة في صفوف الشباب المسلم.

وانطلاقا من مبدأ ان تحديد المشكلة هو الخطوة الاولى للعلاج؛ أعددنا هذا البحث لحصر أبرز الأزمات التي خلقتها العولمة المعاصرة لدى الشباب المسلم، وآثرنا أن نركز في قراءتها على عواملها القريبة وانعكاساتها الجزئية على هذه الشريحة الاجتماعية المهمة، مع طرح الحلول الملائمة لكل اشكالية على حده، مستعينين بما توفر لدينا من إحصاءات معتبرة ودراسات معتمدة.

أما فيما يتعلق بالحل العام الذي يستوعب جذر الأزمات التي يمر بها الشاب المسلم – ونعني به ثقافة الاستهلاك- فقد أشرنا اليه في الفصل الأخير الذي يتناول علاقة الشباب بالدين الاسلامي، لاعتقادنا بأن هذا الدين بما يمتلك من منهج عقلاني وأسلوب تربوي فريد هو الأداة الأهم من بين كل الأدوات التي تتكفل باقتلاع جذور الثقافة الاستهلاكية من نفوس المجتمعات، بالإضافة الى أنه يمثل الجذور الحضارية الضاربة في القدم للشعوب الاسلامية، مما يعني ان وقعه الفاعل لا ينمحي بسهولة ويدعونا الى أن نحسن استثماره من جديد بهدف الاصلاح الاجتماعي في البلدان المسلمة.

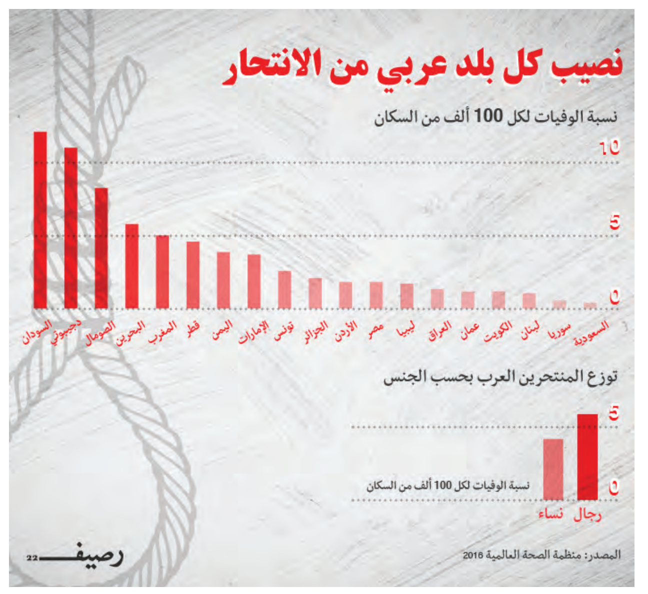
ولا يفوتنا أن ننوه بأننا ركزنا في بحثنا هذا على الشأن العراقي، معتبرين أنه أنموذج فريد يمكن أن يمثل عينة ممتازة على قدرة العولمة في التأثير المباشر على الشباب في كلّ من العالمين العربي والاسلامي، لأن العراق كان مجتمعاً منغلقاً ومحافظاً جداً حتى العام ٢٠٠٣ وإذا به يتعرض الى تغيرات سريعة عقب احتكاكه بالعناصر التبشيرية للعولمة وعلى رأسها البث الفضائي وشبكة الانترنت، وبجانب عوامل

مساعدة أهمها تدهور الاوضاع الامنية والاقتصادية بدأت اطياف واسعة من الشباب العراقيين يلتحقون بركب العولمة وتحديداً بعد العام ٢٠١٤ وتفشّى في اوساطهم الميل المفرط للاستهلاك، وفي ضوء ذلك نلحظ نشاطاً متزايداً لمراكز التسوّق التجارية «المولات» في عموم العراق، في حين لا نجد عُشر هذا النشاط في عنصري الثقافة والفن كالمتاحف وريادة المكتبات ورواج المعارض الفنية وعقد نوادي العلم ومنتديات الأدب، ما يؤكد أن العولمة جاءت للمجتمع العراقي - مثل بقية المجتمعات الاسلامية- بأسوأ وجه من وجوه الحضارة الغربية؛ وهي «الثقافة الأمريكية».

ومن الله سبحانه نرجو التوفيق والسداد.


الفصل
1
الشباب
والظواهر الاجتماعية

أولا: الشباب والانتحار



تعد حوادث انتحار الشباب المسلم من أخطر الأمور التي يزداد انتشارها يوما بعد آخر، على الرغم من ان مثل هذه الحوادث تقع على النقيض من الثقافة الخاصة بالبلدان الاسلامية، باعتبارها من أشد المحرمات التي ينهى عنها الدين الاسلامي وتوافقه على ذلك الاعراف والتقاليد الاجتماعية السائدة.

وبحسب الاحصاءات المتوفر نلحظ أن ازدياد حوادث الانتحار يشمل اغلب الدول الاسلامية، ففي لبنان سجلت دراسة أعدها قسم الطب النفسي في المركز الطبي في الجامعة الاميركية وجمعية «إمبرايس» ارتفاعاً ملحوظاً لحالات الوفيات عن طريق الإنتحار بنسبة ٢٩ ٪ بين العامين ٢٠١٣ و ٢٠١٤ (٧٠ ٪ منهم من اللبنانيين و٣٠ ٪ من جنسيات أخرى) وقد أكدت المعالجة النفسية (ميا عطوي) أن الدراسة استندت إلى محاضر قوى الأمن الداخلي والتي سجلت بين العامين ٢٠٠٨ و ٢٠١٣ وفاة ما يقارب الـ١٠٠ شخص في العام الواحد بالإنتحار، بينما ارتفعت نسبة هذه الحالات في عام ٢٠١٤ ليصبح عدد المنتحرين ١٤٣ شخصاً معظمهم من الرجال ويتراوح معدل أعمارهم بين ٢٥ و٤٠ عاماً[١]، كما تشهد الاردن ارتفاعا ملحوظا ايضا في حالات الانتحار، ففي عام ٢٠٠٩ كانت هنالك ٣٤ حالة وفي العام ٢٠١٠ وصلت إلى ٤٩ حالة وتراجعت خلال العام ٢٠١١ إلى ٣٩ حالة لترتفع خلال العام ٢٠١٢ إلى ١٠٠ حالة، ووصلت خلال العام ٢٠١٣ إلى ١٠٨ حالات، وبلغت في العام ٢٠١٤ حوالي ١٠٠ حالة، واقدم ١١٧ شخصا على الانتحار في عام ٢٠١٦، وخلال الشهرين الاولين من العام ٢٠١٧ سجلت نحو ٢٨ حالة[٢].

---

(١) (أرقام مقلقة عن الانتحار في لبنان) - -روزيت فاضل- صحيفة النهار اللبنانية – نشر بتاريخ ٢٠١٦/١٢/٢٤.

(٢) (انفوغرافيك: كيف نحمي شبابنا من الانتحار؟) - وكالة جراسا الاردنية – نشر بتاريخ ٢٠١٧/٥/٢٨.



أما في السعودية فبعد ان شهد العام ٢٠٠٧ من الانتحار ٦٠٤ حالات، ارتفعت في عام ٢٠٠٨ الى ٧٤٨ حالة، وفي عام ٢٠٠٩ وصلت الى ٧٨٧ حالة، وبتقسيم العدد على أيام السنة فان المعدل يكون حالتي انتحار يومياً، ووفقاً لصحيفة «عكاظ» السعودية انه استناداً الى الأرقام التي تصدر ضمن الكتاب الإحصائي لإدارة التخطيط والإحصاء في وزارة الداخلية نجد ارتفاع معدلات الانتحار بنسبة الضعف مقارنة بالسنوات العشر الماضية[١].

أما في العراق فبحسب احصائية لمجلس القضاء الاعلى فقد بلغ مجموع حالات الانتحار للمدة الواقعة بين عامي (٢٠٠٣-٢٠١٣) حوالي ١٥٣٢ حالة، شهد العام ٢٠١٢ لوحده ٢٧٦ حالة أما العام ٢٠١٣ فقد شهد ٤٣٩ حالة[٢].

وبالنسبة لتسلسل الدول العربية بحسب عدد حالات الانتحار التي تقع فيها، فقد

(١) ينظر: (السعودية تشهد حالتي انتحار يومياً و٨٠٠ حالة في ٢٠٠٩) - صحيفة بزنز عربي - نشر بتاريخ ١٦/ ٢٠١٠/١٢

(٢) تقرير بعنوان: (انتشار الانتحار في العراق.. اسبابه، مقترحات) - دائرة البحوث في مجلس النواب العراقي - نيسان/٢٠١٤.

قدمت منظمة الصحة العالمية احصائية[1] في هذا الصدد كانت نتائجها على الترتيب كالآتي:

- **السودان ١٧,٢ من كل ١٠٠ ألف شخص**
- **المغرب ٥,٣ من كل ١٠٠ ألف**
- **قطر ٤,٦ من كل ١٠٠ ألف**
- **اليمن ٣,٧ من كل ١٠٠ ألف**
- **الإمارات ٣,٢ من كل ١٠٠ ألف**
- **موريتانيا ٢,٩ من كل ١٠٠ ألف**
- **تونس ٢,٤ من كل ١٠٠ ألف**
- **الاردن ٢ من كل ١٠٠ ألف**
- **الجزائر ١,٩ من كل ١٠٠ ألف**
- **ليبيا ١,٨ من كل ١٠٠ ألف**
- **مصر ١,٧ من كل ١٠٠ ألف**
- **العراق ١,٧ من كل ١٠٠ ألف**
- **عمان ١ من كل ١٠٠ ألف**
- **لبنان ٠,٩ من كل ١٠٠ ألف**
- **السعودية ٠,٤ من كل ١٠٠ ألف**
- **سوريا ٠,٤ من كل ١٠٠ ألف.**

ونظرا لاستفحالها؛ اهتم الباحثون بدراسة حالات الانتحار التي تحدث في الدول الاسلامية لتشخيص اسبابها والحد من انتشارها، وبحسب ما سمح به الوسع من الاطلاع على آرائهم في هذا المجال، يمكننا حصر العوامل التي تدفع بشباب البلدان الاسلامية نحو الانتحار بعاملين اساسيين هما: العامل الثقافي والعامل الاقتصادي.

(١) (السعودية الأقل عالمياً في حالات الانتحار) - موقع mbc – نشر بتاريخ ٢٠١٤/٩/١١.



١- العامل الثقافي: تنقسم البيئة الثقافية التي يعيشها الافراد في المجتمعات الاسلامية بشكل رئيس على نوعين هما: بيئة الريف وبيئة المدينة، وكلا هاتان البيئتان تعانيان من مشاكل اجتماعية تدفع كثير من الشباب الى الاقدام على الانتحار.

فعلى صعيد البيئة الريفية، نجد ان هنالك حالة من الفقر والجهل وسيادة لأعراف موروثة تحكم الأوضاع الاجتماعية للفرد؛ تضطهده وتضغط عليه بشدة، وبالذات ما يخص المرأة، فهي غالبا ما تكون مسلوبة الارادة منتهكة الحقوق وعرضة لأذى نفسي وجسدي شديدين، يُعتدى عليها بالإهانات اللفظية أو الضرب المبرح، أو تُزوّج بالإكراه أو تتعرض لجرائم شرف تزيد من فرص لجوئها الى الانتحار أو قتلها بذريعة الانتحار.

ويمكن ان تكون محافظة ذي قار العراقية احد الشواهد المهمة على هذه المسألة، فهذه المحافظة تستأثر بنسب عالية من حالات الانتحار مقارنة بباقي محافظات العراق، وبحسب احصائية لمفوضية حقوق الإنسان العراقية في العام ٢٠١٣ فإن نسبة حالات الانتحار في هذه المحافظة بلغ ٣٢٪ من مجموع حالات الانتحار في

البلاد كلها، وان أعمار المنتحرين تتراوح بين ١٣ - ٣٥ عاما بواقع ٦٥٪ من الإناث و٣٥٪ من الذكور[١].

ونظرا لهذه الاحصائية، نعتقد بأن ارتفاع نسبة الانتحار بين الاناث (٦٥٪) يقترن بالبيئة الثقافية الريفية التي تسود المحافظة، هذا على الرغم من إن العامل الاقتصادي الذي يدفع الذكور -بشكل خاص- الى الانتحار من العوامل النشطة جداً في محافظة ذي قار، إذ تبين الاحصاءات ان نسبة السكان الواقعين تحت خط الفقر فيها تبلغ ٤٥٪[٢].

جدول يبين حالات الانتحار في العراق من (٢٠٠٣ - ٢٠١٣) بحسب احصائية لمجلس القضاء الاعلى (المصدر: منشور دائرة البحوث لمجلس النواب العراقي بعنوان(انتشار الانتحار في العراق اسبابه. مقترحات/ نيسان ٢٠١٤)

ت	السنوات	الدعاوى
1	2003	13
2	2004	31
3	2005	46
4	2006	51
5	2007	64
6	2008	103
7	2009	95
8	2010	161
9	2011	253
10	2012	276
11	2013	439
	المجموع الكلي	1532

(١) (تفشي ظاهرة الانتحار في العراق.. وذي قار في المرتبة الأولى)- فارس الشريفي- صحيفة الشرق الاوسط- نشر بتاريخ ٢٠١٥/٦/١٥.

(٢) المصدر نفسه.



لذا يؤكد الباحث الاجتماعي (د. محمد عبد الحسن) على أن التقاليد كثيراً ما تدفع بالمرأة في المجتمعات المغلقة الى الانتحار، مشيراً الى ان بعض حالات الانتحار جاءت نتيجة حالات زنا المحارم، فقد تندفع الفتاة للانتحار او ان تُقتل ويبرر الفعل بانها انتحرت، واغلب اللواتي تعرضن لمثل هذه الحالات من المراهقات[١].

أما على صعيد البيئة الثقافية المدنية، فنجد أن الانفتاح غير المُقنن على وسائل الاعلام والاتصالات الحديثة يعد السبب الابرز لانتشار ظاهرة الانتحار فيها، إذ أن هذه الوسائل تعزز من ظاهرة الغزو الثقافي الوافد من الخارج بشكل يؤثر على بنية العلاقات بين الافراد، ويجر الى جرائم مجتمعية مثل الخيانة الزوجية أو الابتزاز الجنسي[٢] الى جانب زيادة حالات الطلاق وارتفاع نسبة العنوسة.

وفي هذا الصدد يقول الباحث الاجتماعي (د. علي طاهر الحمود): إن أحد الأسباب

(١) ينظر: (الانتحار في العراق ظاهرة تصعب دراستها)-محمد الحيالي- صحيفة الحياة اللندنية- نشر بتاريخ ٢٠١٦/١/١٩.

(٢) ينظر: من المسؤول عن انتحار الفتيات في عراق التغيير؟ - رشا الانصاري - صحيفة التاخي- نشر بتاريخ ٢٠١٧/٧/٣١

الرئيسة للانتحار في الوقت الحالي - بحسب تصنيفه- هو القطاع التكنولوجي وانتشار «السوشيال ميديا»، موضحاً أن حالات الابتزاز التي تواجه المواطنين من مرتادي مواقع التواصل الاجتماعي وحالات التصوير غير المرخصة التي تتعرض لها الفتيات تحت مسمى الفضيحة أصبحت ظاهرة منتشرة، ما يعرض الشاب أو الفتاة لضغط نفسي شديد يؤدي إلى الانتحار[١].

علماً ان الانفتاح على وسائل الاعلام يؤدي ايضاً الى غربة الشاب المسلم عن محيطه ثقافياً، فاحتكاك الشاب بوسائل الاعلام الحديثة جعله ينفتح فجأة على عالم جديد من الثقافة الغربية البراقة التي تجعله توّاقاً لنمط حياة لا يجده في محيطه، ونتيجة لذلك سيعيش حالة من الغربة الاجتماعية التي قد تدفعه الى العزلة النفسية، والتي تجر بدورها الى الكآبة ثم الانتحار، علما ان تأثير وسائل الغزو الثقافي قد تعدى تأثيره من الشباب الذين يعيشون في البيئة الثقافية للمدينة الى الشباب في البيئة الريفية ايضا.

وقد أكد ذلك المتحدث باسم وزارة حقوق الانسان في العراق (كامل امين) في معرض حديثه عن اسباب انتشار الانتحار بين شباب العراق قائلا: أعزو ذلك الى التقاليد والاعراف الاجتماعية المحافظة وتعرّض الشباب من كلا الجنسين بعد عام ٢٠٠٣ الى الفضائيات ووسائل الاتصال وما يتم عرضه من برامج، فالشاب حاول ان ينفتح كحال المجتمعات الاخرى، لكنه اصطدم بالتقاليد الاجتماعية الصارمة، ولعدم قدرته على تجاوز المحددات يلجأ الى إنهاء حياته[٢].

بل ان بعض الاعمال الفنية والاعلامية باتت تشجع الشباب بشكل مباشر على الانتحار من خلال سلوك ابطالها، إذ تجعل منه فضيلة يتحلى بها نجوم الافلام والمسلسلات، خذ مثالا على ذلك المسلسل الامريكي (ثلاثة عشر سبباً) الذي

(١) (الانتحار ظاهرة تثير الرعب في العراق وبغداد تتصدر القائمة)- نجلاء الطائي - صحيفة العرب اليوم- نشر بتاريخ ٢٠١٧/٧/١٥.

(٢) ينظر: (الانتحار في العراق ظاهرة تصعب دراستها)-مصدر سابق.



مسلسل (١٣ سببا) الذي يمثّل الانتحار محور قصته

يمثل الانتحار محور قصته، وقد نشرت المؤسسة الوطنية للصحة النفسية للشباب في أستراليا بياناً على موقعها الإلكتروني اشارت فيه الى أن هذا المسلسل لم يقدم الطريقة الصحيحة لنقد ومعالجة الاكتئاب أو الانتحار، وحذرت المدارس والآباء من عرض محتوى المسلسل على أطفالهم، واصفةً إياه بالمحتوى الانتحاري الخطير والذي قد يسبب مشاكل نفسية للمشاهدين[١]، وقد أثبتت الدراسات زيادة محاولات الانتحار بين المراهقين خاصة بسبب التقليد الأعمى لبعض نجوم هذه المسلسلات والفراغ العاطفي وعدم وجود المثل الأعلى في حياتهم[٢].

وخلاصة الامر هو أن الشباب المسلم - في البيئة المدنية بشكل خاص- يعانون من إثارة مستمرة للأهواء نتيجة لاحتكاكهم غير المقُنن بوسائل الغزو الثقافي، وهذه الإثارة تحتاج بطبيعة الحال الى اشباع، وعندما لا يجد الشاب بيئة اجتماعية تسمح بهذا اللون من الإشباع فانه سيعاني من كبت نفسي يدفعه للبحث عن وسائل للتنفيس واستغلال أي فرصة تسمح بذلك[٣]، وإذ لا تتوافر غالبية المجتمعات الاسلامية على وسائل التنفيس هذه بحكم طبيعتها الملتزمة، فان هؤلاء الشباب سيشعرون في النهاية بحالة من الاضطهاد والعزلة الاجتماعية، مما يصيبهم بالكآبة التي تعد الخطوة الأقرب للانتحار[٤].

(١) ينظر: مسلسل ١٣ Reasons Why يجذب جمهوراً كبيراً من الشباب حول العالم- هافينغتون بوست عربي – نشر بتاريخ ٢٠١٧/٤/٢٣.

(٢) ينظر: آثار نفسية خطيرة تسببها الدراما المدبلجة- هيثم الاشقر- جريدة الراية – ٢٠١٤/١٢/٢٥.

(٣) وذلك احد الاسباب الاساسية التي تجعل الشباب يتصرفون خلافا لطبيعة المجتمعات الاسلامية التي يعيشون فيها، ويظهر ذلك جلياً في شكل ملابسهم وقصات شعرهم وسلوكهم العام.

(٤) تقول الأرقام الرسمية إنّ الاكتئاب يشكل الدافع الرئيس وراء حوادث الانتحار، وتشير إلى أنّ نصف المنتحرين سنوياً قصدوا مستشفيات الأمراض العصبية والنفسية وعياداتها. ويقول المختصون في علم النفس إنّ تلك الاضطرابات تشكل الدافع بنسبة ٦٠ ٪ من محاولي الانتحار (ينظر: مقال بعنوان «الاكتئاب طريق

٢- العامل الاقتصادي: لا يقل تأثير العامل الاقتصادي عن العامل الثقافي في تفشي حالات الانتحار بين الشباب المسلم، فالتردي المعيشي والبطالة يجعل الشاب في ضيق وحرج شديدين، ومع ضعف الوازع الديني فانه كثيرا ما يكون سبباً أساسياً لانتحاره.

وتؤكد احصائية لمنظمة الصحة العالمية اجريت في العام ٢٠١٥ أن البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل تستأثر بنحو ٧٨٪ من حالات الانتحار[١]، وتشير دراسة سويسرية أن البطالة مسؤولة عن انتحار ٤٥ الف انسان سنويا على مستوى العالم وأن الأزمات الاقتصادية ترفع نسبة الانتحار بين العاطلين والفقراء كما ترفعها بين أرباب العمل تماماً[٢].

واذا اخذنا العراق كأنموذج لتأثير العامل الاقتصادي، نجد ان كثير من حالات الانتحار التي يتعرض الشباب لها تحدث في المحافظات الاكثر فقراً بشكل عام.

جدول يبين حالات الانتحار في العراق من (٢٠٠٣ - ٢٠١٣) بحسب احصائية لوزارة الداخلية (المصدر: منشور دائرة البحوث لمجلس النواب العراقي بعنوان(انتشار الانتحار في العراق اسبابه. مقترحات/ نيسان ٢٠١٤)

المحافظات	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012	2013	المجموع
نينوى	1	3	6	14	10	31	32	44	51	40	22	254
صلاح الدين	-	2	3	1	-	4	9	4	11	8	6	48
كركوك	-	2	4	3	6	9	7	4	2	9	6	52
بغداد	1	2	5	3	4	10	9	13	26	30	22	125
ديالى	-	1	1	2	3	6	12	9	28	23	21	106
بابل	-	2	2	-	1	3	4	6	9	16	7	50
المثنى	-	-	1	2	4	2	3	5	3	11	10	41
الديوانية	1	-	3	-	1	1	5	4	3	10	18	46
النجف	-	2	-	1	2	4	3	3	5	15	6	41
ميسان	-	-	1	15	7	8	9	1	10	16	14	81
واسط	9	8	5	5	9	5	4	4	5	4	3	673

الدنماركيين إلى الانتحار» نشرته صحيفة العربي الجديد بتاريخ ٢٠١٦/١/٢٣).

(١) ينظر: الانتحار – موقع منظمة الصحة العالمية- شهر آب ٢٠١٧.

(٢) ينظر: البطالة سبب انتحار الآلاف في العالم سنوياً- ماجد الخطيب- صحيفة ايلاف – نشر بتاريخ ٢٠١٥/٢/١٣.



قد يقال ان بعض الاحصاءات تسجل خلاف ذلك، اذ ان هنالك مدن سياحية أو صناعية أو تجارية تكثر فيها حالات الانتحار، خذ مثالا على ذلك تصدر محافظتي بغداد وكربلاء لعدد حالات الانتحار في العراق بحسب احصائية رسمية للقضاء العراقي[١].

ويمكن الاجابة على ذلك بأن كثيراً من المدن السياحية والصناعية والتجارية تحتوي على طبقات كثيرة من الافراد المعدمين الذين نزحوا من مدنهم الفقيرة بحثا عن القوت اليومي، وهذه التجمعات هي التي تكثر فيها حالات الانتحار، ويؤكد ذلك ما اشار اليه رئيس استئناف محافظة كربلاء القاضي (محمد عبد الحمزة) في معرض نفيه وجود ظاهرة الانتحار في ما أسماه «المجتمع الكربلائي الأصيل» قائلا: «من وجهة نظر اجتماعية يمكن تقسيم المجتمع الكربلائي إلى قسمين: المجتمع الأصلي

(١) ينظر: الانتحار ظاهرة تثير الرعب في العراق وبغداد تتصدر القائمة- مصدر سابق.

والمجتمع الوافد الذي زحف من مناطق مختلفة في البلاد بحثا عن العمل في كربلاء المدينة الدينية والتجارية»، ولفت إلى أن «أغلب حوادث الانتحار تنبثق من المجتمع الأخير بسبب الأوضاع السيئة التي يعيشها سكانه من تخلف وفقر وجهل وبطالة، إضافة إلى الأعراف الاجتماعية الضاغطة من المجتمعات التي انحدروا منها سواء على الرجال أو النساء، هذا ما يولّد حالات الانتحار أما المجتمع الكربلائي الأصيل فتنعدم فيه هذه الحالات[١].

وعلى ذات الوتيرة يؤكد مسؤول منظمة اتحاد رجال كردستان (برهان فرج): أن الأزمة المالية وعدم قدرة الرجال على تأمين احتياجات عائلاتهم ووقوعهم تحت طائلة الديون تمثل أسبابا رئيسة لإقدام الرجال على الانتحار، وكانت العديد من مخيمات النازحين المنتشرة في مناطق العراق شهدت مؤخرا وقوع عدة حالات انتحار بين الشباب والأطفال نتيجة الضغوط النفسية في ظروف النزوح والتشرد والاغتراب داخل الوطن[٢].

هذا ويمكن ادراج الضغوط النفسية الشديدة التي يتعرض لها الشاب بسبب الامتحانات المدرسية ضمن العامل الاقتصادي الذي يدفع الى الانتحار، لأن احراز الدرجات العلمية باتت ترتبط بشكل كبير بالوظيفة التي يسعى الشاب للحصول عليها من اجل تأمين وضعه الاقتصادي ومستقبله المعيشي.

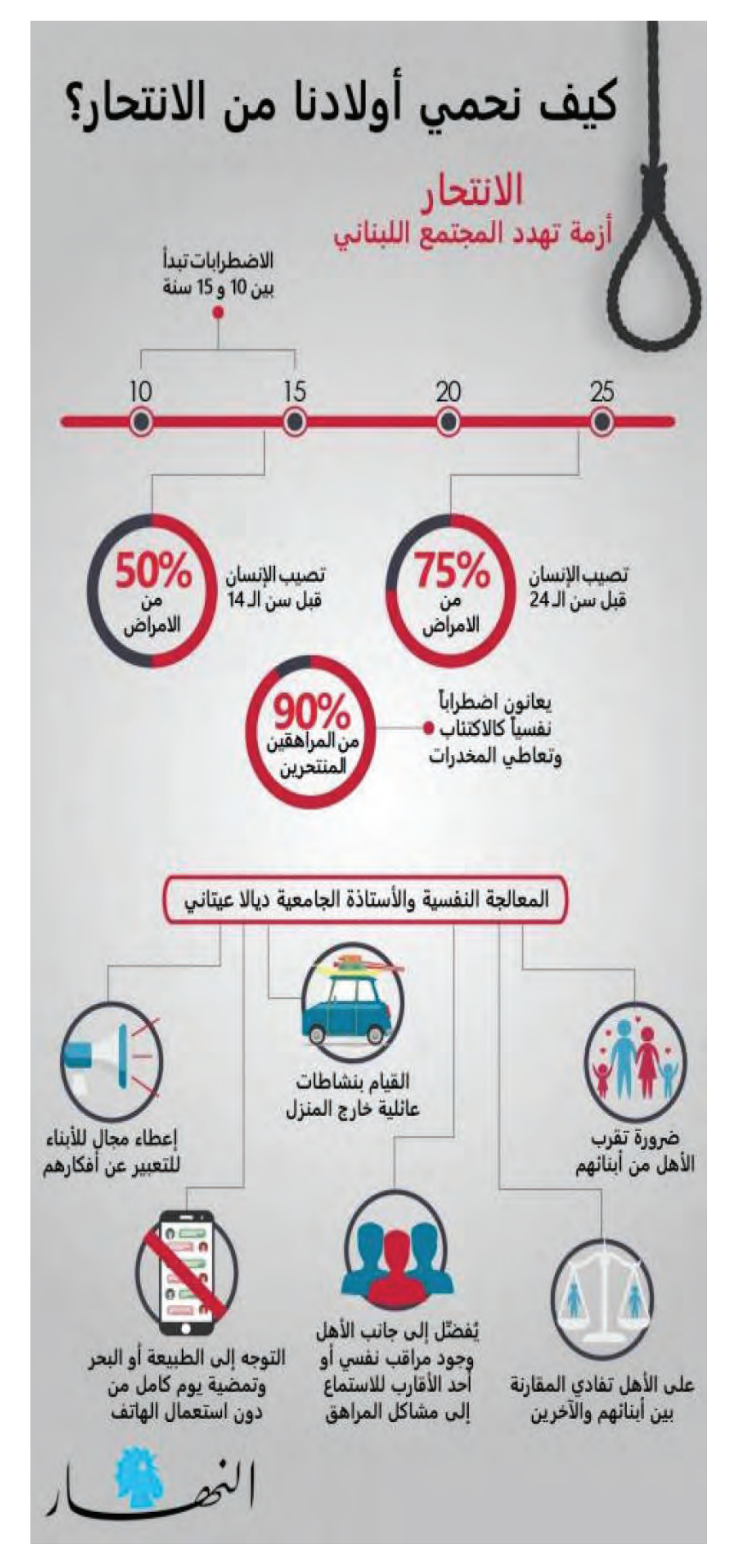
وكشاهد على هذا الحال ما اشار اليه عادل الدخيلي رئيس خلية ازمة الانتحار في مجلس محافظة ذي قار قائلا: (تسجل نسب الانتحار بين الطلبة ارقاماً عالية وبخاصة بين طلبة البكالوريا الذين يعانون ضغوطا نفسية عالية)[٣].

وخلاصة لما تقدم نقول: ان السبب الاساس الذي يدفع الشاب الى الانتحار في

(١) المصدر نفسه

(٢) المصدر نفسه.

(٣) (الامتحانات: أبرز أسبابها الكشف عن عدد حالات الانتحار في ذي قار ودوافعها) - صحيفة المشرق الالكترونية- نشر بتاريخ ٢٠١٧/٨/٢١.



المجتمع الاسلامي يتمثل اساسا بتعرضه لضغط نفسي شديد نابع من شعوره بالعوز أو الاضطهاد.

ويمكن ان يكون هذا الاضطهاد حقيقياً، مثل تعرض الفتاة الى اعتداء بسبب تأثير الثقافة الريفية، أو تعرض الشاب الى عوز اقتصادي بسبب الفساد الذي يحكم البلاد، كما يمكن ان يكون هذا الاضطهاد موهوماً ينبع من خلل في البنية الفكرية والنفسية للشاب نتيجة لسوء تربيته وتأثره بعوامل الغزو الثقافي الناشئ من احتكاكه غير المقُنن بوسائل الاعلام والاتصالات الحديثة.

وفي الختام لا يفوتنا أن نذكر أن بعض الشباب اليوم باتوا غير قادرين على مواجهة صعاب الحياة ومشاكلها بسبب احتكاكهم المستمر بوسائل الترفيه، بعكس الشباب الذين عركوا مصاعب الحياة حتى اعتادوها، لذا فان اتفه المشاكل التي يواجهها كثير من شباب اليوم – مثل حوادث الحب

الفاشلة او مجرد الشعور بقلة الاهتمام- يدفعهم الى الانتحار، وبخاصة ان مفهوم الانتحار صار رائجا بينهم بفعل وسائل الغزو الثقافي ووسائل التواصل الاجتماعي، إذ تحول الى مفردة ايجابية تعني الشجاعة والايثار وخلود الذكر، في حين ان الشاب في السابق كان يتحاشى الانتحار لأنه نفسياً يعني الجبن ودينيا يعني الاثم واجتماعيا يعني الفشل والهزيمة.

وفي هذا الصدد اشار الباحث الاجتماعي (د. محمد عبد الحسن) الى نوع من الانتحار الذي يطلق عليه «الانتحار الايجابي» او «انتحار الايثار» او «الانتحار المقدس»، وهو عندما تقدم المرأة على الانتحار لحماية (شرفها) من الانتهاك والتي ينظر لها المجتمع نظرة احترام وتقدير... واوضح الباحث ان الشخص الذي لديه نرجسية عالية وحب الذات يكون اكثر عرضة للانتحار إذا ما فاجأه وضع شديد القسوة غير قادر على تقبله، ويقول: ان المجتمع اعتاد على تصنيف المنتحرين الى «الشجعان» كما يتمثل في اقدام نساء على قتل انفسهن لمنع الاعتداء عليهن، اما الذي ينتحر لأسباب اقتصادية وعاطفية واجتماعية فيصنف في خانة الاشخاص «الانهزاميين»[١].



(١) ينظر: (الانتحار في العراق ظاهرة تصعب دراستها)- مصدر سابق.



ثانيا: الشباب والهجرة الطوعية

تعود اسباب هجرة الشباب المسلم طوعاً الى عاملين رئيسين هما: العامل الاقتصادي والعامل الثقافي، وعلى الرغم من أن العامل الامني يمثل سبباً مهماً للهجرة ولكننا لن نتناوله هنا باعتباره يمثل سبباً قسرياً يدفع الانسان الى الهجرة حفاظاً على الحياة، وبذلك لا يمثل مؤشراً دقيقاً على رغبة الانسان في التخلي الطوعي عن بلاده.

وقد يقال ان العامل الاقتصادي يُمثل عاملا قسرياً للنزوح أيضاً، باعتبار أن فقدان فرص العمل في البلد الأم يدفع الشاب الى النزوح اضطرارياً، ومع إقرارنا بصحة هذا القول إلا أننا لا نوافق عليه بشكل مطلق، إذ تدل كثير من الحالات على أن الشباب المسلم الذين نزحوا من بلادهم بسبب العامل الاقتصادي كانوا يطمحون الى تحقيق الرفاه المادي وليس مجرد تأمين لقمة العيش الأساسية، وسنبين ذلك في أثناء حديثنا عن العامل الاقتصادي من هذا المبحث.

ويمثل النزوح الجماعي للشباب العراقي في سنة ٢٠١٥ أحد الامثلة الممتازة في مجال الهجرة الطوعية بناء على العاملين الاقتصادي والثقافي، إذ بلغت سرعة وحجم هذه الهجرة خلال الربع الاول من تلك السنة حداً جعلهم يشكّلون خامس اكبر

مجموعة سكانية طالبة للّجوء عالمياً، فقد ازداد عدد العراقيين الذين يطلبون اللجوء الى اوروبا بنسبة ٢٠٠٪ مقارنة بالمدة نفسها من العام[1] ٢٠١٤.

وقد سجلت المفوضية السامية للأمم المتحدة في العام ٢٠١٥ أكثر من ١٩٥ ألف طلب لجوء عراقي فضلاً عن آلاف العائلات التي هاجرت بطرق غير رسمية، وقد استقبلت المانيا لوحدها ١,١ مليون مهاجر عراقي، وقد وصل اكثر من ٩٠٠٠ عراقي الى اليونان في المدة بين كانون الثاني ونهاية آب، علما النسبة الأعلى من بين المتقدمين للجوء هي من الشباب إذ وصلت إلى ٣٣٪ [2].

ورافق ذلك ارتفاع عدد الرحلات الى تركيا خلال شهري آب وايلول للعام ٢٠١٥، فمن ١٢ رحلة يومياً في حزيران الى ١٥ رحلة من مطارات العراق كافة, وكل رحلة تضم نحو ١٨٠ شخصاً، وشهد مطار بغداد لوحده ٦ رحلات يومية بواقع ٣ رحلات للخطوط الجوية العراقية فضلاً عن شركتين تركيتين وأخرى عراقية[3]، وان غالبية حالات الهجرة هذه لم تكن ناشئة عن تهديدات أمنية كما سيتضح ذلك في الحديث عن عوامل الهجرة الطوعية على النحو الاتي:

١- العامل الاقتصادي: تمثل الظروف الاقتصادية التي تمر بها كثير من بلاد المسلمين اهم سبب يدفع شبابها الى النزوح، وبخاصة نحو البلدان الغربية نظرا لما يعرف عن تلك البلدان من رفاه اقتصادي وفرص عمل تمكن الشاب من تحسين وضعه المادي.

وتجسد موجة الهجرة العراقية في العام ٢٠١٥ مثالاً دقيقاً لتأثير العامل الاقتصادي هذا، فقد بدأت هذه الموجة تزامنا مع سخط شعبي من تدهور الاوضاع الخدمية

(١) ينظر: أربيل بوابة عبور العراقيين نحو هجرة غير مضمونة الى اوروبا – صحيفة الزمان – نشر بتاريخ ٢٠١٥/٨/٢١.

(٢) العالم بالأرقام: ٢٠١٥ عام الهجرة.. ٢٠١٦ عام العودة - زينب شاكر السماك - شبكة النبأ المعلوماتية - نشر بتاريخ ٢٠١٦/٥/٣٠.

(٣) المصدر نفسه.

والاقتصادية للبلاد، وتجسدت ذروة هذا السخط في المظاهرات الشعبية الواسعة التي اندلعت بتاريخ ٣١ تموز من العام ٢٠١٥ [١].

وقد ينسب بعضهم سبب هذه الهجرة الى تدهور الوضع الامني للبلاد بسبب غزو داعش في حزيران من العام ٢٠١٤، ولكن هنالك مؤشرات تؤكد على أن نسبة عالية من هؤلاء المهاجرين هم من محافظات الوسط والجنوب حيث المناطق التي تعيش حالة من الاستقرار الامني، وقد أكد نائب البرلمان العراقي (علي لفتة المرشدي) هذا الامر في تصريح له قائلا: (ان اكثر المهاجرين هم من محافظات الفرات الاوسط والجنوب، وان هجرتهم غالبا ما تكون طوعية وليست قسرية بسبب استقرار الأوضاع الأمنية في هذه المحافظات)[٢].

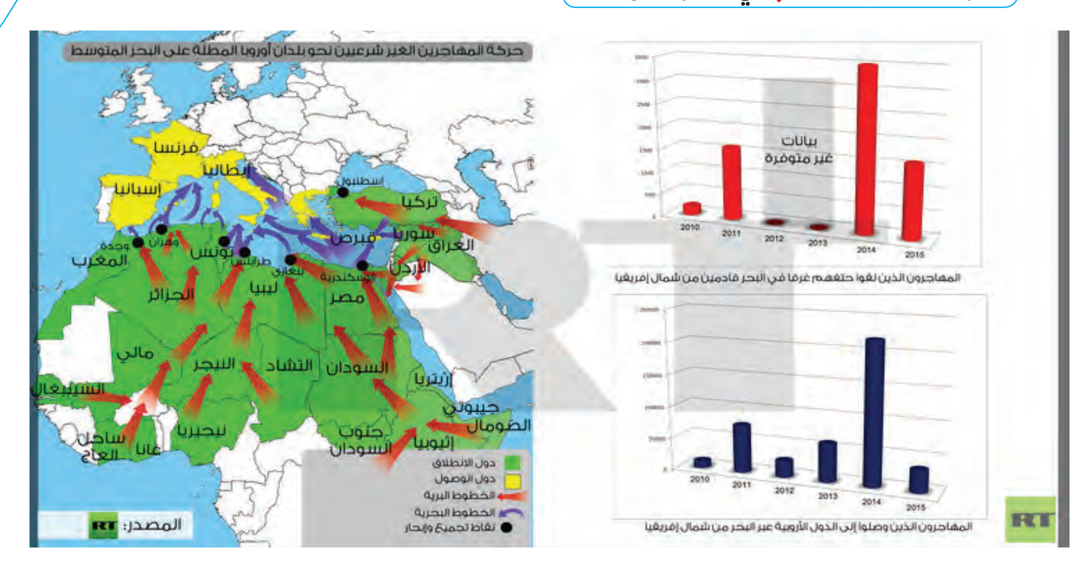
علماً ان الهجرة من محافظات الوسط والجنوب العراقي لها تاريخ لم يسلط الاعلام الضوء عليه بشكل كافٍ، ففي العام ٢٠١٤ صرحت السفيرة الاسترالية في العراق «ليندل ساكس» في بيان صحفي صدر عن مجلس محافظة ذي قار انه قد (دخل اكثر من ألف مهاجر عراقي إلى استراليا خلال عام واحد، ٢٠٪ منهم من محافظة ذي قار و٦٠٪ من محافظات الجنوب الأخرى)[٣].

وعليه (لم يشعر العراقيون بالصدمة حينما علموا ان أكثر المهاجرين العراقيين اللاشرعيين عبر البحر أو مقدونيا او تركيا الذين تدفقوا على أوروبا هم من مدن الجنوب والفرات الأوسط ومدينة الصدر ببغداد، بسبب الاوضاع المزرية التي يعيشها ابناء هذه المدن حيث وصلت نسبة من هم تحت خط الفقر الى ٣٠٪ لا سيما ان البطالة اصبحت حالة عامة بين الشباب خاصة الذين يتخرجون من الكليات

(١) الموسوعة الحرة (ويكيبيديا)- الاحتجاجات العراقية ٢٠١٥-٢٠١٦.

(٢) ينظر: خبر نشره موقع السومرية نيوز بتاريخ ٢٠١٥/٩/٢ تحت عنوان (نائب: أكثر المهاجرين الشباب من الجنوب والفرات الأوسط).

(٣) خبر نشرته صحيفة المدى برس بتاريخ ٢٠١٤/٩/٣ بعنوان (استراليا تشكو هجرة شباب ذي قار اليها بصورة غير شرعية ومجلس المحافظة يحذر من عمليات التحايل).



الذين لا يجدون اي اهتمام حكومي بهم)[١].

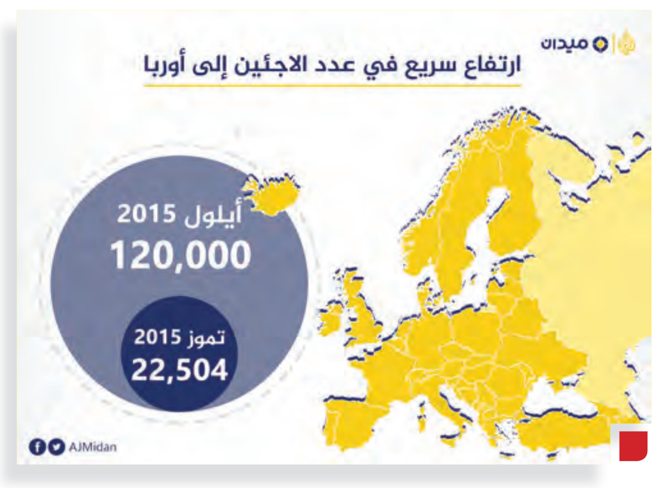
الجدير ذكره أن الحاجة الأقتصادية لدى كثير من الشباب المسلم الذين نزحوا من بلادهم لم تصل الى مستوى الاضطرار، وكمثال على ذلك فقد نشر موقع (تعليق مستنير) استطلاعا للرأي ورد في نتائجه: (ان الكثير من العراقيين الذين يمتلكون بالفعل وظائف جيدة ويعيشون في مناطق آمنة إلى حد ما يفكرون أيضا بمغادرة بلادهم من أجل حياة افضل، ويبدو أنهم يفكرون بذلك أولا وقبل كل شيء، حتى قبل التفكير بالحصول على وظيفة او منزل أو زواج)[٢]، وفي احصاء نشرته شبكة النبأ المعلوماتية تبين بأن أكثر من نصف العراقيين المهاجرين الى أوروبا كانوا موظفين قبل هجرتهم وبراتب يبلغ نحو ٥٠٠ دولار شهرياً [٣].

هذا وإن تداول الهجرة في مواقع التواصل الاجتماعي بين الشباب عمل على خلق نوع من التحفيز لدى شباب آخرين لم يقدح في ذهنهم ترك وطنهم لتحسين حالهم المعيشي، فكثير من الشباب يتأثرون عادة بمواقف اقرانهم في هذا الصدد، فيجدون ان خوضهم لغمار التجربة أفضل من الصبر على الحالة الراهنة في بلادهم.

(١) تقرير نشرته وكالة عراق برس بتاريخ ٢٠١٥/٩/٩ تحت عنوان (فقراء الوسط والجنوب على راس الفارين من العراق ..خبراء : لا جدوى من البقاء).

(٢) نشر في موقع (informed comment) تحت عنوان (فقدان الأمل، الشباب العراقي تحولوا الى مهاجرين غير شرعيين لإنقاذ أنفسهم) نشر بتاريخ ٢٠١٥/٨/٧.

(٣) العالم بالأرقام: ٢٠١٥ عام الهجرة.. ٢٠١٦ عام العودة – مصدر سابق.



٢- العامل الثقافي: أشرنا فيما سبق الى أن كثيرا من الشباب المسلم يعانون من إثارة مستمرة للغرائز نتيجة لاحتكاكهم غير المُقنن بوسائل الغزو الثقافي للعولمة – وعلى رأسها وسائل الاعلام المرئية- الى جانب تراجع الوازع الديني لديهم بسبب سوء التربية والتعليم الديني الذي يتلقونه منذ الصغر، وهذه الإثارة تحتاج بطبيعة الحال الى اشباعها، وعندما لا يجد الشاب بيئة اجتماعية تسمح له بهذا اللون من الإشباع فانه سيعاني من كبت نفسي.

وهذا الكبت النفسي يدفع المرء للبحث الدائم عن طرق لتنفيسه، والنزوح نحو المجتمعات الغربية احد الحلول المختارة لهذا الغرض، إذ لا ريب في أن الشعارات التي يرفعها الغرب حول كفالة الحرية الشخصية للأفراد تجعل كثيراً من الشباب المسلم توّاقون للهجرة نحوه، اذ يجدون فيه متنفساً مثالياً لتفريغ الكبت النفسي الذي يعانون منه في مجتمعاتهم، ومع ظهور أي فرصة تمكنهم من هذا الانتقال فانهم لا يترددون في السباحة نحو المجهول حتى لو كانوا ينعمون بحالة من الاستقرار الامني والاقتصادي في أوطانهم، لذا فان وسائل الاعلام والاتصالات الحديثة تلعب دوراً مهماً في تأثير العامل الثقافي المشجع على الهجرة الطوعية.

تجدر الاشارة الى أن ظاهرة هجرة الشباب المسلم الى بلاد الغرب بسبب العامل الثقافي غالبا ما ترافقها ردود فعل فكرية تمس حتى العقيدة التي ترعرع عليها الشاب في صغره، وظاهرة ترك الاسلام واعتناق الديانة المسيحية في بلاد المهجر احد الامثلة على ذلك[١].

(١) نشر موقع روسيا اليوم نقلا عن صحيفة (دايلي ميل) خبرا جاء فيه: (قام مئات المهاجرين المسلمين في ألمانيا بتغيير دينهم واعتناق المسيحية من اجل تقوية حظوظهم في الحصول على حق اللجوء في ألمانيا، فقد غير المئات من طالبي اللجوء -غالبيتم إيرانيون وأفغان- ديانتهم في كنيسة ترينيتي الإنجيلية في ضواحي برلين

التدفقات الهجرية من الدول العربية في اتجاه الاتحاد الأوربي

السنة	العدد
2004	192.8 ألف
2005	180.5 ألف
2006	184.5 ألف
2007	187.2 ألف
2008	191.7 ألف
2009	164.4 ألف
2010	149.5 ألف
2011	137.3 ألف
2012	141.2 ألف
2013	167.2 ألف
2014	238.5 ألف

AJMidan

وفي الحالة العراقية نجد أن صفحات التواصل الاجتماعي (فيسبوك) قد تضمنت العديد من المنشورات التي تعقد مقارنات تروج لسماحة الغرب اللاديني وقسوة الشرق المتديّن، حتى باتت تمتدح ظواهر غربية معينة (كتبرج المرأة وشرب الخمر) على انها سلوكيات محمودة الى جانب تعامل الغربيين مع البشر «بإنسانية»، وتذم ظواهر اسلامية معينة (كأداء الشعائر الدينية) على انها قشور تغطي وجهاً سيئاً من تعامل "المتدينين" مع الاخرين بقسوة[١].

هذا على الرغم من أن نزوح العراقيين من المناطق التي احتلتها داعش باتجاه محافظات الوسط والجنوب كانت تجربة قريبة تثبت بأن المؤسسات الدينية والافراد المتديّنيون هم الجهات الأبرز التي آوت النازحين وتعاملت معهم برحمة.

من جانب آخر فإن الاندفاع الذي كان يطغى على توجّهات الشباب العراقي باتجاه الانخراط في صفوف الحشد الشعبي ودعم القوات الامنية لمجابهة غزو (داعش) قد خبا بريقه على صفحات التواصل الاجتماعي وحلّ محله تداول مسألة الهجرة، هذا على الرغم من تلميحات بعض الناشطين السياسيين والاعلاميين بوجود مكيدة

(...) ويقول القس (مارتنز) إنه يعلم أن البعض غير ديانته من أجل تحسين حظوظهم في البقاء في ألمانيا، ولكنه لا يعتبر ذلك مهما حيث أن الغالبية -حسب رأيه- تعتنق المسيحية عن قناعة، نظرا لأن ١٠٪ فقط ممن تحولوا إلى الديانة المسيحية لم يعودوا إلى الكنيسة بعد التعميد) ينظر: ماذا وراء اعتناق مئات اللاجئين المسلمين في ألمانيا للمسيحية - روسيا اليوم- نشر بتاريخ ٢٠١٥/٩/٩.

(١) كعينة على ما يروّجه بعض الناشطين في موقع التواصل الاجتماعي (فيسبوك) حول هذا الموضوع، نُشرت صورة لنساء مسلمات يقفن في طابور امام شباك في احدى الضواحي الاوربية وكتب تحت الصورة: (هنا فرنسا.. هذا الطابور امامكم هو للحصول على فلوس الضمان الاجتماعي الذي يدفعه الكفرة لهم من الضرائب، اما لو كان الوضع معكوس فسيدفع الفرنسيون الجزية وهم صاغرون).

للتخفيف من دعم مقاتلي الحشد والقوات الامنية عن طريق فتح باب اللجوء الى الدول الاوربية، ففي استطلاع للرأي اطلقته (شبكة النبأ المعلوماتية) بتاريخ ٢٠١٥/٨/٢٩ تمثل بالسؤال الآتي: اذا كنت من الشباب العراقي فماذا ستختار؟ جاءت نسب التصويت كما يأتي: بالمرتبة الاولى: «المشاركة في المظاهرات» بنسبة (٤٤٪)، اما المرتبة الثانية جاءت لخيار الهجرة الى خارج العراق بنسبة (٣٠٪) بينما المرتبة الثالثة جاءت لخيار التطوع في الحشد الشعبي بنسبة (١٩٪)[١].

وعلى صعيد الحد من الهجرة الطوعية للشباب المسلم، فان الحالة العراقية تعد مثالا ممتازاً على هذا الصعيد ايضاً، فبعد تنامي ظاهرة هجرة الشباب الطوعية من العراق في النصف الثاني من العام ٢٠١٥، سرعان ما انكفأت خلال اقل من ٥ اشهر فقط، وبالذات مع مطلع العام ٢٠١٦ الذي يمثل عام العودة بالنسبة للشباب المهاجرين، وهي حالة مثالية لدراسة هذا التراجع السريع وفرصة ممتازة للبحث عن علاج مشكلة هجرة الشباب الطوعية.

فقد سجلت الاحصاءات أن الآلاف من المهاجرين العراقيين يودون العودة الى العراق مع بدء العام ٢٠١٦ لا سيما في دول الاتحاد الاوربي كالسويد والمانيا والدنمارك النمسا وفلّندا، وقد كشفت اجهزة الهجرة في فلّندا وحدها عن رغبة ٧٠٪ من طالبي اللجوء العراقيين في العودة الى بلادهم، وأن ما نسبته ٨٠٪ من العراقيين في المانيا تقدموا بطلبات عودة الى العراق بعد وصولهم الى اوروبا، وان ٣٠٠٠ مهاجر عراقي يعودون للعراق من ألمانيا كل شهر، وفي تشرين الثاني من العام ٢٠١٦ فقط عاد ٧٧٩ عراقيا من اوروبا بإرادتهم، وقد ساعدت الحكومة البلجيكية ١٥٠٠ لاجئ عراقي للعودة الى العراق، بالإضافة الى عودة ٢٠٠ مهاجر عراقي من تركيا[٢].

نحن نعتقد بأن العودة الارتدادية هذه تعد من اكبر الاسباب التي حدّت من ظاهرة

(١) تقرير نشرته شبكة النبأ المعلوماتية بتاريخ ٢٠١٥/٩/٦ تحت عنوان (ما هي الأسباب التي تدفع ببعض الشباب العراقي الى الهجرة او التطوع بالحشد الشعبي او المشاركة بالمظاهرات؟).

(٢) العالم بالأرقام: ٢٠١٥ عام الهجرة.. ٢٠١٦ عام العودة- مصدر سابق.

هجرة الشباب الى الخارج، وقد لعبت مواقع التواصل الاجتماعي وموقع يوتيوب دورا أساسياً في هذه القضية، اذ شاع فيها نقل فيديوهات شخصية لشباب مهاجرين يعرضون فيها قدرا كبيرا من معاناتهم ويصفون بشكل دقيق حالة الصدمة التي واجهوها وشعورهم بالذل في البلدان الغربية بسبب سوء الدعم الاقتصادي لهم وغياب العلاقات الاجتماعية التي يألفونها في بلادهم، وكثير من المهاجرين كانوا يفصحون في تلك الفيديوهات عن تفضيلهم للوضع العراقي على الوضع الغربي بكل عفوية وصراحة.

ولا ننسَ أن الشباب العراقيين المناهضين للهجرة قد لعبوا دورا مهما في الحد من الهجرة الطوعية، اذ كان لهم على مواقع التواصل الاجتماعي نشاط مؤثر، وقد تضمنت منشوراتهم نعوتاً تصف من يخرج من بلده بالخيانة لتركه في تلك الحالة العصيبة حيث التهديد الامني الذي يشمل العراق كله بسبب غزو داعش للموصل وغيرها من المحافظات.

ولكن يبقى السبب الاساس في خفوت حركة الهجرة هو الاوضاع السيئة التي عاشها اكثر المهاجرين في بلاد المهجر، فالبلدان المستقبلة للمهاجرين لم تكن تستطيع ان تستوعب الاعداد الهائلة من النازحين اليها، فعمدت الى وضعهم في حالة من التقشف المعيشي الصارم بحيث خيب آمال أغلب المهاجرين الطوعيين، علما ان بعضها كانت تشجع على عودة المهاجرين لبلدانهم كما فعلت ألمانيا التي منحت العراق قرضاً بـ ٥٠٠ مليون يورو لإعادة النازحين الى مناطقهم[1].

وعليه فان تأمين الوضع المالي للشباب هو الحل الجذري لقمع أزمة الهجرة الطوعية على صعيد العامل الاقتصادي، أما على صعيد العامل الثقافي فمن الحلول الفاعلة اهتمام المؤسسات الثقافية باستغلال مواقع التواصل الاجتماعي للتوجيه ضد خيار النزوح وكشف مساوئه، لما لهذه المواقع من تأثير ريادي في مجال صناعة الرأي العام، لتعمل على نبذ الهجرة الطوعية والتثقيف بمضارها بطريقة مدروسة.

(١) العالم بالأرقام: ٢٠١٥ عام الهجرة.. ٢٠١٦ عام العودة- مصدر سابق.



ثالثاً: الشباب والطلاق

يتعاطى المجتمع الاسلامي مع مفردة الطلاق بسلبية كبيرة، نظرا للثقافة الاسلامية التي تؤكد على ان الطلاق هو «ابغض الحلال»، وتترتب تبعا لذلك تداعيات اجتماعية على المطلقين، منها تحاشي التزوج بالمطلق أو المطلقة إلا وفق ظروف استثنائية، وذلك على عكس الدول الغربية التي تشيع فيها ظاهرة الانفصال بين الزوجين.

ولكن اللافت للنظر ان هذه المفردة - مع التعاطي السلبي الذي تواجهه من المجتمع- قد بدأت تتفاقم يوما بعد آخر في الدول الاسلامية، وقد تضمنت دراسة قام بها الباحث التربوي والاجتماعي (عباس سبتي) احصائية في ارتفاع ظاهرة الطلاق في الدول العربية جاء فيها ما يأتي:

أوضحت دراسة في المملكة العربية السعودية أجرتها وزارة التخطيط أن نسبة الطلاق ارتفعت في عام ٢٠٠٣ عن الأعوام السابقة بنسبة ٢٠٪، كما أن ٦٥٪ من حالات

الزواج التي تمت عن طريق طرف آخر أو ما يعرف بـ (الخاطبة) تنتهي هي الأخرى إلى الطلاق، وسجلت المحاكم والمآذين أكثر من ٧٠ الف عقد زواج ونحو ١٣ ألف طلاق خلال عام ٢٠٠١...

وفي قطر أكدت دراسة تناولت ظاهرة الطلاق في المجتمع القطري أن نسبة الطلاق بلغت ٨,٣١٪ عام ٢٠٠٠، في حين أوضحت دراسة أخرى عام ٢٠٠٣ وجود ٣١٩ حالة طلاق مقابل ٩٧٨ حالة زواج، وإن أكبر نسبة من المطلقين ٢٧٪ تتركز في الفئة العمرية ما بين ٢٥-٢٩ سنة، و١٩٪ تتركز في فئة ٢٠ -٢٤سنة، أما أكبر نسبة من المطلقات ٧٢,٣٤٪ فتتركز في الفئة العمرية من ٢٠-٢٤ سنة، بالإضافة إلى وجود ٤٧ حالة طلاق في الفئة العمرية ١٥-٢٩ عاماً، مما يعني أن أغلب المطلقين والمطلقات من الشباب.

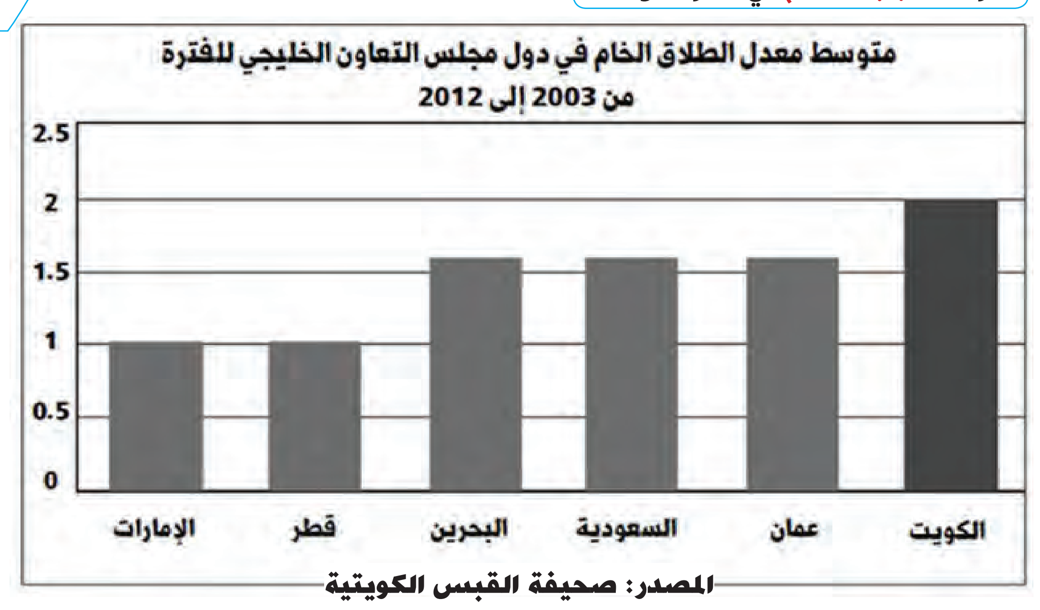
أما في دولة الإمارات المتحدة فقد بينت دراسة ميدانية للباحث عبد الرازق فريد المالكي بعنوان (ظاهرة الطلاق في دولة الإمارات العربية المتحدة.. أسبابه واتجاهاته..مخاطره وحلوله) أن ٧٦٪ من المطلقات لم تتجاوز أعمارهن ٣٩ عاماً، وهذا يدل على أن غالبيتهن من متوسطات العمر، وكشفت إحصائيات (محكمة أبو ظبي الشرعية الابتدائية) أنه منذ مطلع شهر يناير وحتى شهر سبتمبر من عام ٢٠٠١ فقط تم تسجيل ٦٢٦ عقد زواج مواطن ومواطنة وقابلها ما يقارب ٢٢٥ حالة طلاق إشهاد وإثبات لمواطنين من مواطنات... وذكرت دراسة أخرى صدرت عن (مركز الدراسات والبحوث الإستراتيجية في أبو ظبي) أن أغلبية المطلقات وتبلغ نسبتهن ٧٦٪ مازلن شابات عند الطلاق لا تتجاوز أعمارهن ٣٩ عاماً وأن ١٩٪ من المطلقات كنّ صغيرات السن، وأوضحت الدراسة أن ٥٨٪ من المطلقات لا تستمر حياتهن الزوجية أكثر من ثماني سنوات، بينما لم تستمر ٣٢٪ من المطلقات سوى سنة إلى خمس سنوات في حياة الزوجية، وهذا يعني أن مجتمع الإمارات الذي يواجه مشكلات عنوسة يضيف إلى مشكلاته الاجتماعية عبئاً ضخماً اسمه الطلاق.



وفي دولة الكويت أظهر تقرير إحصائي أن إجمالي المتزوجين في الكويت بلغ ما يقرب من ٩٧٦ ألف متزوج ومتزوجة في عام ٢٠٠٢، وقال التقرير الخاص بالمجموعة الإحصائية السنوية الذي أصدره قطاع الإحصاء والمعلومات في وزارة التخطيط: إن إجمالي عدد المطلقين في الكويت حتى العام المذكور بلغ ما يقرب من ٣٦ ألف حالة طلاق، وأضاف التقرير أن إجمالي الذكور الكويتيين المطلقين بلغ تقريباً أكثر من سبعة آلاف، فيما بلغ إجمالي الإناث الكويتيات المطلقات حوالي ١٧ ألف حالة، وتشير إحصاءات أخرى نشرتها إدارة التوثيقات الشرعية بوزارة العدل في الكويت إلى أن نسبة الطلاق بلغت ٤٠٪ خلال النصف الأول من عام ٢٠٠٣.

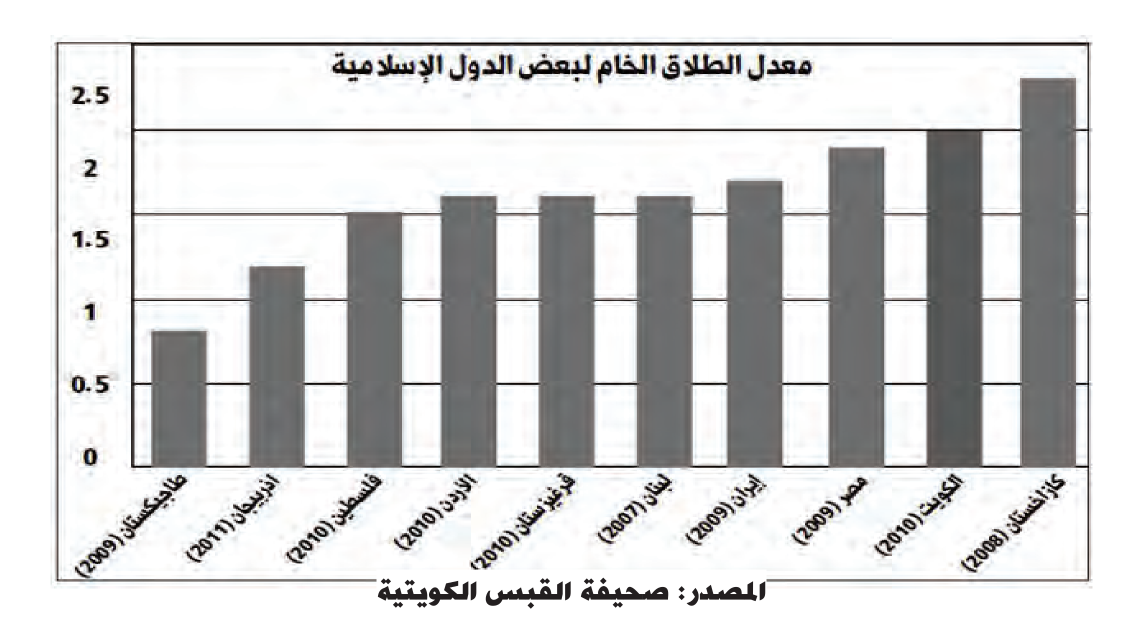
أما في مملكة البحرين فقد ارتفعت نسبة المطلقات في البحرين مع نهاية عام ٢٠٠٢ لتصل إلى ٣٠٪ مقابل ١٥٪ في عام ١٩٩٤، وتشير الإحصائيات إلى أن عدد حالات الطلاق بين المواطنين البحرينيين وصل إلى ٥٤٣٤ حالة في العام نفسه[1].

(١) ينظر: دراسة تحليل أسباب ظاهرة الطلاق- عباس سبتي- مركز المنشاوي للدراسات والبحوث- نشر بتاريخ ٢٠١٢/٨/٢.



المصدر: صحيفة القبس الكويتية

وفي لبنان ارتفعت نسبة حالات الطلاق من ٤٪ من مجموع حالات الزواج في تسعينات القرن الماضي إلى نحو ٣٥ - ٤٠ ٪ في الوقت الحاضر نصفها حصل في السنة الأولى من الزواج؛ ففي عام ٢٠٠٧ سجّلت المحاكم المسيحيّة والسنّية ٥٨٥٩ عقد طلاق مقابل ٣٥٧٩٦ عقد زواج منها ٥١٢ معاملة طلاق و٦٢٠ معاملة زواج في المحكمة الشرعيّة السنّية في بيروت، أما المحكمة الجعفريّة الرئيسة في بيروت فقد سجلت ٣٩٩ عقد طلاق مقابل ١٢٨٩ معاملة زواج، وفي العام ٢٠١٠



المصدر: صحيفة القبس الكويتية

سجّلت المحاكم المسيحيّة والسنّية ٤١٧٥٨ عقد زواج مقابل ٥٨٩٧ عقد طلاق، وفي العام ٢٠١٤ بلغت أرقام عقود الطلاق ٧١٨٠ حالة لدى مجموع الطوائف في لبنان، في حين سجّلت المحاكم المسيحيّة والإسلاميّة ٤١٧١٧ عقد زواج في العام نفسه، وقد سجّلت المحكمة الجعفريّة في النبطيّة وقضائها لوحدها نسبة طلاق وصلت إلى ٢٥٪[١].

أما في العراق فطبقاً لإحصاءات دورية رسمية فإن مجموع حالات الطلاق وصل إلى ٥١٦,٧٨٤ حالة خلال الأعوام من ٢٠٠٤-٢٠١٤، في حين كان مجموع حالات الزواج ٢,٦٢٣,٨٨٣ خلال هذه المدة، ما يعني أن حوالي٢٠٪ من هذه الزيجات انتهت بالطلاق، وتُظهر الإحصاءات أن حالات الطلاق تتصاعد تدريجياً حتى تبلغ ذروتها في عام ٢٠١١ بواقع ٥٩,٥١٥ حالة، بينما سجّل عام ٢٠٠٤ أدنى نسبة خلال العقد الماضي بواقع ٢٨,٦٩٠ حالة طلاق، وفيما سجّل العام ٢٠٠٤ نفسه أعلى نسب الزواج بمعدل ٢٦٢,٥٥٤، شهد العام ٢٠٠٧ أدنى نسب الزواج بواقع ٢١٧,٢٢١ حالة[٢].

ووفقا للإحصاءات المتقدمة، فان معدل ازدياد ظاهرة الطلاق في المجتمعات الاسلامية قد ارتفع اجمالاً مع مطلع القرن الواحد والعشرين، وتحديداً بالتزامن مع توغل جذور العولمة في نسيج المجتمعات الاسلامية بفعل انتشار وسائل الاعلام والاتصالات الحديثة كالبث الفضائي(الستلايت) والشبكة العنكبوتية(الانترنت)، وذلك ما دفع بعض الباحثين الى ربط اسباب زيادة نسبة حالات الطلاق بظاهرة الغزو الثقافي للعوائل المسلمة بفعل توفر وسائل الاعلام والاتصالات الحديثة تلك.

ولكن وفقا لمتابعين وباحثين آخرين، فإن قسما كبيراً من اسباب ارتفاع نسبة الطلاق يعود الى الوضع الاقتصادي المتردي الذي تعيشه تلك المجتمعات، كالفقر والبطالة

(١) ينظر: الطلاق بين الرجل والمرأة يشهد نموًّا متزايدًا في العالم- جان م صدقه- صحيفة النهار- نشر بتاريخ ٢٠١٥/١٠/١٧.

(٢) ينظر: ارتفاع حالات الطلاق في العراق معظمها بطلب الزوجات – د. اسامة مهدي- صحيفة ايلاف- نشر بتاريخ ٢٠١٥/٥/٣.

والفرق الطبقي الفاحش في الدخل الاقتصادي بين الافراد.

لذلك، وعلى غرار الاسباب الموجبة لانتشار ظاهرة الانتحار والهجرة الطوعية، فان اهم العوامل التي تساعد على زيادة حالات الطلاق في المجتمعات الاسلامية تعود الى عاملين اساسيين هما: العامل الثقافي والعامل الاقتصادي[1]، لذا أكد القاضي العراقي (سعد الإبراهيمي) على أن ٥٠٪ من أسباب الطلاق تعود الى الحالة الاقتصادية، إضافة إلى التدخلات الاجتماعية من ذوي الشريكين وما تتركه من آثار سلبية على الحياة الزوجية، وأخرى تتعلق بالجانب الثقافي وهو تفاوت المستوى العلمي والثقافي بين الشريكين الذي يؤدي إلى عدم التفاهم والانسجام[2].



العام	عدد حالات الطلاق	فرق عدد حالات الطلاق
2004	28,690	
2005	33,348	بزيادة 4,658
2006	35,897	بزيادة 2,549
2007	41,536	بزيادة 5,639
2008	44,116	بزيادة 2,580
2009	52,649	بزيادة 8,533
2010	53,840	بزيادة 1,191
2011	59,515	بزيادة 5,675
2012	59,200	بنقصان 3,15
2013	55,551	بنقصان 3,649
2014	52,442	بنقصان 3,109
2015	52,465	بزيادة 23
2016	56,594	بزيادة 4129
2017	70097	بزيادة 13,503

(١) ارجع ممثل المرجعية في العراق الشيخ عبد المهدي الكربلائي اسباب انتشار حالات الطلاق في البلاد الى ضعف الوعي الديني والاجتماعي بما يتعلق بالحقوق والواجبات بين أفراد الأسرة، مشيرا الى خطورة الاستخدام السيء لوسائل التواصل الاجتماعي بدل توظيفها في المجال العلمي والاجتماعي، والأخطر من ذلك انجذاب العديد من الأزواج لبعض الأفلام والمسلسلات التي تروج لما يخالف عادتنا واستبدالها بأخرى بعيدة عن جوهر ديننا، مشيرا الى أن ظاهرة البطالة لها تأثير أيضا في تزايد الطلاق (ينظر: المرجعية تحذر من اتساع حالات الطلاق في العراق- موقع راديو المربد- نشر بتاريخ ٢٠١٦/١٢/٢.

(٢) ينظر: ارتفاع حالات الطلاق في العراق معظمها بطلب الزوجات - مصدر سابق.

وفيما يأتي موجز حول طبيعة تأثير العاملين الاساسيين لانتشار الطلاق:



١- **العامل الثقافي:** يمثل الغزو الثقافي السبب الابرز في ازدياد ظاهرة الطلاق في المجتمعات الاسلامية، ففي عصر العولمة تقوم وسائل الاعلام والاتصالات الحديثة بإعادة تشكيل ثقافة المجتمع الاسلامي على ضوء اسس غربية، فأخذت تسود ظواهر مجتمعية باتت تضعف من تماسك بناء الأسرة المسلمة، مثل ثقافة انخراط المرأة في الوظائف الذي يمنحها استقلالا مالياً وصلابة في الشخصية يجعلها تميل للانفصال عن الزوج بمجرد ظهور امارات الخلاف العائلي، فضلا عن انتشار المواقع الاباحية واستخدام وسائل التواصل الاجتماعي بشكل سيء، بحيث يدفع الشاب للبحث عن وسائل لإشباع غريزته خارج اطار الزواج، وكل ذلك يؤدي بطبيعة الحال الى اضعاف اواصر العلاقة الزوجية وصولا الى الطلاق.

تقول الكاتبة (منال داود): (إن الانفتاح المجتمعي على العالم عبر وسائل الاعلام والمعلوماتية من انترنت وصحون لاقطة

ساهم كثيراً في إشاعة نمط ثقافة غربية غريبة على المجتمع العراقي، ما جعل حالة الطلاق مقبولة نسبيا لدى الفتاة والشاب، فالأولى اخذت تسعى إلى أن تكون أكثر استقلالية عن الرجل، والثاني اصبح يحبذ اقامة علاقات عاطفية متعددة مع أكثر من فتاة بعيدا عن بيته وزوجته ما يؤدي الى فشل العلاقة الزوجية بينهما)[١].

هذا وتلعب الافلام والمسلسلات ذات النمط الغربي دوراً مهما في تشويه نظرة الشاب او الشابة الى الطبيعة الحقيقية لعلاقة الزواج، إذ ان من شأن هذه المسلسلات أن ترفع من مستوى التوقعات العاطفية الى مديات خيالية في نظر الشباب تجعلهم يطمحون بتأسيس حياة زوجية مثالية، وعندما لا يجدون لها واقعا سرعان ما ينفرون منها.

يقول الباحث النفسي (د. خالد المهندي): ان هذه المسلسلات من خلال ما تعرضه من مشاهد عاطفية مبالغ فيها تؤثر على سيكولوجية ونمط سلوك مجتمعنا العربي والإسلامي، وذلك التأثير يؤدي إلى انجراف عاطفي مبالغ فيه أو غير مبرر، وهو ما يولد نوعا من الاستراتيجية الخاطئة في تركيبة النفس البشرية وفي سلوك الفرد.

وأضاف المهندي: أن من ضمن الأفكار السلبية التي تتضمنها تلك المسلسلات تصوير الحياة بشكل مغاير عن الحقيقة والواقع، ما يؤدي إلى خلق حالة السخط وعدم الرضا نتيجة المقارنة في بعض الأحيان بين التخيل والحقيقة، والانجراف للعيش في واقع افتراضي يستمد قيمه وتفاصيله من الدراما، مؤكدا أن من أساسيات برامج العلاج النفسي هو إقناع الفرد أنه لا توجد حياة بدون مشاكل أو عقبات وصراعات، وأن تلك الحياة المثالية لا توجد على أرض الواقع.

وأشار المهندي إلى أن كمية المشاعر والعواطف التي تبثها تلك المسلسلات أحدثت خللا في التركيبة الأسرية لمجتمعنا، فأصبحت كل امرأة تنتظر من زوجها أن

(١) اسباب تزايد حالات الطلاق في المجتمع العراقي- منال داود – صحيفة الصباح – نشر بتاريخ ٢٠١٢/١٢/١٧.

يكون مثل «مهند» بطل الدراما التركية، ومن هنا يحدث الصراع بين الرجل والمرأة، بين التعايش في الواقع والخيال، ومن ثم تحدث المشاكل التي قد تؤدي للطلاق الوجداني أو الطلاق الفعلي في بعض الأحيان[١].

ومما يعزز من تأثير الغزو الثقافي في هذا المجال هو تقصير المؤسسات الحكومية والخاصة في القيام بواجبها الكامل للحد من هذه الظاهرة، فالتوعية الثقافية في هذا الصدد مع تفعيل دور الباحث الاجتماعي لحل ازمات الزوجين لها دور كبير في الحد من تمدد المشكلة.

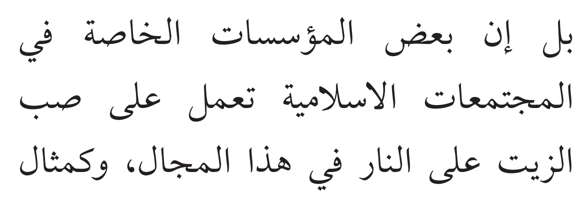
يقول الدكتور (فوزي بن دريدي)[٢]: (أفرزت العولمة غير المدروسة آثارا سلبية على المجتمعات العربية من خلال تفكك الروابط الأسرية والتضامنية الاجتماعية المختلفة، فكانت نماذج الحرية الاقتصادية الاجتماعية والثقافية على النمط الغربي إحدى أهم عوامل ازدياد حالات الطلاق في المجتمعات العربية، فالنموذج الغربي لا يعير أهمية كبيرة لمؤسسة الزواج، كما أن الحرية الفردية سابقة عن الحرية الاجتماعية، فيصبح إذ ذاك الحديث عن الزواج أو الطلاق - أو حتى العنوسة- أمرا لا يحتل مكانة مهمة داخل المؤسسات الاجتماعية الغربية، فالزواج والطلاق في الولايات المتحدة الأمريكية على سبيل المثال يعتبران من الحريات الفردية التي تمأسست ضمن إعلان الاستقلال في ١٧٧٦، وهكذا فإن دور الدولة المركزية يصبح جد هامشي، في المقابل توجد مجموعة من المؤسسات الخاصة والفاعلين الاجتماعيين من قطاعات خارج طبية، يكون هدفها مقتصرا على دعم الأسرة الأمريكية المتوسطة التي تتعرض للطلاق.

هذا النموذج أثّر في الشباب العربي بحيث أصبح يعتبر أن المعايير الثقافية الغربية كاملة غير قابلة للانفصال، وبالتالي نقد أو محاولة للفصل بين المرجعيات الدينية الأخلاقية والاجتماعية العربية وتلك الوافدة من الغرب، كما أن عدم وضوح وعدم

(١) آثار نفسية خطيرة تسببها الدراما المدبلجة – صحيفة الراية القطرية- نشر بتاريخ ٢٠١٤/١٢/٢٥.

(٢) مدير مخبر الشباب والمشكلات الاجتماعية في الجزائر.

فعالية النماذج المحلية الخاصة أدى إلى ابتعاد الشباب عنها شيئا فشيئا ليجد نفسه يتقمص الأطر الوافدة بشكل كامل، إنها مشكلة هوية المجتمعات العربية وعدم التجديد الذي أصاب المؤسسات العربية مجتمعة، هذه المشكلة انعكست على هوية الفرد العربي فأصبحت الدائرة إذ ذاك مغلقة)[١].



المصدر: صحيفة القبس الكويتية

بل إن بعض المؤسسات الخاصة في المجتمعات الاسلامية تعمل على صب الزيت على النار في هذا المجال، وكمثال على ذلك دور بعض منظمات المجتمع المدني العراقية التي ما فتئت تزرع بذور الشقاق داخل العوائل بحجة الدفاع عن حقوق المرأة، وقد اشار الى ذلك الخبير القانوني (طارق حرب) قائلا: (تتحمل منظمات المجتمع المدني التي تتقاضى أموالاً من الولايات المتحدة الأميركية والتي انتشرت خلال الأعوام الماضية مسؤولية ارتفاع نسبة الطلاق، حيث تعمد المسؤولات والعاملات في تلك المنظمات على إقامة مؤتمرات لا عد لها، وهي بمجملها مؤتمرات تحرض المرأة على إتباع النمط الأميركي في التعامل، وتعتبر تلك المنظمات أن أي كلمة يقولها الزوج لزوجته تعتبر إساءة بالغة، وتطالب المنظمات بتطبيق اتفاقيات (سيداو) وغيرها غير مدركات لخصوصية وتفرد المجتمع العراقي.

وأردف: لماذا لا تعمد مسؤولات منظمات المجتمع المدني إلى تكريس مفهوم قدسية الزواج بدلا من التطبيل والتزمير لأفكار أميركية لا تصلح في مجتمعاتنا العربية والعراقية على وجه التحديد؟)[٢].

(1) ينظر: واقع وآثار الطلاق في الوطن العربي- د. فوزي بن دريدي- مركز اسبار للدراسات والبحوث والاعلام- نشر بتاريخ 1/3/2016.

(٢) حالات الطلاق في العراق في إزدياد مضطرد- صباح الخفاجي- صحيفة ايلاف- نشر بتاريخ ٢٠١٠/٥/٢٣.



هذا ويتضمن العامل الثقافي الذي يزيد من ظاهرة الطلاق بين الشباب أعرافاً محلية قديمة لم يتم معالجتها داخل المجتمعات الاسلامية بشكل فاعل، فقد (يكون سبب الطلاق هو الزواج بناء على رغبة الاهل او بسبب اواصر القرابة القوية التي تجبر الرجل على الزواج من احدى قريباته دونما رغبة منه، وهذا يحدث خصوصا في المحافظات التي يغلب عليها الطابع العشائري، وبين الأعوام ٢٠٠٣ و٢٠٠٩ وجدت ظاهرة الطلاق القسري لأسباب طائفية بين العراقيين مكانها بين اسباب الطلاق الاخرى، ويحتل العنف البدني او النفسي الذي قد تتعرض له الزوجة على يد زوجها مركزا مهما بين اسباب انتشار ظاهرة الطلاق في مجتمعنا أن تعرّض الفتيات للعنف يعدّ سببًا في انتشار حالات الطلاق، كما إن تدخلات الأهل تساهم في بعض الأحيان في زيادة فرصة حصول الطلاق)(١).

(١) اسباب تزايد حالات الطلاق في المجتمع العراقي- مصدر سابق.

وعلى كل حال فان أحد أهم الحلول التي ينبغي وضعها للحد من هذه الظاهرة رفع مستوى الوعي الثقافي لدى الشباب المقبلين على الزواج وإلفات نظرهم الى طبيعة هذه العلاقة الاجتماعية المهمة وما يترتب عليها من حقوق ومسؤوليات، والاهم من ذلك القضاء على روح النرجسية والفردانية التي باتت تستشري في نفوس افراد المجتمع بفعل الغزو الثقافي للعولمة، إذ تؤدي ثقافة الاستهلاك الى طغيان النزعة المادية وتقديمها على كل شيء آخر، بحيث تؤثر حتى على تشخيص الأولويات، وهذا ما نجده واضحا اليوم (عند اختيار الزوج او الزوجة، حيث طغت النظرة المادية بشكل ملفت للنظر، فترى أهل المرأة المخطوبة يسألون عن الوضع المالي والممتلكات الشخصية للرجل الخاطب قبل السؤال عن شخصه وعائلته وواعزهم الديني والأخلاقي، بل المهم عندهم أن تكون الزوجة مرفهة بعد الزواج دون الاهتمام بمدى الترابط والانسجام الاسري بين الزوجين، وبالتالي ربما يوجد ما يعكر هذا الترابط ولن يكتشف الا بعد الزواج وتحدث حينها الصدمة للجميع والخاسران الوحيدان في ذلك هما الزوجان واولادهما ان وجدوا حينما تنتهي حكاية الزواج بخاتمة الطلاق المأساوية)[1].

٢- **العامل الاقتصادي:** يتمثل العامل الاقتصادي المُسبب لارتفاع حالات الطلاق بين الشباب بالفقر والعوز، إذ يدفع الشاب الى التخلي عن مسؤوليات العائلة بالهروب منها واللجوء الى الطلاق، وفي هذا الصدد يقول الخبير الاقتصادي (يحيى الناصر) في معرض حديثه عن ظاهرة الطلاق في العراق إن (أهم أسباب ظاهرة الطلاق داخل المجتمع العراقي تعود إلى العوامل الاقتصادية بالدرجة الأساس، مشيراً إلى أن «طبيعة المتغيرات التي طرأت على المجتمع بعد أحداث ٢٠٠٣، فرضت على الفرد العراقي الانتقال خلال فترة وجيزة جداً بين بيئتين مختلفتين تماماً، وأعني من مجتمع منغلق على نفسه إلى مجتمع منفتح بشكل كامل، هذا الانتقال أفقده طبقة مهمة جدّاً، وهي الطبقة الوسطى التي تعد العمود الأساس للمجتمعات، فطغت

(١) ارتفاع عدد حالات الطلاق.. الاسباب والمعالجات (دراسة مختصرة)- اسعد كمال الشبلي- موقع كتابات- نشر بتاريخ ٢٠١٦/١/١١.

طبقتان على المشهد العراقي ألا وهي طبقة الغنى الفاحش وطبقة الفقر المدقع، وطافت على السطح أمراض مجتمعية جديدة كالبطالة التي قدرتها الأمم المتحدة ووزارة التخطيط بأكثر من ٥٢٪ في عام ٢٠١٤، وكذلك الفقر الذي ارتفع لأكثر من ٣٢٪، ناهيك عما انتجته حالة الاقتتال وعدم الاستقرار الأمني من وجود ما يقرب من ١,٦ مليون أرملة، وما يقرب من خمسة ملايين يتيم، وانتشار ظاهرة تعاطي المخدرات والعنف المجتمعي، ووسط هذه المشاكل التي تثقل كاهل الشباب الذين لا يستطيعون تحملها أو حلّها للحفاظ على أسرهم، نجدهم يلجؤون إلى الهروب من الواقع، بالإضافة إلى حالة الفساد التي تسود المجتمع، ويشجعها انتشار عادات غريبة عن مجتمعنا وكثرة القنوات التي تدعو إلى الفساد والتفكك الأسري وجنوح الشباب والمراهقين وقلة الوازع الديني)[١].

وعلى هذا الأساس ولا يخلو العامل الثقافي من أثر في العامل الاقتصادي بزيادة تأثيره في ارتفاع حالات الطلاق، فالتربية التي ينشأ عليها الشاب أو الشابة تفقدهما الاحساس بتحمل المسؤولية أو تناسي الأولويات.

(١) ينظر: (ارتفاع حالات الطلاق في العراق) - ميمونة الباسل - صحيفة العربي الجديد- نشر بتاريخ ٢٠١٥/٢/٢.

وختاماً نؤكد على ان الحد من تفاقم ظاهرة الطلاق بين الشباب المسلم اليوم تقع على عاتق الجميع من دون استثناء، وهذا عينه ما أكد عليه ممثل المرجعية الدينية الشيخ الكربلائي حين قال: (إذا كانت المؤسسات الحكومية غير قادرة فإن المسؤولية الدينية والإنسانية تحتّم على الخطباء والآباء والأمهات وإدارات المدارس والجامعات أن تنهض بأداء مسؤولياتها لوضع خطط مناسبة لتضييق دائرة هذه الظاهرة وعدم السماح بتصاعدها ودراسة أسباب بروزها)(١).



(١) المرجعية تحذر من اتساع حالات الطلاق في العراق- مصدر سابق.



رابعا: الشباب والتحرش الجنسي:

نقصد بالتحرش هنا: هو نوع من الاعتداء الجنسي الذكوري تجاه الأنثى خلافا لرغبتها؛ لا يصل الى حد الاغتصاب ويقع خارج نطاق العلاقة الزوجية.

وبهذا المعنى يستحق التحرش الوقوف عنده قليلا وقراءته بتأن، باعتباره سلوكا لا يحقق غالبا فائدة حقيقية للمتحرّش سوى التسبب بالأذى اللفظي أو الجسدي للضحية، وعلى هذا الاساس يمكن اعتبار التحرش نتيجة لمشاكل نفسية يعاني منها المتحرش، وبذلك يكون التفسير النفسي هو الوسيلة الاقرب لمعرفة أسباب هذا اللون من السلوك.

تقول الباحثة اقبال الغربي: (التحرش الجنسي ليس قضية جنسية بقدر ما هو قضية سلطة ونفوذ، فهو انعكاس للتفاوت الطبقي أو الجنسي بين المرأة والرجل وللعلاقات غير المتكافئة بين العامل ورب العمل، بين الموظف والمسؤول، بين

التلميذ والمعلم، بين الطفل والكهل، إنّ البشر أثناء الإنتاج الاجتماعي لمعيشتهم يقيمون فيما بينهم علاقات معيّنة ضرورية مستقلّة عن إرادتهم، وتطابق علاقات الإنتاج التفاضلية السائدة.

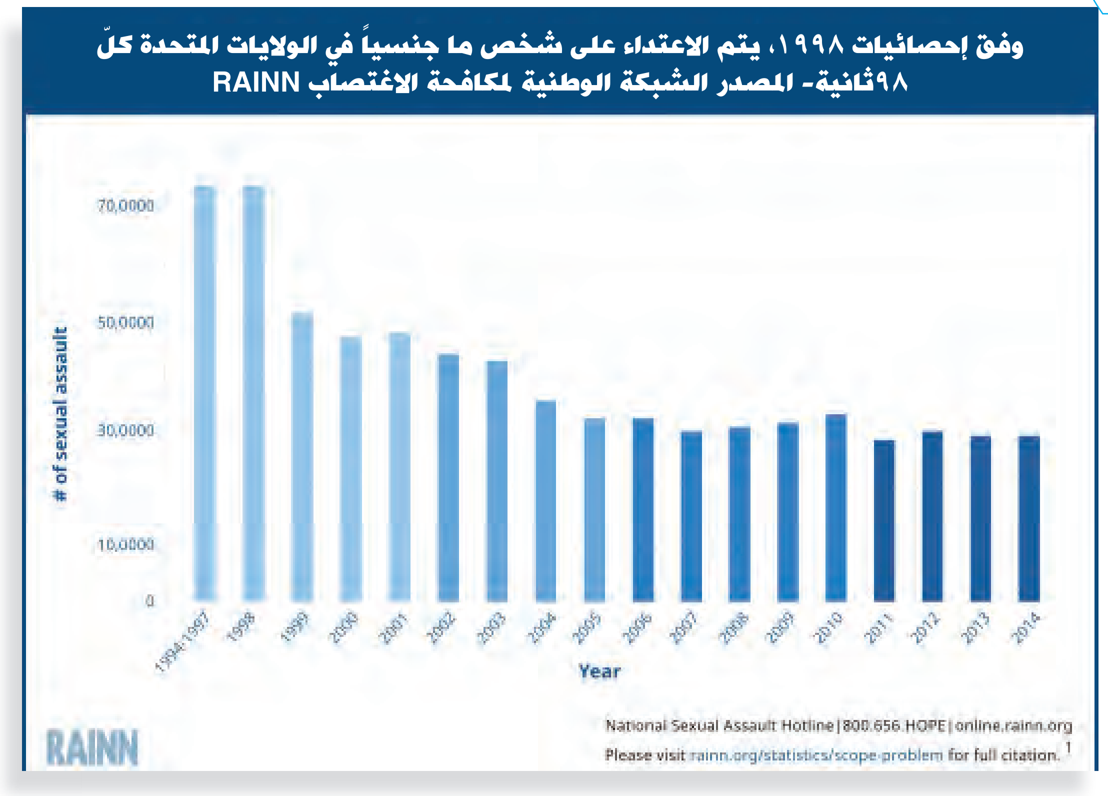
وفي هذا الصدد تظهر لغة الأرقام أن العاملات المنزليات هن من أكثر الفئات التي تتعرض للتحرشات الجنسية في جميع أنحاء العالم، فالعاملة المنزلية تمثل في المخيال الجمعي نموذج المرأة الفريسة وخادمة الشهوة الجماعية، وهي تعيد إنتاج الصورة القروسطية لمِلْك اليمين والأمة المستباحة شرعاً دون زواج...

وفي ظل علاقات شغل سلطوية وغير متكافئة تتعرض العاملات والموظفات إلى المساومة الجنسية عندما يصبح عرض العمل أو شروط العمل أو الترقية أو إعادة التوظيف أو استمرارية الوظيفة رهيناً بقبول الشخص للإيحاءات الجنسية غير المرغوبة أو بمدى احتماله لها.

وتوصلت نتائج الدراسة التي أنجزتها المنظمة التونسية لمناهضة العنف ضد المرأة والتي شملت عينة تتكون من ٥٠٠٠ امرأة يمثلن مختلف فئات المجتمع محجبات وسافرات إلى أن ٦٧٪ من النساء التونسيات تعرضن للعنف الجسدي والمعنوي والجنسي خلال عامي ٢٠١١ و٢٠١٢ وتؤكد الدراسة أن استفحال البطالة والفقر

والشعور بالحرمان إضافة إلى انسداد الآفاق أججت حالة من الضغط النفسي على الأفراد وحولتهم إلى شخصيات عدوانية تستبطن استعدادا لممارسة العنف المجاني.

فالعامل يعيش عملية استنزاف للجسد لصالح رب العمل وعملية استنزاف للوجدان نتيجة للإحساس بالاستغلال دون القدرة على الرد و العاطل عن العمل يفتقر إلى هوية اجتماعية مع شعور ساحق بالعجز و احتقار الذات والكل يتحولون إلى قنابل موقوتة جراء البؤس الجنسي و الحرمان العاطفي ويلجؤون إلى التحرش الجنسي لتفريغ جزء من هذه المعاناة.



فالتحرش سلوك عنصري غير شرعي يمارسه الأقوياء ضد الضعفاء، والذكور ضد الإناث، والرؤساء ضد المرؤوسين، والكبار ضد الأطفال أو القاصرات، والبشر ضد الحيوانات في بعض الحالات...

أما على المستوى النفسي فيكشف التحرش الجنسي عن شخصية هشّة و صبيانية لا تعترف برغبة الآخر، تحتاج إلى تشييء المرأة لتأكيد الذات أمام النفس وأمام الآخرين عاجزة عن إقامة علاقات صحية وندية مع المرأة، وغالبا ما يكون المنحرف أسير رغبة السيطرة ومتعة التحكم في الطرف الآخر ومحاولة تطويعه وإخضاع إرادته، فالمتحرش الجنسي يمكن أن يكون إنسانا خجولا ومنطويا على نفسه وينتهز الزحام والذوبان ضمن الحشد لإثبات هيمنته وفحولته على الجنس الأضعف وهو يستمتع بنظرات الاستغراب والقرف من طرف ضحيته)[١].

(١) ينظر: (التحرش الجنسي ليس قضية جنسية بل هو مسالة سلطة و نفوذ)- اقبال الغربي- موقع الحوار المتمدن- نشر بتاريخ ٢٠١٣/٣/١١.

وقد ارتفعت نسبة التحرش في المجتمعات الاسلامية بشكل ملفت للنظر خلال العقود الاخيرة، وفي نظرة عامة حول الآراء التي تناولت اسباب ارتفاع هذه النسبة، وجدنا أن هنالك اتجاهان سائدان لتفسير ذلك:

الاتجاه الاول: يحمّل الدين الاسلامي المسؤولية في انتشار التحرش، بدعوى انه يمنع الاختلاط بين الجنسين، ومن ثم فإنه يسبب كبتاً جنسياً يدفع الشاب لهذه الممارسة.

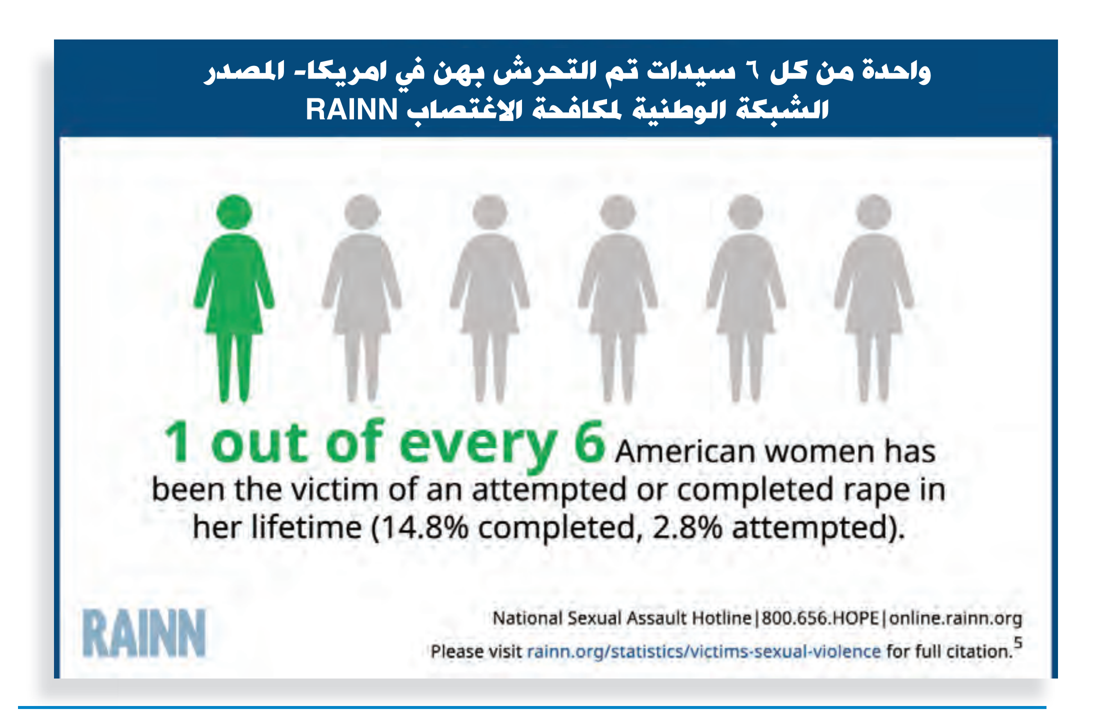
الاتجاه الثاني: يحمّل الغزو الثقافي الغربي المسؤولية الكاملة، بدعوى أنه يحفز المشاعر الجنسية لدى الشاب عن طريق الوسائل الاعلامية ذات الثقافة الغربية.

ولكن مع الاخذ بنظر الاعتبار الاحصاءات التي تشير الى انتشار التحرش الجنسي بالنساء سواء في البلدان الاسلامية أم غيرها، نجد أن كلا الاتجاهين لا يؤديان الى التفسير الصحيح للظاهرة.

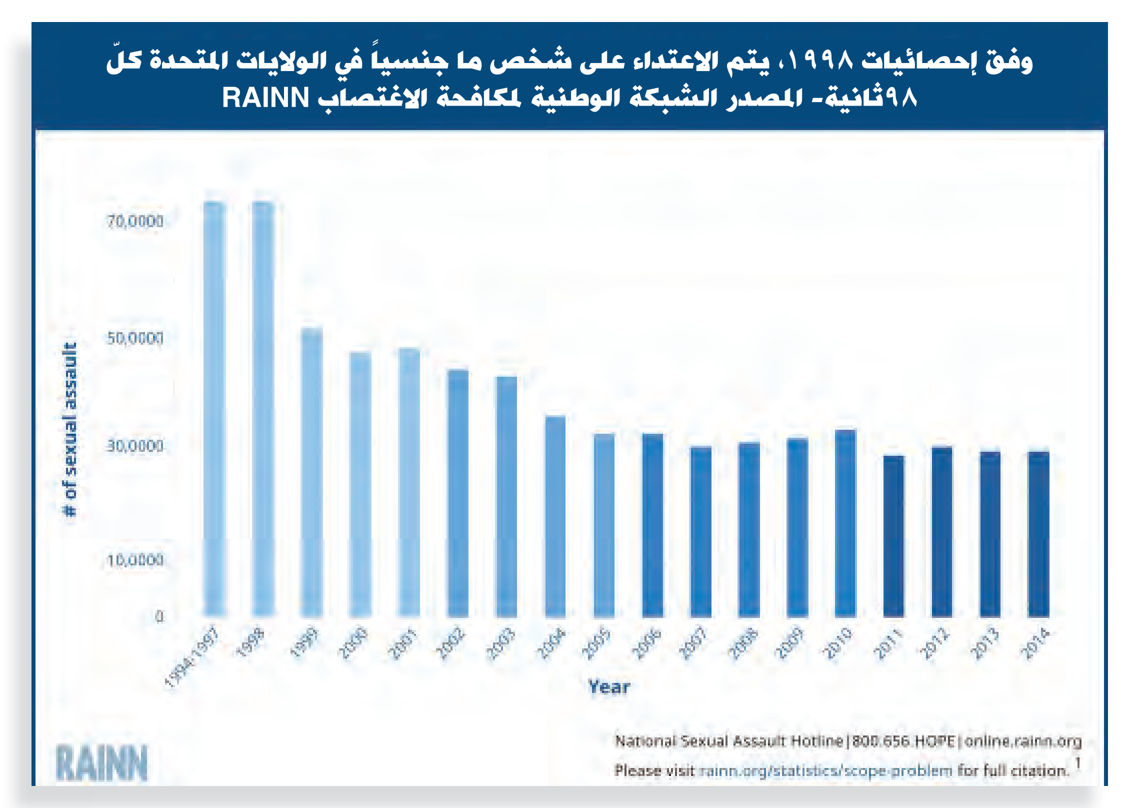
فمن جانب الدول الغربية، نجدها تعاني من ظاهرة التحرش بشكل مهول مع انها دول منفتحة ولا تسن أي تشريع يمنع الاختلاط أو يقيد الحرية الجنسية، فبحسب هيأة الفرص الوظيفية المتساوية (Equal Employment Opportunity Commission) في امريكا، بلغ (عدد شكاوى التحرش الجنسي من النساء العاملات (١٠,٥٧٨) خلال عام ١٩٩٢، وقد زاد عدد تلك الشكاوى إلى (١٢,٥٣٧) شكوى في عام ١٩٩٣، وهذا في بلد تعدَّت فيه الحرية الشخصية كلَّ الحدود وسُهِّلت فيه العلاقات الجنسية إلى ما لم يعد معقولاً؛ فأين الكبت الجنسي؟ ومع ذلك فإن المشكلة لم تعد محصورة بالولايات المتحدة وحدها، بل أصبحت مشكلةً عالمية مرتبطة بكل مَواطن الاختلاط بين الجنسين؛ فقد أوردت منظمة العمل العالمية (International Labor Organization) في مذكرة بعنوان (محاربة التحرش الجنسي) في مكان العمل لشهر نوفمبر ١٩٩٢ أن آلافاً من النساء قد أصبحن ضحايا للتحرش الجنسي في مكان العمل في الدول الصناعية كل عام، وكان ما نسبة ٣٠٪ من النساء العاملات

المشاركات في استبيانات المنظمة قد تعرضن للتحرش الجنسي المتكرر والصارخ، وكانت نسبة النساء اللاتي تعرضن للتحرش الجنسي في الولايات المتحدة ٤٢٪، وقد تطرق التقرير لنسبة التحرش الجنسي في دول مثل أستراليا والنمسا والدنمرك وفرنسا وألمانيا واليابان والمملكة المتحدة التي ذكرت أن نسبة ٧٥٪ من النساء العاملات قد تعرضن لنوع ما من التحرش الجنسي في مكان العمل، وقد شمل الاستبيان بعض دول العالم الأخرى حيث يوجد الاختلاط بين الجنسين في مكان العمل، وكان نصيب ماليزيا أقل نسبة بـــ ٨٪ من العاملات اللاتي يذكرن تعرضهن لتحرش الجنسي)[١].

وبحسب الشبكة الوطنية لمكافحة الاغتصاب في أمريكا تقع حالة اعتداء جنسي كل ٩٨ ثانية في المتوسط في الولايات المتحدة، وإن ٣٢١,٥٠٠ شخص في أمريكا تتراوح أعمارهم من ١٢ سنة فأكثر يقعون ضحايا للاغتصاب أو الاعتداء الجنسي في المتوسط سنويًا، وتتراوح أعمار أغلبية ضحايا العنف الجنسي في أمريكا من ١٨ عامًا حتى ٣٤ عامًا بنسبة ٥٤٪ من الضحايا، ونسبة ٩٢٪ من إجمالي ضحايا العنف



(١) (امريكا تدعو للحشمة)- د. عبد الله بن هادي القحطاني- مجلة البيان الالكترونية- نشر بتاريخ ٢٠١١/٢/٩.



الجنسي للضحايا الذين تتراوح أعمارهم من ١٨ عامًا حتى ٦٤ عامًا)[(١)].

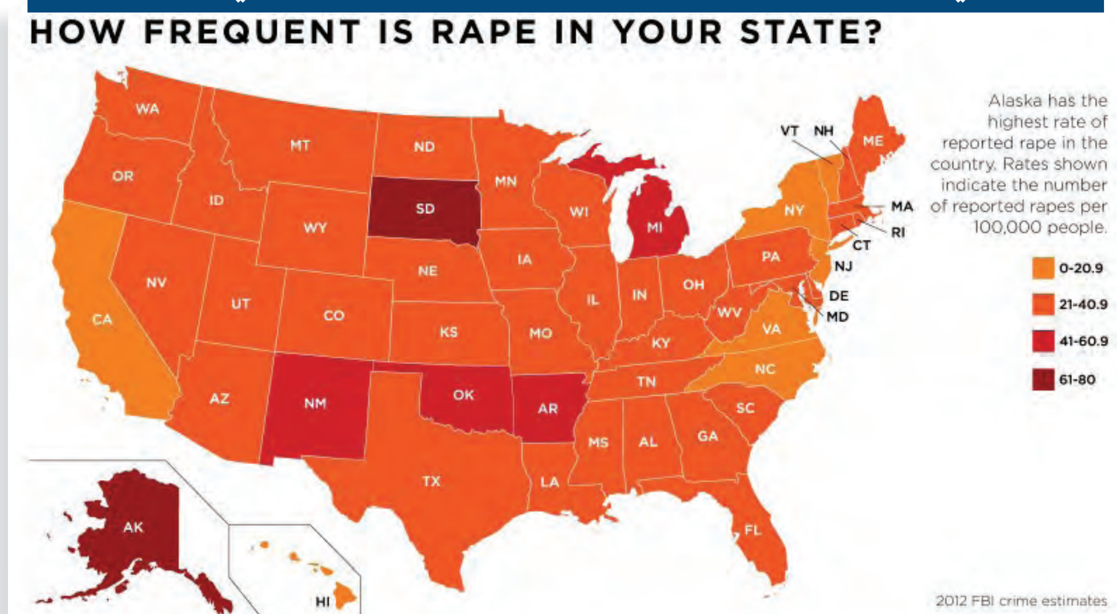
أما من جانب الدول الاسلامية، فإنها تسجل نسباً عالية في ظاهرة التحرش بحيث قد تنافس الدول الغربية نفسها، على الرغم من ان بعض الدول الاسلامية تشدد على مبدأ الفصل بين الجنسين وفرض الحجاب في الاماكن العامة كالسعودية، وقد (كشفت دراسة ميدانية حديثة أجرتها شركة أبحاث عالمية لصالح وكالة الأنباء العالمية «رويترز» أن السعودية تحتل المركز الثالث من بين ٢٤ دولة في قضايا التحرش الجنسي في مواقع العمل، وأوضحت الدراسة التي أجريت على ١٢ ألف موظفة من دول المسح أن ١٦٪ من النساء العاملات في السعودية تعرضن للتحرش الجنسي من قِبل المسؤولين في العمل. وأظهرت الدراسة أن نسبة التحرش في السعودية أعلى بكثير من الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا والسويد وألمانيا وإيطاليا وبريطانيا وأستراليا وإسبانيا وبقية الدول الأوروبية)[(٢)].

---

(١) Victims of Sexual Violence: Statistics- RAINN

(٢) (السعودية تحتل المركز الثالث في قضايا التحرش الجنسي بمواقع العمل)- موقع الاتحاد العربي





وتشير دراسة اعدها المركز المصري لحقوق المرأة في العام ٢٠٠٨ الى أن ما يربو على ٨٠٪ من المصريات تعرضن للتحرش الجنسي وان معظم الضحايا ممن يرتدين الحجاب[١]، وفي المؤتمر الاول عن ظاهرة التحرش في المجتمع العراقي أظهر ان ٧٧٪ من العراقيات يتعرضن للتحرش الجنسي وبخاصة الموظفات والطالبات[٢].

وكل ذلك يعني أن الثقافة الخاصة بالشعوب المسلمة تعاني من خلل يخصها ولا يمكن تحميل الغزو الثقافي لوحده المسؤولية الكاملة، وإن إلصاق التهمة بالشريعة الاسلامية بدعوى منعها للاختلاط هي دعوى فارغة تفتقر للدليل، وفي الوقت نفسه لا طائل من تحميل الغزو الثقافي الغربي المسؤولية الكاملة لانتشار التحرش لما عرفنا ان هنالك خللا في الثقافة المحلية للشعوب الاسلامية، لذا فانه مع الاخذ بنظر الاعتبار العامل النفسي للمتحرش نرى أن سبب انتشار ظاهرة التحرش لدى الشباب في المجتمعات المسلمة يتمثل بالعوامل الآتية مجتمعة:

للنقابات- نشر بتاريخ ٢٠١٦/١١/٢٧.

(١) ينظر: (التحرش الجنسي ظاهرة متفشية في مصر)- بي بي سي بتاريخ ٢٠١٢/٩/٤.

(٢) ينظر: (٧٧٪ من العراقيات يتعرضن للتحرش الجنسي)- موقع كتابات- نشر بتاريخ ٢٠١٥/٩/٦.

١- سوء الوضع الاقتصادي لدى الشاب، وهو العامل الاساس الذي يسبب له عدم الاشباع العاطفي، ومن ثم فهو عامل يبلور لديه كثيرا من العقد النفسية التي تعد السبب الاساس لممارسة التحرش.

٢- اعتلال الضبط النفسي والاخلاقي لعامة الشباب بسبب اختلال الثقافة الدينية لديهم، لأن الدين في المخيال الاسلامي المعاصر يقتصر على الاهتمام بمجموعة العبادات الظاهرية، ويقابل ذلك اهمال واضح للعبادات النفسية التي تتمثل أساساً بحسن العِشرَة[١].

٣- تراجع الحجاب الاسلامي وطغيان الموضة الغربية على مظهر المرأة المسلمة وازدياد جرأتها على ابراز مفاتنها أمام الرجال، وذلك من اهم عوامل تشجيع الشباب الطائش للتحرش بها.

٤- ضغط الاعلام الغربي الذي يذكي الانحراف الغريزي لدى الشاب المسلم، إذ يجسد له المرأة كوسيلة لإشباع الغريزة الجنسية فقط، ويقلل من مكانتها كإنسانة ويلغي دورها كأم تعمل على بناء اسرة سعيدة ومستقرة.

٥- تفاقم ظاهرة الاختلاط، فقد راجت في الدول الاسلامية ثقافة تسمح باختلاط الجنسين من الشباب في كثير من المواطن مثل الجامعات والدوائر الحكومية والمستشفيات والمطاعم والمحلات التجارية والمصانع، علما ان طبيعة الاختلاط في هذه الأماكن مستمرة وليست طارئة، فالاختلاط المستمر بين الأفراد انفسهم يختلف كثيرا عن الاختلاط الطارئ الذي يحدث في السوق او الشارع او في المواسم العبادية.

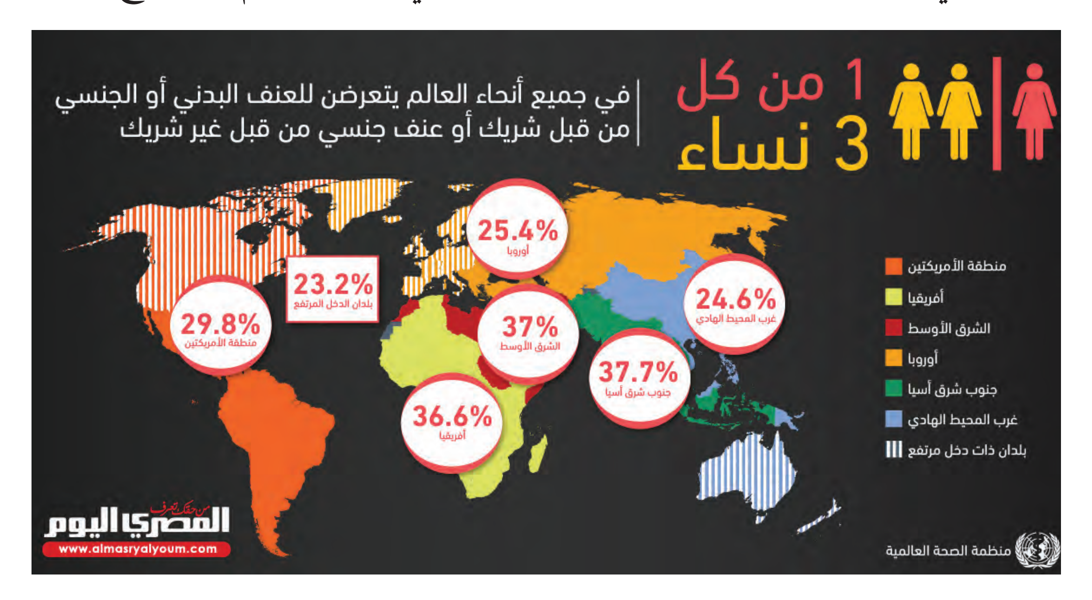
وفي مقال للكاتب (حسني إبراهيم عبد العظيم) يشير فيه الى تأثير جملة من هذه العوامل حيث يقول: (ان أهم الأسباب التي أفضت لظاهرة التحرش الجنسي من

(١) قال تعالى في وصف المتقين: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السرَّاءِ وَالضرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (آل عمران:١٣٤).

وجهة نظري المتواضعة تتمثل في تراجع - ولا أقول انهيار- منظومة القيم الاجتماعية الراسخة في أعماق المجتمع العربي، وظهور منظومة قيمية جديدة أفرزها التغير الاجتماعي السريع في هذا المجتمع، تلك المنظومة القيمية التي أسست لمعايير جديدة مغايرة تماما للمعايير التقليدية للأسرة العربية.

من أبرز تجليات المنظومة الجديدة تراجع المعنى السليم للتدين والذي يمكن أن أسميه التدين العميق، واستبداله بتدين طقوسي براني قائم على الاستغراق في أداء الشعائر الدينية، وانفصال ذلك عن السلوك الواقعي، بحيث لا تتجلى فضائل الطقوس في إصلاح النفوس، ولا يظهر أثر الشعائر في ترقيق المشاعر، فالإيمان في الإسلام على سبيل المثال ليس مجرد شعارات براقة وإنما هو قبل ذلك سلوك رشيد، فكما جاء في الأحاديث النبوية الشريفة: (البر حسن الخلق) و(ليس الإيمان بالتمني ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل) و(من لا تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له) و(رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش).

ومن تجليات تلك المنظومة أيضا اختزال المرأة في مجرد جسد فاتن، وتغييب المرأة ككائن اجتماعي واعٍ يسهم مع الرجل جنباً إلى جنب في نهضة الأمة وتطورها، وتحضرني بهذه المناسبة تلك التفرقة الحاسمة التي أسسها عالم الاجتماع الكبير





(بيتر بيرجر P. Berger) بين مصطلحين مهمين في سوسيولوجيا الجسد.

فلقد طرح (بيتر برجر) وهو واحد من رواد علم اجتماع الجسد مفهومين مهمين في تصور الجسد، الأول أن يكون الإنسان جسداً Man is a body والثاني أن يمتلك الإنسان جسداً Man has a body Turner ١٩٩٢: ٤٠)) واستناداً لهذه الرؤية نرى أن كثيرين من أبناء المجتمع العربي ينظر إلى المرأة باعتبارها جسداً Woman is a body ولا يراها كائناً اجتماعياً يمتلك جسداً has a body، ولذلك فوفقا لتلك النظرة، يعد التحرش أمرا طبيعيا في ظل تراجع منظومة القيم الأصيلة المرتبطة بضرورة حماية المرأة والدفاع عنها ضد أي اعتداء، لقد كان دفاع الشاب عن جارته وابنة حارته أو منطقته من القيم الأساسية في مجتمعاتنا لفترة طويلة، ومؤشراً لشهامة أبناء البلد ومرؤتهم و(جدعنتهم) بالتعبير المصري البليغ.

ولا ينبغي أن نتجاهل عوامل أخرى مهمة أسهمت في تراجع منظومة القيم وبالتالي تفاقم ظاهرة التحرش منها دور وسائل الإعلام بما تبثه من مواد مثيرة تذكي الغرائز، والتراجع الكبير لدور الأسرة في التنشئة الاجتماعية، وضعف الخطاب الديني وابتعاده عن مناقشة القضايا المهمة التي تمس قطاعات واسعة من المجتمع ومنها الشباب بطبيعة الحال، وانحسار اهتماماته في قضايا فقهية ضيقة)[١].

(١) (التحرش الجنسي وتراجع منظومة القيم في المجتمع العربي) - حسني إبراهيم عبد العظيم- موقع الحوار

وفي مجال الحلول يقول الكاتب (حسني عبد العظيم): (نرى أن ثمة آليتين لمواجهة الظاهرة إحداهما آنية سريعة والأخرى بعيد المدى، يتمثل الحل السريع في المواجهة القانونية الصارمة لكل صور التحرش وتشديد العقوبة على مرتكبيها، أما الحل بعيد المدى فهو وضع برنامج اجتماعي شامل لتنمية فكر وثقافة احترام المرأة وتغيير نظرة المجتمع إليها، ومحاصرة القيم الاجتماعية الجديدة التي تختزل المرأة في البعد الجسدي العضوي، وتطوير الخطاب الديني وتعميقه، وإعادة الأسرة لدورها الريادي في التنشئة الاجتماعية وتلقين الأجيال الجديدة كل القيم الإيجابية المتعلقة بالمرأة باعتبارها كائنا اجتماعياً وإنسانياً يشارك بقوة في نهضة الأمة، ولا شك أن للقيادات النسائية والرجال المهمومين بقضايا المرأة ووسائل الإعلام ومؤسسات المجتمع المدني والمؤسسات الدينية دورا كبيرا في تفعيل ذلك البرنامج و إنجاحه)[1].



خلاصة لما تقدم نقول: إن تفاقم مشكلة التحرش في البلدان الاسلامية نابع بشكل اساس من اختلال في المنظومة الدينية والعرفية السليمة لدى المجتمعات المسلمة، وقد فضح هذا الاختلال نوعين من الضغوط التي تعرض اليها الشباب المسلم: أولها المشاكل الاقتصادية التي يعيشها الشاب في مجتمعه، وثانيها التأثير الثقافي للعولمة من خلال وسائل الاعلام ذات الطابع الغربي وبخاصة المرئية منها.

المتمدن- نشر بتاريخ ٢٠١٣/٣/٢٧.

(١) المصدر نفسه.

واختلال المنظومة الدينية والعرفية هذا ناشئ من افتقار الشاب للتربية الاسلامية التي تعنى بترسيخ جذوره الاخلاقية وتقويم منظومته السلوكية، علما أن مسؤولية ذلك تقع بالدرجة الاساس على عاتق المؤسسات الدينية والثقافية، إذ يجب أن تلعب هذه المؤسسات دوراً فاعلا في التأكيد على الغايات الاخلاقية للدين وتعريفهم بأنها جوهر الاسلام وثمرته[1]، بالإضافة الى حث الاجيال على التمسك بالأعراف النبيلة التي يزخر بها تراث هذه الأمة مثل وقاية العرض وحماية الجنس اللطيف، على أن يكون دور هذه المؤسسات التثقيفي موجهاً للآباء والأبناء في الوقت نفسه، باعتبار أن الآباء هم الوسيلة المباشرة لتربية الاجيال، وأن الأبناء هم الثمرة النهائية لجهود تلك المؤسسات.

ولا يفوتنا في النهاية أن نشير إلى ان التأثير الثقافي للعولمة المسؤول عن سيادة مشكلة التحرش الجنسي وأمثالها يتمثل أساساً بشعار «المساواة بين الجنسين» الذي طبّلت له وسائل الاعلام الغربية وطربت له طبقات واسعة من المثقفين الاسلاميين بدعوى انقاذ المرأة المسلمة من الاضطهاد الذي تتعرض له في مجتمع ذكوري.

وفي الحقيقة فإن تطبيق هذا الشعار لا يمثل سوى محاولة لاستبدال اشكالية بإشكالية اخرى لا تقل عنها خطورة، فشعار «المساواة بين الجنسين» بصيغته الغربية يشجع على مفهوم نديّة المرأة للرجل في شتى المجالات من خلال اشاعة استقلاليتها عنه من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية، وهذا الأمر يعد من اهم اسباب تفشي اشكاليات عديدة مثل التحرش والاغتصاب والعنوسة.

فمن جهة المرأة نجد أن تطبيق شعار المساواة يؤدي الى زيادة اختلاطها بالرجال، نظرا لحقها في أن تكافئ نظيرها الرجل بالتواجد في كل الميادين التي يتواجد فيها، وأن تتعامل مع محيطها تماما كما يتعامل الرجل مع محيطه، ومنها خلع الحجاب أو التخفيف منه، والاختلاط وعرض المفاتن من الاسباب الرئيسة للتحرش كما اسلفنا.

(١) روي عن الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) أنه قال: انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق (مجمع البيان ج ١: ص ٣٣٣).

ومن جهة الرجل؛ فمع تطبيق شعار المساواة فان صورة المرأة التي تفتقر لرعايته وحمايته ستتلاشى في مخيلته، ومع وجود الضغوط النفسية والاقتصادية التي تعصف بالشباب المسلم سيحل محل تلك الصورة مشاعر دفينة من المنافسة والخصومة[١]، وعندها يكون التحرش وارداً جداً ولا يمكن حتى للأعراف العربية التي تدين الاعتداء على المرأة أن تفعل فعلها كما كانت في السابق، إذ كان من العار أن يعتدي الرجل على المرأة لضعفها وأن من واجبه أن يتحمل مسؤولية إعالتها وحمايتها من الاخطار.

لذا وعلى غير المتوقع؛ فان اشاعة ثقافة المساواة على الطريقة الغربية لن يؤدي الى حماية المرأة من ظلم الرجل وانما سيزيد من درجة الخصومة بينهما ضمن تحدٍ تكون المرأة فيه هي الخاسرة نظرا لقلّة حيلتها مقارنة بالرجل، والاحصاءات التي تشير الى مقدار التحرش والاغتصاب الذي ينال المرأة في المجتمعات الغربية التي تطبق مبدأ المساواة خير دليل على هذه الحقيقة[٢].

(١) يقول (سيد صادق) خبير علم الاجتماع في الجامعة الامريكية في القاهرة ان سبب تفاقم ظاهرة التحرش الجنسي في مصر ناشئة عن تزايد التعصب الديني الى جانب شروع الشباب باستهداف السيدات بالمضايقة رغبة منهم في اعادة السيدات الى المنزل وعدم خروجهن للعمل، انها الثقافة الذكورية المتعصبة التي لا تقبل تفوق المرأة على الرجل، لان بعض السيدات يعملن ويزاولن اعمالا في حين تخلف بعض الرجال عن الركب فأصبح السبيل الوحيد للمساواة هو توجيه صدمة للسيدات وفرض اوضاع تنطوي على نواح جنسية عليهن في اي مكان (ينظر: التحرش الجنسي ظاهرة متفشية في مصر- بي بي سي عربي- نشر بتاريخ ٢٠١٢/٩/٤).

(٢) نشر موقع (أمة بوست) تقريرا بعنوان (ما لا تعرفه عن معدّلات التحرّش والاغتصاب في الغرب) موثقاً بالمصادر، نشر على الرابط الآتي: https://ommahpost.com/what-you-dont-know-about-sexual-harassment-and-rape-in-west/

خامساً: الشباب والمخدرات



تعرف المخدرات علميا بانها: مادة كيميائية تسبب النعاس او النوم او غياب الوعي المصحوب بتسكين الالم، والمخدرات هي مواد ذات طبيعة كيمياوية تؤثر على العقل او الجسم البشري، ومع الاعتياد على تناولها يصبح هنالك ما يسمى بـ(التحمّل) وهو حالة فسيولوجية مكتسبة تتميز بقدرة الجسم على تحمل العقار ما يؤدي الى الحاجة الى اخذ جرعات متزايدة للحصول على التأثير نفسه الذي كان متاحاً بجرعات اقل[١].

أما التعريف القانوني لها فان المخدرات تعني: مجموعة من المواد التي تسبب الادمان وتسمم الجهاز العصبي ويحظر تداولها او زراعتها او تصنيعها الا لأغراض يحددها القانون ولا تستعمل الا بوساطة من يرخص له بذلك[٢].

(١) المصدر نفسه.

(٢) ماهي المخدرات- موقع صحتي- على الرابط الآتي: http://www.sehha.com/generalhealth/ Narcotics١.htm

يمكن تصنيف المخدرات بحسب تأثيرها على اصناف اربعة كالآتي:

١- **المسكرات:** مثل الكحول والكلوروفورم والبنزين.

٢- **مسببات النشوة:** مثل الأفيون ومشتقاته.

٣- **المهلوسات:** مثل الميسكالين وفطر الأمانيت والبلاذون والقنب الهندي.

٤- **المنومات:** وتتمثل في الكلورال والباربيورات والسلفونال وبرومويد البوتاسيوم[١].

القنب
الخشخاش (الأفيون)
الكوكايين
القات
عقار الهلوسة L.S.D
الأمفيتامينات

كما يمكن تصنيف المخدرات بحسب مادتها على اصناف ثلاثة:

نوع طبيعي: ويشمل المواد المخدرة الموجود بصورتها الطبيعية من دون تدخل الانسان في تصنيعها ومعالجتها مثل نبات الخشخاش ونبات القات ونبات القنب ونبات الكوكا.

نوع صناعي: وهو يستخلص من النباتات الطبيعية بعد معالجتها مختبريا مثل الافيون(يستخلص من الخشخاش) والكوكائين(يستخلص من الكوكا).

نوع تخليقي: وهو النوع الذي ينتج مختبرياً من تفاعلات مواد كيميائية تستعمل غالباً لمعالجة الامراض النفسية، واشهرها عقاقير الهلوسة[٢] والعقاقير المنشطة (الامفيتامينات)[٣] والعقاقير المهدئة (الباربيتورات)، وتعد العقاقير المهدئة اخطر اصناف العقاقير التخليقية لصعوبة الشفاء من ادمانها[٤].

(١) أنواع المخدرات- موقع قناة الجزيرة – نشر بتاريخ ٢٠٠٤/١٠/٣.

(٢) من اشهر انواعها: مخدر الفلاكا.

(٣) من اشهر انواعها: مخدر الكريستال ميث.

(٤) ينظر: أخطر أنواع المخدرات في العالم و الشرق الاوسط- موقع مستشفى الامل للطب النفسي وعلاج الادمان- على الرابط الآتي: https://www.hopeeg.com/blog/show/most-dangerous-types-of-drugs

وفي الآونة الاخيرة انتشرت ظاهرة المخدرات الرقمية (iDoser) [١] وهي عبارة عن مقاطع نغمات تسمع عبر سماعات توضع على الاذنين (هيدفون)، تبث هذه النغمات ترددات صوتية مختلفة لكلا الاذنين، فتجعل الدماغ يحاول جاهدا لتوحيد الترددين فيكون بحالة غير مستقرة مما يعطي احساسا شبيها بإحساس تعاطي المخدرات[٢] والمخدرات الرقمية ما تزال محل جدل في طبيعة تأثيرها، ولم يصدر اي قانون دولي يجرّم بيعها او استخدامها لحد الآن، لذا فهي متوفرة بأسعار زهيدة عبر السوق الالكترونية ويمكن الحصول على مقاطع مجانية منها عبر الانترنت.



استخدام المخدرات الرقمية

إن تناول المخدرات امر خطير على الصعيد الفردي والاجتماعي معاً، فعلى الصعيد الفردي فانها تضر بصحة الانسان البدنية والنفسية، وتدمر لديه النزعة الاخلاقية وتحرفه عن السلوك اللائق بالنوع الانساني، كما انها تضر بحالته الاقتصادية.

أما على الصعيد الاجتماعي فان المتعاطي يكون عالة على المجتمع باعتباره عضوا غير منتج فيه، وقد يكون مؤذيا له في كثير من الاحيان، اذ تدفع انواع عديدة من المخدرات الى الاعتداء أو القتل أو الاغتصاب من دون وعي[٣]، وقد يدفع الادمان

(١) عرفت المخدرات الرقمية في الوسط العربي بحدود العام ٢٠١٠، علما ان جذورها تعود الى العام ١٩٧٠ اذ استخدمت لعلاج بعض المرضى النفسيين الذين يرفضون العلاج الدوائي.

(٢) ينظر: ويكبيديا- مخدر رقمي.

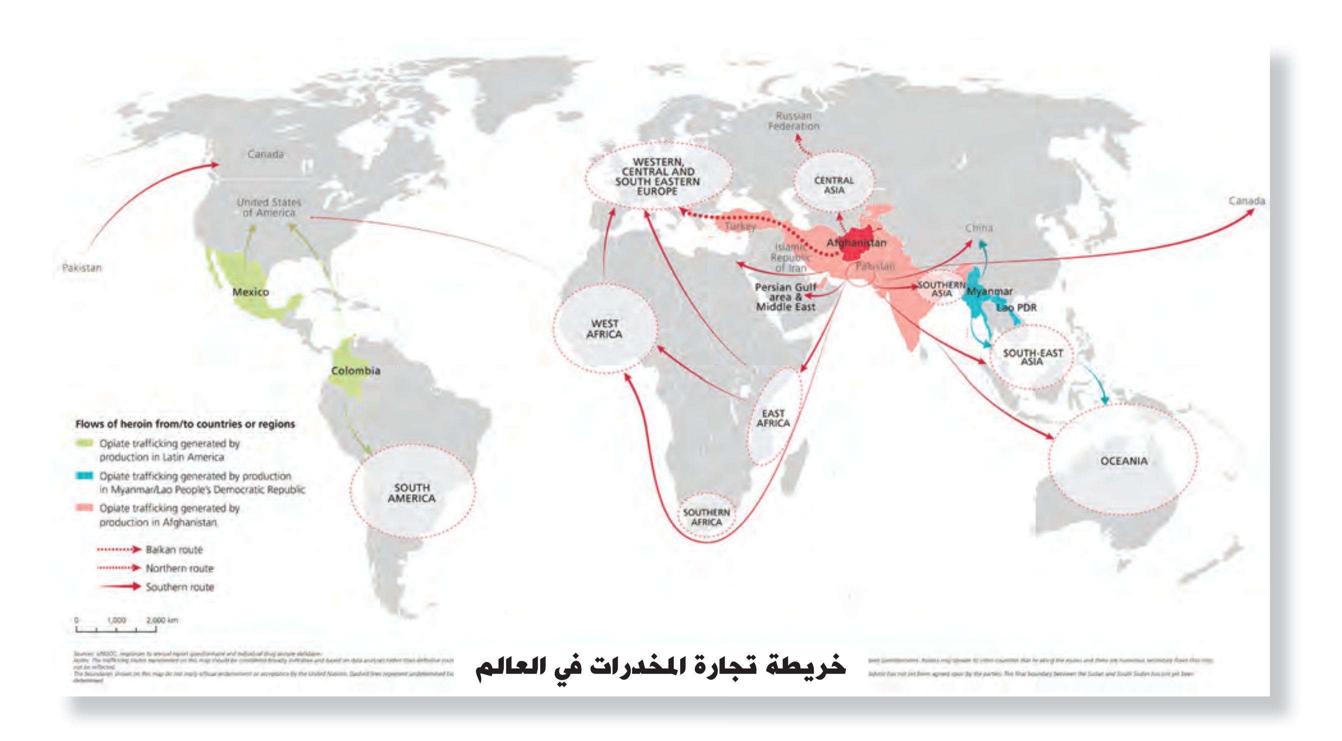
(٣) شهدت محافظة البصرة في العراق حادثة قتل واغتصاب طفلتين بعمر ٥ و٤ سنوات بسبب تأثير المخدر على مرتكبي الجريمة (ينظر: الكربلائي يدعو الى معالجة ظاهرة تعاطي المخدرات بعد اغتصاب وقتل طفلتين

على المخدرات الى ارتكاب جرائم السرقة والخطف والابتزاز من اجل تأمين اموال شرائها، وفي العادة يكون أكثر المتضررين من متعاطي المخدرات هم افراد اسرته ثم الاقرب فالأقرب.

كما ان محاربة ظاهرة المخدرات تستهلك كثيرا من الجهد والاموال من الحكومات، فبدل ان تصرف الاموال الضخمة على ملاحقة عمليات التهريب والبيع والتعاطي يمكن ان تبذل في مشاريع التنمية والاعمار والضمان الاجتماعي وما أشبه ذلك.

انتاج وتهريب وتعاطي المخدرات في الدول الاسلامية:

ربما لا يعرف كثيرون بأن الثقل الاكبر لخطوط انتاج وتهريب المخدرات -عالميا- يحدث في دول اسلامية، فمن ناحية الانتاج تعد افغانستان ابرز دولة منتجة للمخدرات في العالم إذ تصدر ٩٠٪ من الإنتاج العالمي، ثم باكستان وإيران وتركيا وطاجيكستان، كما أن هناك دولاً عربية مثل لبنان وسوريا والمغرب (المنتج الأول



خريطة تجارة المخدرات في العالم

في البصرة- موقع المسلة بتاريخ ٢٠١٦/٣/١٠).

أبرز شحنات الكبتغون التي تم ضبطها بين 2014-2015

المصدر
المكان المقصود
أكثر من 10 ملايين حبة
1 - 10 ملايين حبة
أقل من مليون حبة
طرق النقل

للحشيش في العالم) فضلاً عن دول أخرى مثل الهند وبعض الدول الآسيوية[١].

أما من ناحية التهريب، فقد رصد التقرير السنوي لبرنامج العالمي لمكافحة المخدرات والجريمة التابع للأمم المتحدة أربع طرق عالمية رئيسة لتهريب المخدرات ونقلها من أماكن زراعتها وصناعتها إلى أماكن إنتاجها مروراً بعقدة مواصلاتها الدولية، الطريق الأول يعرف باسم درب البلقان الذي يبدأ من أفغانستان - المركز الأول في زراعة الأفيون- وينتقل إلى إيران والعراق وتركيا وينتهي في غرب أوروبا، أما الطريق الثاني فهو الدرب الجنوبي الذي يربط جنوب آسيا مع أفريقيا، ويمر عبر باكستان أو إيران بحراً إلى الخليج العربي ثم أفريقيا وبخاصة شرقها، أما الطريق الثالث فهو الدرب الشمالي الذي يربط الاتحاد الروسي مع آسيا الوسطى، وأخيراً الدرب الأشهر والمعروف باسم المثلث الذهبي الذي تشكّل لاوس وتايلاند وبورما زواياه الثلاث[٢].

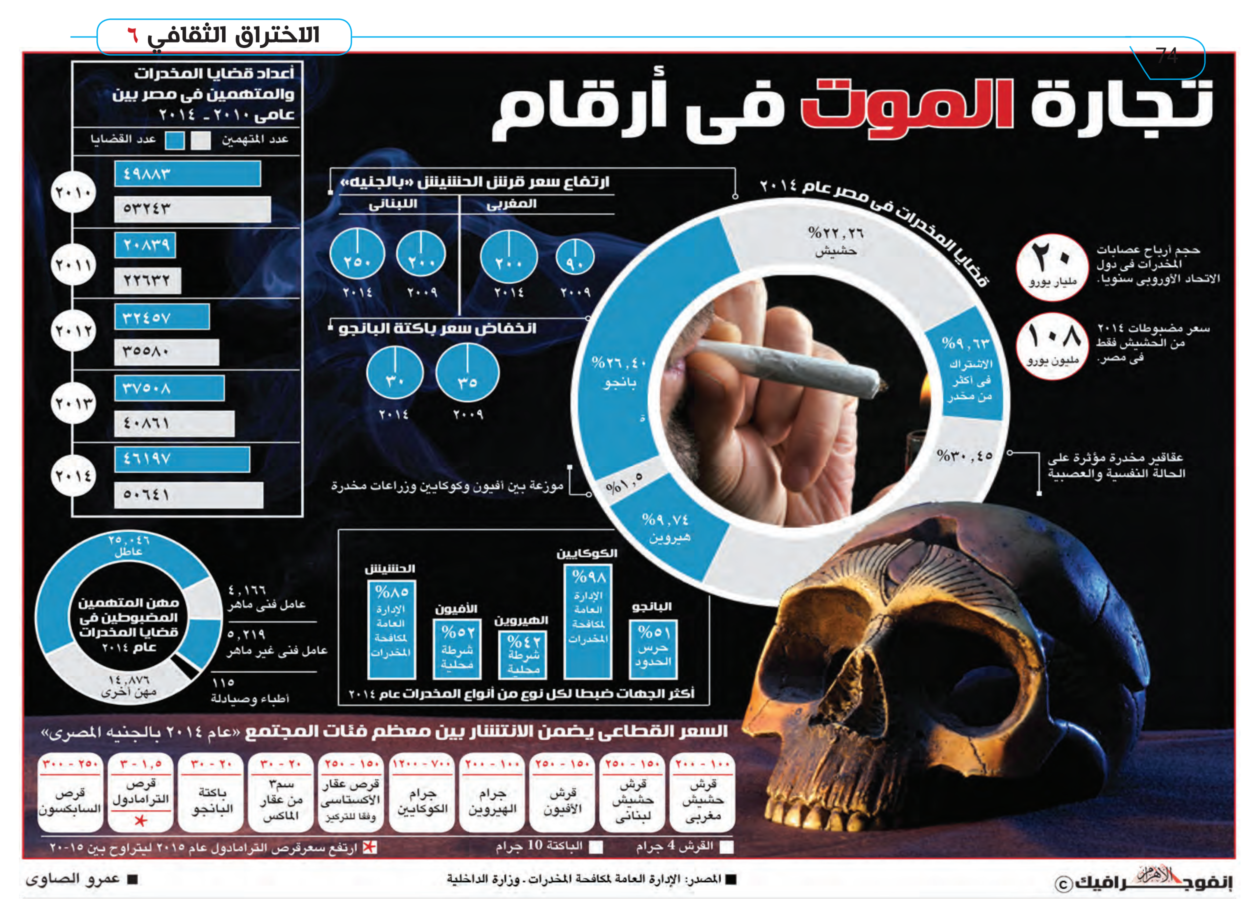


افغانستان ابرز دولة منتجة للمخدرات في العالم

أما من ناحية التعاطي، فقد (اعلن «صندوق مكافحة وعلاج الإدمان والتعاطي» التابع لوزارة التضامن الاجتماعي المصرية أن معدل الإدمان في مصر بلغ نحو ١٠٪ من السكان، أي

(١) ينظر: أحدث الأرقام حول استهلاك المخدرات في العالم – محمد حبش- موقع رصيف ٢٢- نشر بتاريخ ٢٠١٦/٧/١.

(٢) المصدر نفسه.



نحو ٩ ملايين شخص، ٧٢٪ منهم ذكور و٢٨٪ إناث، كما أن ٨٠٪ من الجرائم غير المبرّرة تحصل تحت تأثير تعاطي المخدرات، وأكد خبراء أن هذه النسب عالية جداً وتشكّل ضعفي المعدلات العالمية البالغة ٥٪، وأرجعوا هذه الزيادة إلى الانفلات الأمني عقب ثورة ٢٥ يناير وسهولة نقل المواد المخدرة عبر الحدود، إلى جانب الفقر وارتفاع معدّل البطالة ويأس الشباب من تأمين حياة كريمة.

وفي لبنان كشف وزير الصحة وائل أبو فاعور أن عدد المدمنين على المخدرات بلغ ٢٤ ألفاً، أي ٠,٦٪ من إجمالي عدد السكان البالغ ٤ ملايين، في حين بلغت نسبة الإدمان بين طلاب المدارس نحو ٣,٥٪، وتراوح أعمار النسبة الأكبر من المدمنين بين ٢٦ و٣٥ عاماً، ولكن ظاهرة إدمان شباب لم تتجاوز أعمارهم ١٨ عاماً بدأت تنتشر، ووفق دراسة أعدتها «المؤسسة الدولية للمعلومات» أشارت إلى أن نسبة تعاطي الحشيش خلال السنوات الثلاث الماضية بلغت ٣٩٪ والهيروين ٣٠٪ والكوكايين ١٣٪ ولفتت إلى أن ٨٠٪ من المدمنين ذكور و٢٠٪ إناث.

أما في السعودية فقد أظهرت التقديرات الرسمية لوزارة الداخلية أن عدد المدمنين بلغ ٢٠٠ ألف، أي ما نسبته ٠,٧٪ من إجمالي عدد السكان البالغ ٢٨ مليون نسمة، ولكن بعض الجمعيات تشير إلى أن النسبة الحقيقية أعلى بكثير، وأشارت وزارة الداخلية إلى أن نحو ٣٣٪ من كمية أقراص الكبتاغون في العالم يتم مصادرتها في السعودية، كما تصادر المملكة نحو ٦٠ طناً من الحشيش سنوياً وما بين ٥٠ إلى ٦٠ كيلوغراماً من الهيروويين.

وفي عُمان أعلن وزير الصحة أحمد بن محمد السعيدي أن عدد المدمنين تجاوز ٥١٠٠ مدمن (٤ ملايين عدد السكان) مشيراً إلى أن معدل المتعافين بين المدمنين لا يتجاوز ٢٠٪، ومع ازدياد عدد المدمنين في عُمان منذ عام ٢٠١٣ بنحو ٢٠٪ لا تزال البلاد تعاني نقصاً في عدد مراكز التأهيل الشامل لمدمني المخدرات.

وفي الجزائر يُسجّل تفاوت كبير في تحديد عدد المدمنين، ففي حين أشار «الديوان الوطني لمكافحة المخدرات» إلى وجود ٣٠٠ ألف مدمن ومستهلك للمخدرات، أكد رئيس «المنظمة الوطنية لرعاية الشباب» حسب عبد الكريم عبيدات وجود ٤٠٠ ألف مدمن على الأقل، لكن «الهيئة الوطنية لترقية الصحة وتطوير البحث» (الفورام) قدّرت عدد مدمني المخدرات ومستهلكيها بمليون شخص، في حين أحصى «المركز الوطني للدراسات والتحليل» ١٨٠ ألف مدمن و٣٠٠ ألف مستهلك.

أما في تونس فتشير التقديرات الرسمية إلى أن عدد المدمنين بلغ نحو ٣١١ ألف شخص، أي نسبة ٢,٨٪ من إجمالي عدد السكان البالغ نحو ١١ مليون نسمة، ٧٠٪ منهم دون الـ٣٥ عاماً، بدورها أحصت «الجمعية التونسية للوقاية من المخدرات» أكثر من ٥٠٠ ألف مستهلك للمخدرات عموماً، وارتفع عدد المدمنين خلال السنوات الأربع الماضية نحو ٣٠٪ بعد أن تحوّلت تونس إلى منطقة استهلاك وترويج بعد أن كانت منطقة عبور إلى ليبيا والجزائر وإيطاليا.

وفي الكويت يبلغ عدد مدمني المخدرات نحو ٧٠ ألفاً، أي ٧٪ من السكان بحسب

مكتب مكافحة المخدرات التابع لـ«منظمة الصحة العالمية».

أما في الأردن فتتراوح نسبة المدمنين بين ٢ و٣٪، بحسب تقارير غير رسمية، ولكن البارز أخيراً انتشار ما يُعرف باسم «الجوكر» وهو حشيش اصطناعي مصنع محلياً عبر استخدام مواد كيماوية سامة، وأكدت «مؤسسة الغذاء والدواء الأردنية» أن مادة الجوكر تحتوي على أعشاب مجهولة تضاف إليها مواد كيماوية عالية السمية أبرزها الأسمدة والمبيدات الحشرية وينتج عنها تفاعلات تعطي تأثيراً مخدراً.

وفي فلسطين أعلنت «جمعية الهلال الأخضر» أن ظاهرة المخدرات ما زالت تنمو وتنتشر، مشيرةً إلى وجود نحو ٨٠ ألف متعاط للمخدرات ونحو ١٠ آلاف مدمن، ما يعني أن نسبة المدمنين تبلغ نحو ٢,٠٪، وأكد الناطق باسم الشرطة المقدم لؤي ارزيقات أن عام ٢٠١٥ شهد ارتفاعاً كبيراً

م	الدولة	زراعة	اتجار	تعاط	المجموع
1	الأردن	1	100	50	151
2	الإمارات	-	57	50	107
3	البحرين	-	-	-	-
4	تونس	-	-	214	214
5	الجزائر	4	514	1618	2136
6	جيبوتي	-	-	-	-
7	السعودية	5	2709	4087	6801
8	السودان	-	50	1000	1050
9	سوريا	-	287	1591	1878
10	الصومال	-	-	-	-
11	العراق	-	2	-	2
12	عُمان	-	20	52	72
13	فلسطين	40	49	65	154
14	قطر	-	33	80	113
15	الكويت	-	109	237	346
16	لبنان	1	216	372	589
17	ليبيا	-	-	-	-
18	مصر	406	9476	6317	16199
19	المغرب	-	-	-	-
20	موريتانيا	-	-	-	-
21	اليمن	2	6	16	24
	المجموع	459	13628	15749	29836

قضايا المخدرات في الدول العربية عام ١٩٩٦

في كمية المضبوطات من المخدرات)[١].

أما في العراق، ففي سابقة تعد الأولى من نوعها أعلنت وزارة الصحة عن حدوث العديد من حالات الوفاة الناجمة عن تعاطي المخدرات وأغلبها وقعت في محافظة كربلاء بعدها تأتي محافظات ميسان وبغداد وبابل وواسط[٢].

جولة على نسب المدمنين على المخدرات في بعض الدول العربية (2015)

النسبة من السكان

الدولة	النسبة	المصدر
عمان	%0.12	(وزارة الصحة)
فلسطين	%0.2	(جمعية الهلال الأخضر)
لبنان	%0.6	(وزارة الصحة)
السعودية	%0.7	(وزارة الداخلية)
مصر	%10	(صندوق مكافحة وعلاج الإدمان والتعاطي)
تونس	%2.8	(تقديرات رسمية)
الأردن	%3	(تقارير غير رسمية)
الكويت	%7	(منظمة الصحة العالمية)

رصيف 22

وقد حذرت الوزارة من تحول العراق الى بلد مستهلك للمخدرات مع ازدياد حالات الادمان وارتفاع تعاطيها فيه بنسبة ٣٠ ٪ سنوياً، وبيّنت أن أهم أسباب الإدمان هو البطالة بين الشباب[٣]، بل انها باتت تنتشر بين أوساط الصبية وطلّاب المدارس إذ يمكنهم الحصول عليها بسهولة ويسر من الباعة المتجوّلين على أرصفة الشوارع، وقد رصدت ٣١ حالة انتحار لمدمنين خلال ستّة أشهر لغاية تاريخ ٤ /٨/ ٢٠١٧ [٤].

وعلى صعيد ايران، كشف مسح ميداني أجرته منظمة مكافحة المخدرات الإيرانية عن ارتفاع عدد متعاطي المخدرات في البلاد إلى أكثر من الضعف خلال السنوات الست الماضية، ووجدت الدراسة أن ٢,٨ مليون مواطن أي حوالى ٣,٥ ٪ من

---

(١) ينظر: جولة على نسب استهلاك المخدرات في بعض الدول العربية- أيمن هلال- رصيف ٢٢- نشر بتاريخ ٢٠١٦/٧/١٦.

(٢) كل شيء عن المخدرات في العراق: أنواعها. مصدرها وطرق دخولها - حسين عمران - صحيفة المدى العدد ٤٠٣٥ – ٢٠١٧/١٠/٨.

(٣) ارتفاع نسبة تعاطي المخدرات بالعراق ٣٠ في المئة سنويا- شبكة اخبار العراق- نشر بتاريخ ٢٠١٣/٦/٢٩.

(٤) ينظر: أدوية تتحوّل إلى وسيلة للإدمان بين أوساط الشباب في العراق- عدنان ابو زيد- موقع المنيتور- نشر بتاريخ ٢٠١٧/٩/٤.

السكان يتعاطون المخدرات بانتظام.

ونقلت وكالة أنباء الطلبة الإيرانية «إيسنا» عن المتحدث باسم المنظمة برويز افشار قوله إن هذا الارتفاع في عدد المتعاطين يدق «ناقوس الخطر»، مضيفا أن «الأفيون لا يزال الأكثر انتشارا، فيما انخفض استخدام الميثامفيتامين (مجموعة العقاقير ذات التأثير الذهني) بشكل ملحوظ»[١].

وفي باكستان تشير التقديرات الصادرة عن مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة إلى أن أكثر من ستة ملايين شخص يتعاطون المخدرات، وأن هناك أربعة ملايين منهم على الأقل مدمنون والعدد بازدياد، ويؤكد العميد (محمد أبو زار) الذي يقود قوة مكافحة المخدرات في إقليم السند وعاصمته كراتشي أن هناك إقبالا متزايدا على المخدرات، وأن ما يزيد من تفاقم هذا الوباء هو مصدر المخدرات الذي لا ينضب وبأسعار رخيصة من أفغانستان، حيث تعبر حدودها الرخوة كل عام كميات من الهيروين والحشيش تقدر قيمتها بمليارات الدورات وهي في طريقها إلى الأسواق العالمية، وتشير التقديرات إلى أن حوالي ١٥٠ طنا من الهيروين تدخل إلى باكستان سنويا، يتم استهلاك ٤٤ طنا منها محليا[٢].

أما أفغانسان فعلى الرغم من انها تنتج ٩٠ ٪ من اجمالي حجم الافيون في العالم، لكنها لم تكن حتى عهد قريب من الدول الرئيسية المستهلكة له، والان اصبح لديها مليون مدمن للافيون من بين تعداد سكانها البالغ ٣٥ مليون نسمة، وهو أعلى رقم في العالم[٣].

وبالنسبة لأسباب تفاقم تعاطي المخدرات في المجتمعات الاسلامية نجد اسباباً محددة تعمل بجملتها على تفشي هذه القضية بين الشباب بالذات، وسوف نتعرض

(١) تعاطي المخدرات في إيران.. أرقام مقلقة – موقع قناة روسيا اليوم- نشر بتاريخ ٢٠١٧/٦/٢٥.
(٢) شباب باكستان يغرقون في بحر المخدرات- موقع قناة الجزيرة- نشر بتاريخ ٢٠١٥/١/١١
(٣) افغانستان عاصمة ادمان المخدرات في العالم- موقع قناة بي بي سي عربي- نشر بتاريخ ٢٠١٣/٤/١٢.

باختصار الى طبيعة هذه الاسباب على النحو الآتي:

١- العامل الثقافي: يعاني الشباب المسلم في عصر العولمة من انحرافات ثقافية تطرقنا الى ذكرها أكثر من مرة، وذكرنا أن وسائل الاعلام والاتصالات الحديثة لها الدور الاكبر في التسبب بهذه الانحرافات.

فالإنتاج الاعلامي على النمط الغربي يحمل في طياته تشجيعا بارزاً على تعاطي الكحول والمخدرات، وذلك ضمن مشاهد عديدة للمسلسلات والافلام والالعاب الالكترونية التي تتعمد تجسيد هذه الظاهرة بطريقة تظفي عليها صبغة ايجابية في بعض الاحيان.

وكمثال على ذلك، فقد أعلن صندوق مكافحة وعلاج الإدمان والتعاطي بوزارة التضامن الاجتماعي المصرية أن عدد المسلسلات العربية التي عرضت في العام ٢٠١٦ والتي تم تحليلها ضمن أعمال المرصد الإعلامي للصندوق بلغت ٢٩ مسلسلا، وأن عدد مشاهد التدخين والتعاطي في هذه المسلسلات بلغ (٢٢٦١) مشهدا، توزعت ما بين (٥٤٣) مشهدا لتعاطى المخدرات والكحوليات و(١٧٢٧) لمشاهد التدخين، بينما بلغت المساحة الزمنية لمشاهد التدخين وتعاطى المخدرات ٦٣ ساعة و٢٧ دقيقة بنسبة تقرب من ١٢٪ من إجمالي المساحة الزمنية للأعمال الدرامية، وبلغت مساحة مشاهد تعاطي المخدرات والكحوليات ١٧ ساعة و٣٦ دقيقة و٢١ ثانية بنسبة ٣٪ من إجمالي المساحة للأعمال الدرامية، في حين استحوذت مشاهد الكحوليات على ٨٢,٢٪ والحشيش والبانجو على ١١,٢٪ والهيروين ٥,٤٪ والأدوية المخدرة ٢,٦٪ من إجمالي مشاهد تعاطي المخدرات في الأعمال الدرامية[١].

(١) ينظر: (مكافحة الإدمان: ٦٠٪ من مشاهد الدراما تروج للمخدرات على أنها سلوك عادى) – سماح لبيب- صحيفة اليوم السابع- نشر بتاريخ ٢٠١٦/٨/٣٠.

وتجسد هذه الاعمال الفنية مسألة التعاطي على انها تزيد من القدرة الجنسية لدى الشاب، او تشعره بالنشوة او تساعده على الاندفاع والمغامرة او نسيان المشاكل والالام التي تحيط به، او قد تجسده كأسلوب مألوف اجتماعياً على أقل التقادير.

وقد أشارت الدراسة التحليلية للأعمال الدرامية الى أن هناك معتقدات خاطئة حول القضية تم الترويج لها في مشاهد تعاطي المخدرات في دراما ٢٠١٦، حيث أن ٣,١٪ من مشاهد التعاطي تروج للمخدرات على أنها تحسن القدرة الجنسية و٣,٩٪ تروج أنها تساعد على التركيز و٩٪ مسكن وعلاج للآلام و١٩,١٪ خفة الظل وقبول الشخصية و٢٣,٢ ٪ يرونها تساعد على نسيان الهموم والمشكلات، و٦٠,١٪ سلوك اعتيادي[١]

ويلحق بهذا العامل ايضا الاطار الحضاري للبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الشاب، ففي بعض المجتمعات يكون تداول بعض المخدرات امرا مقبولاً بين البالغين، ففي اليمن مثلا ينتشر استعمال القات[٢] بصورة معروضة امام الجميع، مما يتيح للأجيال الجديدة ان يقدموا على هذا السلوك ويعمدوا الى تعاطيه بشكل طبيعي عندما يكبرون.



في اليمن ينتشر استعمال القات بشكل يدفع للأجيال الجديدة لتعاطيه بشكل طبيعي عندما يكبرون

(١) المصدر نفسه.

(٢) أدرجت منظمة الصحة العالمية القات عام ١٩٧٣ ضمن قائمة المواد المخدرة، بعدما أثبتت أبحاث المنظمة التي استمرت ست سنوات احتواء نبتة القات على مادتي نوربسيدو فيدرين والكاثين المشابهتين في تأثيرهما للأمفيتامينات (ينظر: القات الأكثر انتشاراً في اليمن والقرن الأفريقي- موقع الجزيرة - نشر بتاريخ ٢٠٠٤/١٠/٣).


يشيع استخدام انواع المخدرات بين اوساط الشباب الذين يعملون في مهن صعبة

٢- العامل الاقتصادي: إن الظروف الاقتصادية المتدهورة التي يعيشها كثير من الشباب المسلم يضطرهم الى الانخراط في اعمال قاسية جداً مثل اعمال البناء الشاقّة، لذا ترى شيوع استخدام بعض انواع المخدرات بين اوساط الشباب الذين يعملون في مهن صعبة لكي لا يشعروا بالتعب او الارهاق ويواصلوا تحمل تلك المهن، وعادة ما يدلهم زملاء المهنة على هذا السلوك.

ويتضمن العامل الاقتصادي ايضا مسألة البطالة التي تترك للشاب مساحة فراغ واسعة تدفعه الى التسكع مع رفقاء السوء ومحاولة الانخراط في تجارب شاذة اهمها تعاطي المخدرات لملء الفراغ النفسي الذي يعيشه، وتنفيس طاقته الشبابية التي لم تترك له البطالة فرصة لكي يستثمرها في العمل النافع.

وعلى النقيض من ذلك فإن الترف الاقتصادي الذي يعيشه بعض الشباب في الدول الاسلامية الغنية – مثل بعض دول الخليج- يؤدي بهم الى تعاطي المخدرات، يشجعهم على ذلك وفرة المال ورفقاء السوء وضعف التربية الاسرية.

وتحت تأثير العامل الاقتصادي يأتي دور العمالة الاجنبية الوافدة التي تشجع على ظاهرة التهريب والتعاطي بشكل كبير، إذ أن هنالك طبقات واسعة من هذه الشريحة التي تعمل بأجور زهيدة لتأمين لقمة العيش في الدول الاسلامية، ووجودها يشكل سلاحا ذو حدين، فهي من جانب تزيد من فرص البطالة بين مواطني البلد الاصليين، ومن جانب آخر فان سوء الاحوال المعيشية الوافدين تدفعهم الى ارتكاب سلوكيات منحرفة لتحقيق الربح السريع على رأسها تهريب وبيع المخدرات.

وفي هذا الصدد أشار بحث اعدته (منظمة الشباب البحراني) حول دَوْر العمالة

الاجنبية في انتشار تعاطي المخدرات بين شباب دول الخليج جاء فيه: (كل الدراسات التي أجريت في دول الخليج حول ظاهرة تعاطي المخدرات تؤكد على أنه بسبب ازدياد عدد العمالة الاجنبية في المنطقة كان له دوره الكبير في تسرب المخدرات إلى المنطقة بكمياته الكبيرة التي نشاهدها عليه اليوم، وشهدت المنطقة بشكل عام خلال العشر السنوات الأخيرة توافد الملايين من هذه العمالة من مختلف البلدان الآسيوية وخاصة من الهند ـ باكستان ـ تايلند ـ الفلبين ـ بالإضافة إلى البرتغال والدول الغربية وأمريكا (...) وجلبت هذه العمالة معها العديد من العادات والسلوكيات المنحرفة من دول المنشأ إلى بلدان المنطقة، وكان أبرزها عادة تعاطي المخدرات بمختلف أنواعها وأساليبها)[١].

ويؤكد البحث على أن العمالة الوافدة قد أصبحت مزاحما حقيقيا للمواطن الخليجي في سوق العمل، إذ ان رخص أجورها رمت كثيراً من ابناء الوطن وبخاصة الشباب على ارصفة الطرقات بالبطالة والسقوط في متاهات تأثيرات هذه البطالة الاجتماعية على قطاع الشباب، مضيفا أن النتيجة الأكثر انتشارا لسوء الأحوال المعيشية والاجتماعية التي تعيش فيها هذه العمالة هي: اتجاههم للمتاجرة في المخدرات في دول الخليج وخلق الشبكات مع تجار المخدرات المحليين سعيا وراء الاثراء والربح السريع لتأمين معيشتهم ومعيشة من يعيلونهم من افراد عائلاتهم في دول المنشأ[٢].

٣- العامل الاسري: تمثل المشاكل الاسرية وتفكك الروابط العائلية وضعف الجانب التربوي فيها احد أهم الاسباب التي تجعل الشباب ينزلقون في وحل تعاطي المخدرات، فعندما لا يتلقى الطفل والمراهق العناية الايجابية في اطار أسرته فانه في الغالب يقع ضحية اصدقاء السوء الذين يحتكّون به في المدرسة او في الشارع أو في المناطق الترفيهية التي يرتادها، فيشجعونه على خوض تجربة المخدرات والانجراف شيئا فشيئا نحو الادمان.

---

(١) الشباب وتعاطي المخدرات في الخليج- تقرير لمنظمة الشباب البحراني- الطبعة الاولى ١٩٨٥- ص ٢٤.

(٢) المصدر نفسه ص٢٥- ٢٦.



ويتضمن العامل الاسري الذي يشجع الابناء على تعاطي المخدرات اسباباً عدة لخصها الباحث الجزائري (محمد تهامي) في بحثه الموسوم (اثر العوامل الاقتصادية والاجتماعية للأسرة على تعاطي الشاب للمخدرات) على النحو الآتي:

ضعف الدخل المالي للأسرة: اوضحت الدراسة ان هناك علاقة بين المستوى الاقتصادي للأسرة وتعاطي الشاب للمخدرات نتيجة الحرمان المادي الذي يعانيه افرادها، إذ أن عدم تمكن الاسرة من تلبية حاجيات افرادها بسبب غلاء المعيشة وتعدد حاجيات افرادها ينعكس سلباً على الحياة العائلية، وبخاصة على الشباب الذين يعوضون هذا التهميش الاقتصادي بتعاطي المخدرات، فضلا عن دور التوزيع الفيزيقي للمسكن في توجيه السلوك نحو التعاطي وبخاصة في الاحياء الشعبية والفقيرة، إذ توصلت الدراسة الى انه كلما كان الحي الذي يقطن فيه الشاب شعبياً وفقيراً زاد مدى التعاطي والعكس صحيح، كما ان سوء المسكن وضيقه يترتب عليه الاهمال العاطفي للشباب وينعكس ذلك على شخصياتهم وسلوكياتهم، فلا يجدون الراحة والاستقرار في المسكن مما يؤدي بهم الى البحث عن مأوى خارج المنزل والبقاء في الشارع لساعات متأخرة في الليل فيعرضهم ذلك اكثر لرفقاء السوء.

اسلوب التربية الخاطئ: توصلت الدراسة الى ان للتنشئة الاسرية غير السليمة اثر في تعاطي الشباب للمخدرات، وإن اكثر اساليب التنشئة التي تؤدي الى ذلك هو اسلوب القسوة والشدة، فقد أجابت أكبر نسبة ٢٢,٩١٪ من الذين يتعاطون المخدرات ضمن العينة الخاصة بالدراسة على أن اسلوب التنشئة في اسرهم قائم على القسوة والشدة من خلال التهديد والشتائم البذيئة والضرب البدني والطرد من المنزل.

كما بينت الدراسة بأن ردة فعل الوالدين تجاه السلوك غير السوي لأبنائهم تمثل في المناقشة والاقناع بنسبة ٢٩,١٦٪ ثم تلتها نسبة ٢٧,٠٨٪ من الآباء الذين يسامحون ابناءهم عند قيامهم بسلوك غير سوي، فالتسامح خطأ يدفع الشاب الى تكرار السلوك، والامر نفسه بالنسبة للذين يجبرونهم على ترك السلوك السيء الامر الذي يجعل الشاب يقوم به عمدا.

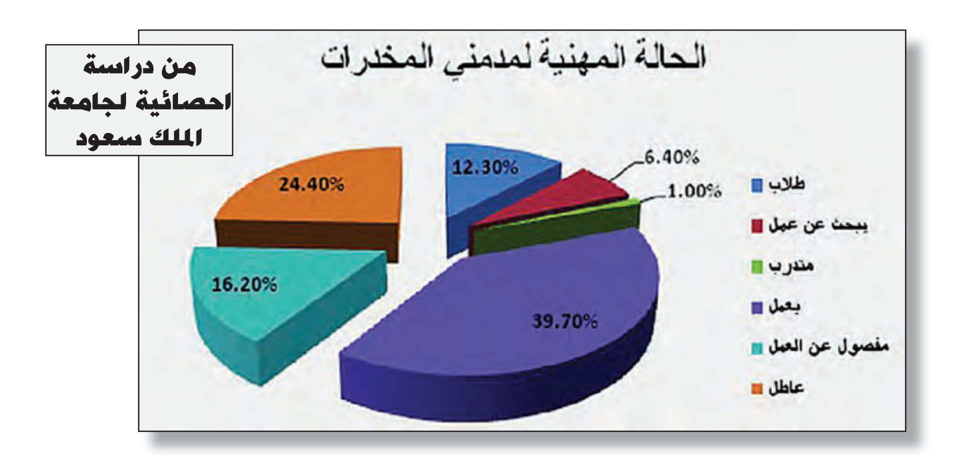
من جانب آخر فان اغلب اولياء الامور لا يشجعون ابناءهم عند قيامهم بسلوك سوي بنسبة ٦٨,٧٥٪ في حين شكلت النسبة المتبقية ٣١,٢٥٪ للوالدين الذين يشجعون ويمدحون اولادهم عند قيامهم بسلوك سوي، فعدم الاهتمام واللامبالاة عند قيام الابن بسلوك جيد لا يشجعه على تكراره ويتخلى عنه ويجعله اكثر اقبالا على القيام بسلوكيات سلبية.

ولأسلوب التفرقة في المعاملة بين الابناء تأثير سيء على شخصياتهم، فقد اوضحت الدراسة ان التفرقة في المعاملة بين الابناء تؤدي الى تعرضهم للعديد من السلوكيات المنحرفة كالمشاجرات والاعتداء على الاخوة والزملاء ويكونون اكثر عدوانية وقابلين للانحراف، كالإدمان على المخدرات الذي يجدونه متنفسا لهم.

■ **ضعف التنشئة الدينية:** أوضحت الدراسة أن عينتها من الشباب الذين يتعاطون المخدرات لديهم معرفة قليلة بأمور الدين بنسبة ٤٥,٨٣٪ ومنهم من ليست لديه معرفة بنسبة ٢٩٪، ويتضح من ذلك ان اغلب الشباب لديهم معرفة متوسطة في امور الدين وهذا ما يعكس التنشئة الاسرية غير السليمة من طرف الوالدين، لأن الآباء هم الذين يربون ابناءهم على اكتساب المعارف الدينية أساساً، وان ضعف الوازع الديني يجعل الشاب اكثر اقبالا على المنكرات والمحرمات ومنها الإدمان.

■ **تفكك الروابط الاسرية:** ان التفكك الاسري يزيد من احتمال تعاطي الشاب للمخدرات، فنسبة ٧٩,١٦٪ من الشباب المبحوثين في الدراسة اجابوا بأنهم يتعاطون دائما مدعمين بنسبة ٩٠,٩٠٪ من كونهم ابناء لأبوين مطلقين، ونسبة

٨٥,٧١٪ من والدين احدهما معيد للزواج، لذا فان الطلاق يعوق عملية التنشئة الاجتماعية ويوقفها بانفصال الوالدين ويدهور عملية تكوين الشخصية الشابة.



كما ان اكبر نسبة من الذين اجابوا بأنهم دائما يتعاطون ٧٩,١٦٪ مدعمين بنسبة ٩٤,١١٪ من الذين يعيش آباؤهم في صراع دائم فيما بينهم، ونسبة ٨١,٢٥٪ من الذين اجابوا بأن هناك توتر احياناً، ويشكل هذا التوتر والصراع المتكرر الى اقبال الابناء على تعاطي المخدرات كرد فعل ثوري على هذا الصراع او بالتوجه لجماعة رفاق السوء لتعويض الهدوء والسكينة المفتقدة داخل الاسرة.

كما ان هناك اثرا بين تجمع افراد الاسرة للحوار على مدى تعاطي الشاب للمخدرات، إذ شكلت اكبر نسبة ٧٩,١٦٪ الذين اجابوا بأنهم دائما يتعاطون مدعمين بنسبة ٨٥,٢٩٪ من الذين اجابوا بأنه ليس هناك تجمع لأفراد الاسرة للحوار فيما بينهم.

ووجدت الدراسة ايضا أن هنالك ربط بين علاقة الابن مع والديه واثره على تعاطي المخدرات، إذ شكلت اكبر نسبة من الذين اجابوا بأنهم دائما يتعاطون ٧٩,١٦٪ مدعمين بنسبة ٩٥,٦٥٪ من الذين اجابوا بأن علاقتهم مع آبائهم سيئة.

■ **غياب الرقابة الاسرية:** اوضحت الدراسة أن هناك أثرا لرقابة الوالدين على موضوع التعاطي، إذ شكلت اكبر نسبة من الذين اجابوا بأنهم دائما يتعاطون ٧٩,١٦٪ مدعمين بنسبة ٩٦,٢٤٪ من الذين اجابوا بأن رقابة الوالدين مهملة، فأغلب اسر

افراد العينة لا تتابع ابناءها في المحيط الخارجي، ولا تدرك انواع العلاقات والاماكن التي يتوافدون عليها وعدم معرفتهم بطبيعة الجماعات الذين يحتكّون بهم.

ومن جانب آخر فان الأسر ذات الحجم الكبير لا يتاح لآبائها الوقت الكافي لمتابعة ابنائهم اضافة للعبء المادي الذي يفرضه العدد الكبير من الافراد في الاسرة الواحدة[١].

٤- العامل الحكومي: يتمثل تأثير هذا العامل بعجز الجهات الحكومية عن القضاء على عمليات تهريب وبيع المخدرات والقيام بحملات تثقيفية كافية ضد تعاطيها.

ويشمل هذا العجز ضعف الجانب الرقابي الذي يمنع دخول المواد المخدرة الى البلد او منع تصنيعها محلياً، ولا ريب في أن مسألة العجز هذه ناشئة عن تقصير، لأننا نلحظ انه خلال عقود ماضية كانت عمليات التهريب في بعض الدول العربية – كالعراق- شبه معدومة على الرغم من ان الامكانات التقنية التي تمكّن اجهزة الدولة من فرض السيطرة الرقابية آنذاك أقل جودة مقارنة بالإمكانات المتوفرة حاليا.

وفي هذا الصدد يشير أحد المواطنين العراقيين - تحفظ على ذكر اسمه- في حديث لصحيفة (بغداد اليوم) قائلا: أنه «قبل عدد من السنوات نشرت احدى الفصائل المسلحة في مدينة الصدر عناصر لها وتم ابعاد هؤلاء عن مناطقنا الا انه سرعان ما صدرت الاوامر بالانسحاب من ملاحقة عصابات بيع الحبوب المخدرة وبعدها بيوم او يومين عادوا الى الجلوس في المقاهي الموجودة في سوق مريدي والتنقل بين القطاعين (٣٢، ٣٠) في مدينة الصدر الواقعة شرقي العاصمة» ويضيف انه «في هذه القطاعين يتجول باعة الحبوب المخدرة امام انظار القوات الامنية وعند القاء القبض عليهم ومصادرة الحبوب التي بحوزتهم سرعان ما نراهم امام اعييننا مرة اخرى بسبب

(١) ينظر: اثر العوامل الاقتصادية والاجتماعية للأسرة على تعاطي الشاب للمخدرات- محمد تهامي- موقع الحوار المتمدن- نشر بتاريخ ٢٠١٥/٣/٢٧.

تواطؤ بعض منتسبي الاجهزة الامنية معهم» على حد تعبيره[١].

ويؤكّد أحد الصيادلة في حيّ الكرادة في بغداد لـصحيفة المونيتور اللندنية أنّ «تجارة الحبوب المخدّرة تدرّ على الكثير من أصحاب المذاخر الطبّيّة والصيدليّات أرباحاً هائلة، حيث تتسرّب بسبب الفساد وتباع في شكل سرّي عبر وسطاء إلى المستهلك» وبالفعل فقد ألقي القبض في ١٣ آب/أغسطس ٢٠١٧ على عصابة تتاجر بالحبوب المخدّرة في شمال بغداد.

ويؤكّد ذلك أيضاً ما كشفته لجنة الصحّة والبيئة النيابيّة في ١٥ كانون الثاني/يناير ٢٠١٧ عن انتشار ظاهرة الأدوية المنتهية الصلاحية، وغير المرخّصة وحبوب الهلوسة، حيث ضبطت سيّارة محمّلة بـ٧٠ صندوقاً من الأدوية غير المجازة في العاصمة بغداد[٢].

علما ان الدور الحكومي لا يقتصر على ضعف الرقابة والمحاسبة على تجارة المخدرات حسب، وانما يشمل تراجع الدور الاعلامي والتربوي الذي يمكن ان تقوم به اجهزة الدولة من خلال وسائل الاعلام والمدارس ومراكز الصحة التابعة لها، فهذا الدور له أثر كبير على الوقاية من تفشي التعاطي بين الاجيال، وذلك ما نجده واضحا في اهتمام الدول الغربية مثل المملكة المتحدة، إذ شرعت وزارة التعليم في بريطانيا بالاستعانة بالكلاب المدربة للتفتيش عن المخدرات بين تلاميذ المدارس الثانوية، وطُبّق هذا النظام في أكثر من مئة مدرسة ثانوية، ومن المتوقع أن يزداد العدد خلال الأشهر المقبلة في إطار حملة لمكافحة تعاطي المخدرات بين النشء[٣].

هذا ويلحق بهذا العامل ضعف اداء الحكومات في الدول الاسلامية في معالجة المدمنين، وذلك يتجسد بقلة عدد المستشفيات التي تعمل على مكافحة الادمان،

(١) الحبوب المخدرة .. من يدخلها للعراق واين تنتشر وكيف يتم توزيعها .. بغداد اليوم تكشف الاسرار الكاملة- صحيفة بغداد اليوم- نشر بتاريخ ٢٠١٧/٧/٢٢.

(٢) أدوية تتحوّل إلى وسيلة للإدمان بين أوساط الشباب في العراق- مصدر سابق.

(٣) ينظر: تعاطي المخدرات في المجتمعات العربية- بي بي سي عربي- نشر بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٦.

ففي العراق مثلا لا توجد سوى مستشفى تخصصي وحيد لعلاج المدمنين[١]، في حين تفتقر اليمن تماماً لمثل هذه المستشفى، وانما اكتفت الحكومة بافتتاح اقسام ملحقة بالمستشفيات يتردد عليها عدد قليل من مدمني (القات) الذين تحالف ضدهم الادمان والامراض وكبر السن[٢].

الدور التوعوي لمكافحة المخدرات:

تلعب التوعية الثقافية دوراً محورياً في محاربة تعاطي الشباب للمخدرات، والوسيلة الابرز لهذه التوعية تكون من خلال الاعلام، فالإعلام يمتلك -بفنونه المتعددة- قدرة كبيرة على التعامل مع المشاعر الانسانية المكتنزة في نفوس الشباب، بشرط ان تكون رسائله الاعلامية معدة بشكل مدروس وأن تكون في اقصى درجات المهنية لتلافي النتائج العكسية التي يمكن ان تسببها الرسائل الاعلامية غير المتقنة.

فالبرامج الوثائقية والدراما والافلام الكارتونية والسينما والمسرح والمجلات والقصص والمنابر الدينية والثقافية يمكن ان تصب في صالح الحد من تفشي هذه الظاهرة اذا ما اتقنت أساليبها.

ويفيد في هذا الصدد أن نقرأ ما طرحه الباحث (د. مصطفى سويف) في كتابه الموسوم (المخدرات والمجتمع.. نظرة تكاملية) إذ يقول: (سواء كانت مادة التوعية قولية -كالاحاديث والمناقشات- او تصويرية كالأفلام فالسؤال المطروح هنا وارد وهو سؤال بالغ الاهمية لان الاجابة عنه تسهم بنصيب مهم في تحديد النتيجة التي يمكن الحصول عليها وفيما يلي بعض المبادئ التي يمكن الاسترشاد بها في هذا الشأن:

الالتزام بالأسلوب التربوي المتكامل بدلاً من اسلوب التلقين: والفرق الرئيس في هذا الصدد هو ان اسلوب التلقين يعتمد اساسا على اعطاء المعلومة كأنها حقيقة

(١) هي مستشفى ابن رشد للطب النفسي في بغداد.

(٢) المخدرات ودور الاسرة- موقع برنامج الحرية لعلاج الادمان- نشر بتاريخ ٢٠١١/٩/٢٨.

معرفية خالصة وهذا غير صحيح في سياق التوعية الذي نحن بصدده، لأننا لسنا بصدد درس في الفارماكولوجيا[١] لكن الصحيح أننا بصدد الحديث عن مخدر في سياق سلوكي أي من حيث هو مؤثر في تشكيل السلوك، ومن ثم فالواجب تقديمه في سياق قيمي متكامل تماما كما نقدم للنشء أي بند سلوكي فنحن نقدمه في السياق القيمي المناسب، ونراعي ان يتم ذلك بلا زيادة ولا نقصان، وكلما افلحنا في هذا الصدد كان ذلك ادعى للنجاح في مهمتنا.



نضرب مثلا لذلك: لنفرض اننا بصدد موضوع الحديث مع الاخر من حيث هو بند من بنود السلوك نعالجه مع مجموعة من النشء، اذا تكلمنا في هذه الحالة بنغمة وعظية فاقعة سيقع حديثنا على آذان النشء موقع السخف الذي قد يتحملونه مؤقتا على أن ينسوه أو يتناسوه بعد ذلك تماماً، ولكن من ناحية اخرى لو اننا عالجنا

(١) الفارماكولوجيا (Pharmacology) هو علم دراسة المركبات الكيميائية ذات التأثير العلاجي.

الموضوع من زاوية التصنيف لأنواع الحديث مع الاخر كما يقرره اللغويون فلن تؤدي هذه المعالجة ما نحاول ان نحققه فيما يتعلق بالدور الذي يجب ان يؤديه «الحديث مع الاخر» كبند من بنود السلوك، والطريق الامثل في هذا الصدد هو ان نعالج الموضوع في سياقه القيمي، فليست المسألة هنا مسألة معلومة ما ولكنها معلومة للتوظيف، ومن ثم يجب تقديمها ومعها المعالم الرئيسة للاطار الذي يحدد معناها وما ينطوي عليه هذا الاطار في موقف ما من مشاعر الاحترام نحو الاخر او مشاعر الندية ان كان هذا هو الحال او مشاعر المحبة والعلاقة الحميمة او مشاعر التحفظ... الخ هذا هو الاسلوب التربوي المتكامل، ان نقدم المعلومة مع السياق الذي يحدد معناها أو قيمتها، وفي هذه الاثناء لا بد من مراعاة مستوى الارتقاء النفسي والعقلي للنشء الذي نخاطبه: تلاميذ في المدراس الثانوية او طلابا جامعيين او شبابا راشدين في احد النوادي.. الخ.

الالتزام بالحقيقة دون مبالغة: يعمد كثير من المتحدثين - وغالبا ما يكون ذلك انسياقاً مع حالتهم الانفعالية اثناء الحديث- الى المبالغة، سواء في وصف الاثار المباشرة او غير المباشرة (النفسية والعضوية) للمخدر، ووجه الخطأ في ذلك ان المتحدث وهو يصف مشاعر النشوة التي تعتري المتعاطي بعد تعاطيه قد يجد نفسه دون قصد منه وكأنه يرغب بعض المتلقين لرسالته في ان يجربوا الحصول على هذه النشوة (...) قد يجد نفسه وكأنه كذلك من حيث لا يقصد يغري بعض صغار الشباب - وبعضهم مولع اصلاً بالدخول في بعض التجارب الخطرة على سبيل المتعة الشاذة- بالاقتراب من هذه المواد النفسية التي تبدو امامهم مثيرة فلم لا يجربونها؟ فاذا اضفنا الى ذلك ان صيغ المبالغة بوجه عام مآلها الى ان تفقد مصداقيتها بسبب او لآخر فمن الجلي انه ينبغي لمقدم برنامج التوعية ان يبتعد ما امكن عن اسلوب المبالغة وان يعتمد على تقديم الحقيقة في صيغة معتدلة بلا مبالغة ولا تهوين.

تجنب الخوض في التفاصيل الدقيقة: يميل بعض المتحدثين الى الخوض في التفاصيل الدقيقة عندما يتحدثون مثلا عن سلوكيات المتعاطين والمدمنين وهم

اذ يفعلون ذلك يتصورون ان تفصيل القول على هذا النحو هو التمهيد المناسب لكي ينقلبوا بعد ذلك الى النقد الشديد لهذه السلوكيات، ووجه الخطأ في هذا ان التفصيل الشديد في وصف أي فعل يؤدي الى تجسيم هذا الفعل امام المتلقي بدرجة تجعل من اليسير عليه ان يحاكيه اذا اراد ذلك فاذا اضفنا بالنسبة لموضوعنا الذي نحن بصدده ان نسبة من صغار الشباب تستهويهم بعض افعال زملائهم المنحرفين دون ان يقدموا هم على ارتكابها وانهم يظلون لفترة من العمر على اعجابهم ببعض سلوكيات هؤلاء المنحرفين ولسان حالهم انهم قد يجربون ممارسة هذا الانحراف اذا اتيحت لهم الفرصة، اذا ادخلنا ذلك في اعتبارنا فإننا بتجسيمنا سلوكيات التعاطي اذ نخاطب شباب الجماعات الهشة[1] نكون متورطين في الضغط عليهم لكي يخضعوا تحت عبء النماذج السلوكية المجسمة (التي نراها منحرفة) والنتيجة ان تأتي توعيتنا بعكس المطلوب تماماً، فبدلا من منع التعاطي اذا بنا نستثير من الدوافع ما يزيد من انتشاره، وفي هذا السياق يجب الامتناع تماما عن الكلام تفصيلا في وصف أي طريقة من طرق التعاطي لأي مخدر.

موضوع المخدرات كجزء من كل: من افضل طرق التوعية فعالية واسلمها عاقبة ان يتناول المتحدث المخدرات كجزء من كل، مثال ذلك ان المتحدث يحسن صنعا اذا هو قدم حديثه عن تعاطي هذا المخدر او ذاك في سياق حديث عن موضوع اشد اتساعا كالعناية بالنشاطات الرياضية او اللياقة البدنية او بأمور التغذية الصحية.. الخ، ففي ثنايا حديث عن اهمية النشاطات الرياضية يأتي المتحدث بسيرة المنشطات مثلا لأن بعض الرياضيين يتناولونها، ويتخذ من هذا المدخل تمهيدا لحديث علمي مبسط ومكثف حول الاثار التدميرية التي تخلفها هذه المواد في الصحة البدنية والنفسية وهو ما يتعارض تماما مع مطلبنا الرئيس من ممارسة النشاطات الرياضية[2].

(١) الجماعة الهشة: مصطلح يطلق على الاحداث الذين تعرضوا لنكبات نفسية او جسدية في حياتهم، او مروا بجنحة، مثل الاطفال الذين انفصلوا عن اسرهم او الاحداث المعاقين او المخالفين للقانون أو اللاجئين والاطفال المهربين (ينظر: التجربة العربية في مجال عدالة الاحداث- د. طاهر بو مدرة ود. نظام عساف- ص ٢٢٥).

(٢) المخدرات والمجتمع.. نظرة تكاملية- د. مصطفى سويف- ص ١٧٨

سادساً: الشباب والموضة



توجد بشكل عام علاقة متينة بين الموضة الغربية وثقافة الاستهلاك، فمن المعلوم أن (الدول الغربية هي الدول الاكثر تطورا صناعيا واقتصادياً، وبالتالي هيمنت على اسواق الدول الاخرى بإنتاجها، الى جانب هذا هناك الهيمنة الثقافية، فهي لا تصدر فقط الانتاج او السلع بل حتى نماذج الاستهلاك من خلال انفتاح الاعلام والاسواق وخلق الحاجات والاذواق لدى المستهلك)[١].

ويمكن قياس درجة تأثر أي مجتمع بثقافة الاستهلاك من خلال قياس مقدار اتباع الموضة لدى الفئة الشبابية لذلك المجتمع، لما تتميز به فئة الشباب (من الحركة

(١) ينظر: (ظاهرة الاهتمام باللباس عند الشباب الجامعي) - بوتقرابت رشيد – رسالة ماجستير من جامعة الجزائر/كلية العلوم الاجتماعية والانسانية/ ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧- ص٩٦.

والاندفاع وحب التغيير والتجديد والتي تتناسب مع صفات الموضة التي لا تعرف الاستقرار والثبات، كما ان الشباب في هذه السن هم بحاجة الى القبول الاجتماعي واثبات الذات وهي كوسيلة للتعبير عن تميزهم عن باقي الفئات الاجتماعية الاخرى)[١].

وقد ذكرنا في مقدمة هذا البحث أن من تجليات التأثير الثقافي للعولمة في المجتمعات الاسلامية يتمثل بسيادة ثقافة الاستهلاك فيها، ونتيجة لذلك يمكن أن نقرر قاعدة مفادها: (انه يمكن قياس درجة تأثر أي مجتمع اسلامي بثقافة العولمة بمقدار انتشار الموضة الغربية بين شبابه)[٢].

ونعني هنا بالموضة المعنى الأعم من الملبس، أي انها تشمل الوشوم والاكسسوارات والمكياج وقصات الشعر وحتى شكل الجسد وحركاته، أي كل ما يرتبط بالمظهر الذي يلاحظه الآخرون.

كما نقصد هنا من الموضة تحديدا: ذلك النوع الشاذ عن العرف الذي يلفت النظر ويدعو الى العجب، وبذلك نستثني ما يتحلى به الشباب المسلم من مظاهر مستوردة يمكن قبولها عرفاً في بيئة اسلامية معتدلة.

وفي هذا الصدد نرصد بشكل موجز بعض الامثلة للموضة الغربية الغريبة التي غزت مجتمعاتنا الاسلامية في الآونة الاخيرة وعلى النحو الآتي:

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) لا بد من الاشارة هنا الى اشكالية تتعلق بلباس عموم المجتمعات الخليجية حالياً، فعلى الرغم من انتشار التأثير الثقافي الغربي لدى هذه المجتمعات إلا أننا ما نزال نلحظ التزام الخليجيين بزيهم العربي المعروف.

وللجواب على هذه الاشكالية نقول: إن جذور المجتمعات الخليجية جذور قبلية تجعل افرادها شديدي الارتباط بتراث الآباء والاجداد، لذا فهم ما يزالون متمسكين بظواهر هويتهم العربية ويعتبرونها مصدر افتخار لهم، ومن ذات المنطلق نجدهم يحافظون على بعض المظاهر الاسلامية مثل حجاب المرأة وقيومية الرجل وتواصل الأقرباء وغيرها من الظواهر التي لا تتقاطع مع الطبائع القبلية، في حين نجد أن التمسك بظواهر التراث أقل شدة في المجتمعات الاسلامية ذات الطابع المدني والتي لها تاريخ اقدم في الاحتكاك بالحضارة الغربية مثل المغرب والجزائر وتونس ومصر ولبنان والعراق وايران.

١- قصات الشعر الشاذة



تعد تقليعات شعر الشباب من أجلى المظاهر الخاصة بالموضة الغربية، ويعمد كثير من الشباب الى تقليد بعض الاشكال الخاصة بقصات الشعر اعتمادا على ما ينشر منها في مواقع الانترنت او ما يظهر منها في البرامج الاعلامية او ما يقوم به بعض مشاهير الرياضة او التمثيل، وفي هذا الصدد (يروي مصفّف الشعر لؤي لـ«المونيتور» بعض تفاصيل ما يحدث في صالونه في محافظة بابل (١٠٠ كيلومتر جنوب بغداد) الذي أطلق عليه اسم «برلين»، فهو كان قد أقام لفترة ثماني سنوات في ألمانيا، وبالتالي راح يجذب بأسلوبه «الغربي» العشرات من الشبان المراهقين، ويشير إلى أن «القصات والتسريحات الغربية هي السائدة اليوم»، لا سيّما ما يُعرَف بـ «سبايكي» أو «النكروش» أو الكبس «بالجلّ».

ويقول لؤي: إنّ الشبان بغالبيّتهم مولّعون اليوم بـ«القصّات» الغربيّة مثل «عرف الديك»، كذلك اتجه البعض إلى حلاقة شعره بالكامل للحصول على «الصلعة» في تقليد آخر للموضة الغربيّة.

واللافت بحسب لؤي أن «هؤلاء الشبان يؤدّون الطقوس الدينيّة اليوميّة، ويتحمّسون للمشاركة في الأعياد والمناسبات الدينيّة بأساليب متطرّفة، وفي بالمقابل تأتي أذواقهم في ما خصّ المظهر غربيّة محضة».

وفي هذا مفارقة كبيرة يُرجِعها الباحث الاجتماعي والأكاديمي في علم النفس (قاسم صالح) إذ يشير في حديثه إلى «المونيتور» إلى «انبهار الشباب بأمرَين متناقضَين، الأول ماضي وتراث ديني تضخّه خطب الجمعة وأحداث التاريخ «المقدّس»، أما الثاني فثقافة غربيّة يتلقّفها هؤلاء عبر الفضائيات والإنترنت ووسائل الاتصال الحديثة، لتصبح الازدواجيّة في السلوك حالة سلبيّة تنشأ عليها أجيال جديدة تسعى إلى البحث عن هويّتها الثقافيّة والفكريّة»)[١].

(الدكتور «هشام غراب» أستاذ الصحة النفسية بالكلية الجامعية والعلوم التطبيقية أوضح: أن «المراهق» يسعى لإثبات ذاته ولفت أنظار من حوله من خلال سلوكيات غريبة أحيانا على الأسرة والمجتمع، وقصة الشعر إحدى هذه السلوكيات الغريبة.

وأوضح غراب: أن الشاب المراهق يلجأ للتقليد الأعمى ليحصل على الشهرة أو يلفت نظر الآخرين بقصة شعره الغريبة مقلدا بذلك للمشاهير من المغنيين أو الممثلين أو لاعبي كرة القدم أو غيرهم، ظناً منه أن هذا التقليد الأعمى سيجعله مقدراً ومميزاً في أعين الآخرين... وشدّد على أنه لا بد من عدم ترك الأبناء الصغار قبل المراهقة لمشاهدة المسلسلات العربية والأجنبية التي لا تنسجم مع قواعد الإسلام وأسس الأخلاق الحسنة، وكذلك تجنيبهم متابعة الانترنت دون رقابة، لأن من شأن ذلك كله غرس القيم والعادات السيئة في نفوس الأبناء، ودفعهم لتقليد الشخصيات المختلفة التي يطلق عليها صفة البطل الذين ينظرون إليه بأنه قدوة لهم)[٢].

٢- موضة البنطلونات الشاذة

من مظاهر الموضة الغربية التي انتشرت بين الشباب المسلم: موضة (البنطلون الساقط) أو ما يسمى (البنطلون الساحل sagging pants) أو بالتعبير الدارج (بنطلون

(١) (شباب العراق بين نقيضَين.. الأجندة المحافِظة ومظاهر الحداثة)- وسيم باسم- صحيفة المنيتور الالكترونية- نشر بتاريخ ٢٠١٣/٩/١٣.

(٢) (ما بين «سبايكي» و «كوكو».. قصات الشعر الغريبة.. «مراهقة» أم «ضياع» ؟) – حسن عمر- شبكة فلسطين للحوار- نشر بتاريخ ٢٠١٢/٨/٢٨.

طيّحني) وهو عبارة عن بنطلون قصير السرج يظهر اجزاء من السروال الداخلي، ويعطي مظهراً كأنه ساقط من خصر لابسه.



تختلف الروايات التي تحكي منشأ هذه الموضة، ولكن اشهر الاقوال تعزوه الى السجون الامريكية، إذ كانت تمنع المساجين من وضع الاحزمة على الخصر خوفا من استعمالها للانتحار او القتل، وذلك ادى الى تكون بنطلونات المساجين منسدلة الخصر، وقد نقل تاجر يهودي هذه الظاهرة بعد اطلاعه عليها الى عالم الموضة، فنشرها في كل من الهند والصين واندونيسيا لرخص العمالة، وفي التسعينات انتشرت هذه الموضة في صفوف المثليين للإعلان المباشر عن انفسهم، وارتدته الفتيات في اوروبا، ولكنه تعمم بين الشباب من الجنسين في سنة ٢٠٠٠ عندما أن قامت المغنية الامريكية «بريتني سبيرز» بارتدائه[١].

والغريب انتشار موضة البنطلون الساقط في بلداننا الاسلامية من دون أن تتعرض الى استنكار قانوني واضح، في حين تعرضت هذه الموضة الى منع في بعض ولايات

(١) ينظر: (بنطلون طيحني.. من السجون الامريكية لموضة بين الشباب العرب)- موقع قناة MBC – نشر بتاريخ ٢٠١٥/٨/٢.

امريكا مع انها بلد المنشأ لهذه الموضة، إذ (صوّت مجلس مدينة «أكالا» بولاية فلوريدا الأمريكية بالإجماع علي قانون يمنع أي شخص يرتدي بنطلونا يكشف أكثر من (٥ سم) تحت الخصر بطريقة تكشف الجسد والملابس الداخلية، وأوضحت صحيفة «مترو» أن (ماري ريتش) عضو مجلس المدينة تحاول منذ ٢٠٠٩ لتمرير هذا القانون إلا أن بعض أعضاء المجلس كانوا يعارضونه استنادا لمبدأ الحريات العامة، ولكن القانون صدر معتمدا على مبدأ: أن الحرية لا تعني أن تمشي عاريا في الشارع.. بهذا القانون احتلت مدينة «أكالا» المركز الرابع مع مدن في ولايات «نيو جيرسي ولويزيانا وتينيسي» لتطبيق هذا القانون.

وأفادت الولاية بأنه سيتم تطبيق القانون على أي ممتلكات مملوكة للمدينة أو المؤجرة، بما في ذلك الشوارع والحدائق العامة والملاعب الرياضية والمناطق الترفيهية ووسائل النقل العام، ويتلقى مخالفو قانون السراويل تحذيرًا شفويًا في المرة الأولى تليها غرامة قدرها ٥٠٠ دولار أو عقوبة السجن إذا عاودوا الكرة)[(١)].

والى جانب موضة (البنطلون الساقط) ظهرت موضة (البنطلون المقطّع) وأخذت تنتشر بسرعة بين شباب وفتيات البلدان الاسلامية، وهو عبارة عن بنطلون ممزق عرضياً بشكل واضح في مناطق معينة من الساقين، ومؤخرا اصبح التقطيع يقع اسفل العجز.

وأثارت هذه الموضة زوبعة من الانتقادات لكونها تسبب الاثارة الجنسية، لأنها تكشف عن مناطق حساسة من الجسد وبخاصة بالنسبة للفتيات، وفي هذا الصدد علقت مصممة الأزياء المصرية (خلود سليمان) على هذه الموضة قائلة: لا يوجد أي داع من هذه الموضة الجديدة التي تعد تقليعة لا تناسبنا على الإطلاق، فلا يوجد أي شكل جمالي إذا كانت الفتحة على مؤخرة الفتاة أو أعلى فخذها، إنما هي محاولة لمحاكاة الغرب وحسب، ولا تتناسب معنا بأى شكل من الأشكال، واعتقد

(١) ينظر: (مدينة أمريكية تقر غرامة ٥٠٠ دولار وسجن لمن يرتدي بنطلونا يكشف ملابسه الداخلية) - وليد عبد الوهاب- صحيفة المصري اليوم- نشر بتاريخ ٢٠١٤/٧/٣١.



أن المجتمع سيرفضها تماماً[١].

وأخيرا ظهرت موضة (البنطلون المبلول) أو (بنطلون التبوّل)، وهو عبارة عن بنطلون جينز بلونين، احدهما فاتح من خارج الخصر والساقين والثاني غامق من داخل السرج والساقين، بحيث يوحي للناظر ان صاحب هذا البنطلون قد تبوّل على نفسه، وأشارت بعض المواقع الاخبارية الى نزول هذه الموضة الشاذة لأسواق مصر في سنة ٢٠١٦، ويصل سعر القطعة الواحدة من هذا البنطلون الى ٨٠٠ جنيه[٢].

وبهذا الصدد اصدر بعض علماء الازهر استنكارا شديد اللهجة ضد هذه الموضة، فقد (أكد الدكتور حامد أبو طالب عضو مجمع البحوث الإسلامية إن هذه الموضة هي موجة من موجات الهجوم الخارجي على ثقافتنا بقصد إفساد الذوق العام، خاصة أن بعض الشباب مهتم بما يرد من الخارج أيا ما كان هذا الوارد حتى ولو كان سُمّاً زُعافاً فيتجرعه ثم تكون النتيجة القضاء على هذا الشباب وعلى ذوقه وعلى حسه، وأضاف: إذا فسد ذوق الشباب وحسه فلن يستطيع أن يقول رأيا صائبا أو أن يفعل شيئا نافعا وبهذه الطريقة البسيطة يتم تدمير شباب الأمة وهو خطر داهم ينبغي على الدعاة والإعلاميين ومن بيدهم الأمر أن يتصدوا لهذه الهجمة الشرسة التي تشن على مصر في شتى المجالات اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا.

من جانبه قال الدكتور عبد المنعم فؤاد عميد كلية العلوم الإسلامية للوافدين بجامعة الأزهر إن المسؤول الأول عن انتشار هذه الظاهرة هم من سمحوا بدخول هذه

(١) (بعد انتشار تقليعة البنطلون «المقطوع» من الخلف.. سألنا البنات تقدرى تلبسيه؟)- جهاد الديناري- صحيفة اليوم السابع- نشر بتاريخ ٢٠١٦/٥/٢١.

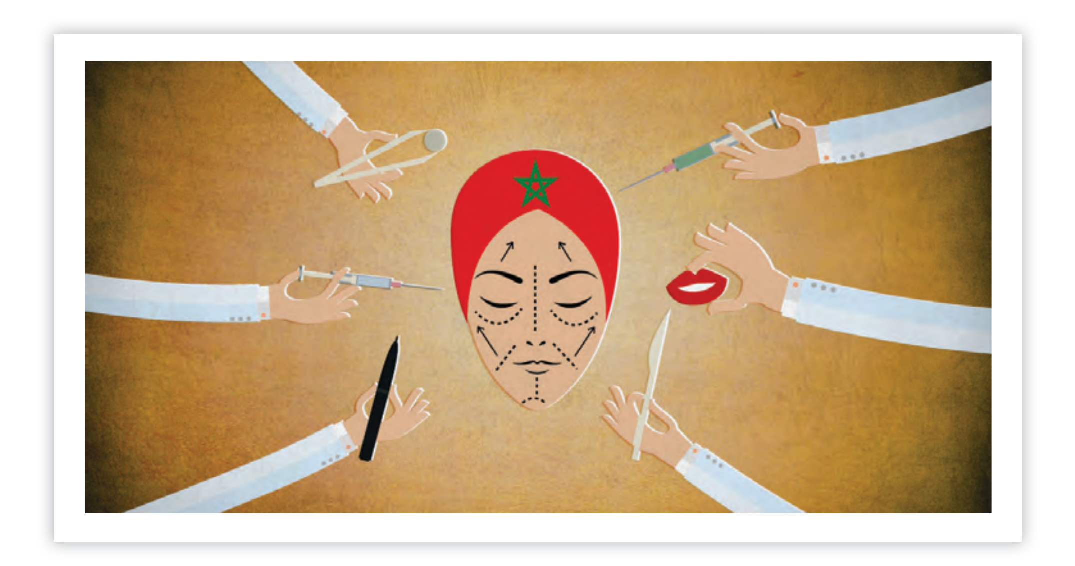
(٢) ينظر: (الأزهر يرد على موضة "بنطلون التبول" مؤكدًا أنه تشبه بالشواذ)- محمود عاشور- موقع مصر فايف- نشر بتاريخ ٢٠١٦/٩/٢٤.

المنتجات البلاد، ويليهم في المسؤولية أولياء الأمور الذين سمحوا لأبنائهم وبناتهم بشراء هذه النوعية من الملابس، واعتبر فؤاد في تصريحات لـ«اليوم السابع» أن هذه الظاهرة أخطر من جريمة التحرش لأن هذه الملابس يرتديها الشواذ في الغرب.

من ناحية أخرى قالت الدكتورة إلهام شاهين أستاذة العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر: إن ما نراه من موضات غريبة وشاذة يصدرها لنا الغرب ولديه كل الثقة في أنها ستلقى رواجا في بلادنا، ولدى شبابنا الأصل في ذلك الاعتقاد الراسخ لدى الغرب بأننا لا نملك القدرة على التفكير الإبداعي ولا نملك إلا القدرة على التقليد، مطالبة الشباب والبنات بإعادة النظر والتفكير في الهدف من وراء هذه الموضات الغريبة)[١].

٣- عمليات تجميل الجسد

على مستوى الموضة التي تتعلق بشكل الجسد نفسه، فقد ارتفع لدى الشباب المسلم في السنوات الاخيرة سقف الرغبة بتغيير المظهر من خلال الحفاظ على الرشاقة وبناء العضلات، وعلى هذا الاساس نشطت قاعات الرياضة وبناء الاجسام وصار الشباب من الجنسين يتهافتون عليها بشكل ملفت للنظر.



(١) ينظر: (علماء أزهريون: البنطلون «المبلول» أخطر من التحرش وتشبه بالشواذ)- لؤي علي- صحيفة اليوم السابع الالكترونية- نشر بتاريخ ٢٠١٦/٩/٢٣.



ولم يتوقف الامر عند تحسين القوام باستخدام النظام الغذائي والرياضة، وانما وصل الى الرغبة باجراء التداخل الجراحي، فاكتسحت موجة العمليات التجميلية في البلدان الاسلامية، وارتفعت نسبة اجراء هذه العمليات بشكل جعلها تنافس كثيراً من البلدان على المستوى العالمي، (فبحسب تقرير الجمعية الدولية للجراحة التجميلية ISAPS الذي يوضح عدد جراحي التجميل ونسب العمليات التي تمت في العام ٢٠١٥ تصدرت مصر الدول العربية في عدد جراحي التجميل كما احتلت المركز التاسع عشر عالمياً، وذكر التقرير أنه يوجد في مصر ٤٠٠ جراح تجميل بنسبة ١٪ من جراحي التجميل في العالم.

وجاءت السعودية في المركز الثاني عربياً والتاسع والعشرين عالمياً من حيث عدد جراحي التجميل مع احتوائها على ٢٣٠ جراح تجميل بنسبة ٠,٦٪ من جراحي التجميل في العالم، كما ذكرت وزارة الصحة السعودية أن عدد عمليات التجميل في السعودية بلغ أكثر من ١٤,٤١٢ عملية تجميل غالبيتها تمت في الرياض بواقع ٨٥٠٤ عمليات تجميل، بينما جاءت جدة في المركز الثاني بواقع ٣٣٨٤ عملية، واحتلت المنطقة الشرقية المركز الثالث بواقع ١٣١٨ عملية تجميل، وكانت أكثر العمليات انتشاراً هي عملية نحت الجسم.

وتشير بعض الأبحاث إلى انتشار عمليات التجميل في لبنان بنسبة كبيرة حيث يتم إجراء ١,٥ مليون عملية سنوياً على الرغم من أن عدد السكان لا يتجاوز ٤,٥ مليون نسمة لدرجة أن بعض البنوك تعرض قروضاً مقدارها ٥٠٠٠ دولار للمساعدة في القيام بعمليات التجميل، وعلى الرغم من أن عدد جراحي التجميل في لبنان أقل من

مصر والسعودية إلا أن لبنان تحتل المركز الأول عربياً في عدد عمليات التجميل، وقد أدى ذلك إلى انتشار السياحة التجميلية في لبنان إذ يقصدها الناس من دول العالم كافة لإجراء عمليات تجميل متعددة.

وتعد الإمارات واحدة من الدول العربية التي تقوم بالكثير من عمليات التجميل خاصة مع وجود جنسيات عديدة فيها تأتي بغرض العلاج في مدينة دبي الطبية العالمية، وتحتل عمليات التجميل المركز الثاني في السياحة العلاجية، وقد تضاعف عدد عيادات التجميل ٢٠ مرة في آخر عشر سنوات.

ومن المثير للدهشة إقبال الكثير من الرجال في الإمارات على عمليات تجميل البشرة وإزالة الشعر بالليزر وشفط الدهون وتجميل تشوهات الأنف وتقشير الجلد وعلاج ترهلات الجلد «السيلوليت» حيث يشير تقرير لوزارة الصحة عام ٢٠١٢ إلى قيام ١٥ ألف رجل بتلك العمليات.

ووفقاً لإحصائيات قامت بها مستشفى الأكاديمية الأمريكية للجراحة التجميلية في الإمارات، ازدادت عمليات التجميل الجراحية التي أجرتها المستشفى بنسبة ١٥٪ في الفترة من ٢٠١٣ إلى ٢٠١٤، وقد كانت عمليات شفط الدهون وجراحات الثدي وشد البطن وجراحات تجميل الأعضاء التناسلية النسائية وعمليات تجميل الأنف أكثر خمس عمليات قامت بها المستشفى في تلك المدة.

أما بالنسبة لعمليات التجميل في الكويت فقد ازدادت نسبة عمليات تجميل الأنف وشفط الدهون، وبحسب أقوال بعض المختصين قام أكثر من ٧٠٪ من الكويتيين بعمليات تجميلية دون وجود الحاجة الماسة إليها، ولا تنحصر هذه النسبة في النساء فقط بل يبلغ عدد الرجال الذين يجرون عملية تجميل حوالي ٣٠٪ من المجتمع الكويتي وهذه نسبة كبيرة.

كما ازداد الإقبال على عمليات التجميل في قطر خاصة عملية تجميل الأنف حيث



المصدر: صحيفة صوت الأمة المصرية

يذكر أحد أطباء التجميل أنه يقوم بإجراء ٢٥٠ عملية تجميل أنف في العام الواحد على الأقل، وتأتي بعدها عمليات تجميل الجفن وشد وتعديل الرقبة وعمليات الوجه عموماً، كما ازداد الإقبال مؤخراً على عمليات شفط الدهون وتشكيل الجسم، ويشكل الرجال ٢٥٪ من الراغبين في القيام بعمليات تجميل في قطر.

أما عن عمليات التجميل في الأردن فلا توجد إحصائيات دقيقة، ولكن جراحي التجميل قد شهدوا ارتفاعاً في طلب عمليات تجميل بنسبة ١٠٠٪ وتتراوح العمليات بين: تجميل جفن العين وتجميل الأنف وعمليات شفط الدهون وزراعة الثدي.

كما تنتشر عمليات التجميل في تونس وتزدهر السياحة التجميلية هناك بنسبة ٦٠٪ في كل عام ويساعد على هذا انخفاض سعر عمليات التجميل فيها والذي قد يقل بمقدار ٧٠٪ عن مثيلاتها من الدول الأوروبية، بالإضافة إلى استخدام التقنيات الحديثة في التجميل.

وتشهد عمليات التجميل في البحرين رواجاً كبيراً سواء من البحرينيين أو من الجاليات الأجنبية ويشجعهم على هذا انخفاض سعر عمليات التجميل حيث يبلغ

نصف سعر عمليات التجميل في أوروبا، ووصلت عيادات التجميل إلى ٢٠ عيادة وهو رقم كبير بالنسبة للبحرين، إذ يبلغ عدد راغبي التجميل من ٣٠ إلى ٤٠ مريضاً في الأسبوع، وأكثر العمليات انتشاراً هي عملية تجميل الأنف تليها عملية شفط الدهون)[١].

وفي العراق فان عيادات التجميل الشهيرة باتت تمتلئ بالمراجعين (فالداخل إلى مركز الأمل المتخصص في التجميل في حي المنصور بالكاد يفلح في العثور على كرسي فارغ للجلوس، فيما تغص صالة الانتظار بالباحثين والباحثات عن الجمال حتى الردهة، وغالبية المقبلين على هذه العمليات هم من النساء، فقد صرح (د. اسامة الزبيدي) الذي يدير مركزاً خاصاً للتجميل أنه (طبقا للإحصائيات الاولية للعامين الماضيين فإن نسبة النساء اللواتي يجرين عمليات التجميل في مركزه وصلت الى ٨٦٪ مقارنة بنسبة الرجال التي لم تتعدى ١٤٪... وأضاف الزبيدي أن أكثر الفئات العمرية اقبالا على العمليات هي بين سن ٢٨ و٥٠، وتصل نسبتها الى ٦٥٪، تليها الفئة العمرية بين سن ١٨ و٢٨ بنسبة ٣١٪، لافتا إلى أن «المراكز الطبية الخاصة لا تجري عمليات تجميل كمالية لمن هم دون سنة الثامنة عشرة».

ووفقا لأسعار بعض مراكز التجميل في بغداد، يدفع الزبائن مبلغا في حدود ٦٠٠ دولار في جراحة الأنف ومبلغا مماثلا لنفخ الخدود، فيما تزيد تكلفة عمليات تكبير الصدر عن ١٥٠٠ وتصل إلى ٣٠٠٠ دولار أمريكي حسب شهرة الطبيب، فضلا عن تكاليف بعض المواد التي يستوردها المريض بنفسه من خارج البلاد أو يشتريها من الصيدليات العراقية كمادة السيليكون الخاصة بنفخ الشفاه والخدود)[٢].

وعلى صعيد الدول الاسلامية غير العربية (تحتل إيران المرتبة الأولى عالميا من حيث إجراء عمليات تجميل الأنف، وتتراوح كلفتها بين ٤٠٠ و٦٠٠ دولار أميركي، وتوجد في البلد ١٠٠ عيادة مرخصة لهذا النوع من العمليات، وحسب ما أفادت

(١) ينظر: (ترتيب الدول العربية في عمليات التجميل)- موقع tajmeeli الالكتروني – نشر بتاريخ ٢٠١٦/١١/١٥.

(٢) ينظر: (باحثون عن الجمال في بغداد)- خلود رمزي- موقع نقاش- نشر بتاريخ ٢٠١٠/٧/١.

به نقابة جراحي التجميل الإيرانية يوجد في إيران ٣٠٠٠ طبيب يجرون هذه الجراحات، ١٢٥ منهم فقط هم من لديهم الإذن القانوني بذلك... ويقول إحصاء رسمي للرابطة إن إيران تجري سنويا ٥٠ ألف عملية تجميلية للأنف نصيب الرجال منها ١٥ ألفا)[1].



حلّت السعودية في المرتبة ٢٣ عالمياً في عمليات التجميل والاولى عربيا بحسب دراسة جمعية جراحي التجميل للعام ٢٠١١ - المصدر: صحيفة arabianbusiness العربية

وعلى صعيد باكستان فان الجراحة التجميلية تزداد ازدهارا ايضا (نظراً الى رخص التكاليف، فان الباكستانيين المغتربين يشكلون اكبر شريحة من الذين يعودون الى بلادهم للخضوع للجراحات التجميلية التي تحولت مجال عمل ينمو بسرعة في البلد.

ويعد معهد «همايون محمد» لزراعة الشعر في إسلام آباد نموذجاً للعيادات التي انتشرت في باكستان والتي تجري جراحات مثل تكبير الصدر وربط المعدة وشد الوجه وتجميل الأنف وزرع الشعر، ويقول «همايون محمد» ان معظم زبائنه هم اناس يتحدرون من اصل باكستاني وقدموا من الخارج، وأضاف: «اكبر شريحة من الزبائن تأتي من الولايات المتحدة وتليها المملكة المتحدة».

وقال ان من بين الزبائن الآخرين الذين يفدون الى البلاد بغية الخضوع للجراحات بعشر التكاليف التي كانوا سيتكبدونها في الغرب باكستانيين من أوروبا، خصوصاً

---

(١) ينظر: (التجميل في إيران.. اقتلني واجعل أنفي جميلا) – فاطمة الصمادي- موقع الجزيرة- نشر بتاريخ ٢٠٠٧/٧/١١.

من النروج والدنمارك وقلة من استراليا.

إلا أن الزبائن الذين يتوافدون الى العيادات لتحسين مظهرهم لا يقتصرون على الوافدين من الخارج، فالنمو الاقتصادي المتزايد رافقته أنماط من ثقافة الاستهلاك الغربية، خصوصاً في أكبر مدينتين في باكستان وهما لاهور وكراتشي، الى ذلك فإن الظهور في مظهر لائق أمر مهم في باكستان مثلما هو في أي مكان)[١].

علماً إن سبب إقبال كثير من الشابات والشباب على الخضوع لمبضع جراح التجميل يتمثل برغبتهم في التشبه بمظهر الفنانين والفنانات الذين يظهرون عبر وسائل الاعلام المختلفة، وهو ما يؤكد تأثير ظاهرة العولمة الثقافية التي جاءت للبلدان الاسلامية على جناح وسائل الاعلام العابرة للقارات.

يقول «همايون محمد» صاحب مركز عمليات التجميل الباكستاني: (مع انتشار برامج مثل برنامج «اوبرا وينفري» وبرامج تغيير المظهر كاملاً اصبح الناس اكثر وعياً بمظهرهم، بدأوا يؤمنون بضرورة الظهور في مظهر جيد)[٢].

وفي تقرير نشره موقع «نقاش» عن عمليات التجميل في العراق ورد أن (التهافت على المستشفيات والعيادات الخاصة بات حلا أمثل للحصول على شكل أجمل مستوحى من أشكال الفاتنات اللواتي يظهرن على شاشات التلفاز، ويصرح أحد الممرضين العاملين في مركز الامل التخصصي لعمليات التجميل قائلا: «تأتي معظم النساء وفي أيديهن صور لفنانات يرغبن في التشبّه بهن كنانسي عجرم وهيفاء وهبي» وهما فنانتان لبنانيتان خضعتا لعشرات عمليات التجميل قبل أن تتمتعا بجمالهما الحالي)[٣].

---

(١) (عيادات التجميل تزدهر حتى في باكستان) – مصدر سابق.

(٢) (عيادات التجميل تزدهر حتى في باكستان) – صحيفة الحياة اللندنية نقلا عن رويترز- نشر بتاريخ ٢٠٠٦/٧/٢.

(٣) ينظر: (باحثون عن الجمال في بغداد)- مصدر سابق.

٤- حجاب على الموضة الغربية

	Burka	Niqab	Chador	al-Amira	Hijab	None
Tunisia	1%	2%	3%	57%	23%	15%
Egypt	1%	9%	20%	52%	13%	4%
Turkey	0%	2%	2%	46%	17%	32%
Iraq	4%	8%	32%	44%	10%	3%
Lebanon	2%	1%	3%	32%	12%	49%
Pakistan	3%	32%	31%	24%	8%	2%
Saudi Arabia	11%	63%	8%	10%	5%	3%
Median	2%	8%	8%	44%	12%	4%

نتائج استطلاع مركز بيو للأبحاث شمل ٧ بلدان اسلامية للعام ٢٠١٤

نقصد هنا بالحجاب الاسلامي المعنى الاوسع الذي يشمل ترك كل مظاهر الزينة بالإضافة الى ستر المفاتن، وهذا الحجاب قد تعرض مؤخرا الى تغيرات بارزة تحت ضغوط الموضة الغربية الى درجة تغير معها مفهومه، اذ أن كثيراً من النساء المسلمات صرن يتخذن من الحجاب وسيلة للزينة، وفي الوقت نفسه يكون درعاً من النقد الاسري او الاجتماعي لعدم التخلي التام عنه.

وهذا الحال أدى الى انتشار نوع من الحجاب يتكون من وشاح يُلف على الرأس مع قميص وتنّورة، وقد يستخدم قميص طويل مع بنطلون تحته، في حين انحسر الحجاب المعروف الذي يغطي أكثر اجزاء جسد المرأة كما تفعل العباءة أو «الجادر».

ويبدو ان هذا الحال تحول الى ثقافة سائدة في البلدان الاسلامية، فبحسب استطلاع للرأي قام به (مركز ابحاث بيو Pew Research Center)[١] في العام ٢٠١٤ للرجال

(١) مركز أبحاث بيو هو صندوق حقائق غير حزبي يطلع الجمهور على القضايا والمواقف والاتجاهات التي تشكل أمريكا والعالم. وهي تجري استطلاعات الرأي العام، والبحوث الديموغرافية، وتحليل محتوى وسائل الإعلام وغيرها من البحوث التجريبية العلوم الاجتماعية. مركز بيو للبحوث لا يتخذ مواقف السياسة. وهي شركة

والنساء شمل سبعة بلدان تضم أغلبية مسلمة هي (تونس ومصر والعراق ولبنان وباكستان والسعودية وتركيا) تبين أن معظم المقيمين في هذه البلدان يفضلون حجاب المرأة بما يسمى «حجاب الأميرة» و»وشاح الرأس» بنسبة (٤٤٪ و ١٢٪) على التوالي، في حين لم تبلغ نسبة تفضيل لبس «النقاب» و»العباءة» سوى (٨٪) لكل منهما[1].

لذلك فانه على المستوى الثقافي يواجه الهدف الاساس من الحجاب الاسلامي ضربة في الصميم، إذ أخذت تسود المجتمعات الاسلامية ثقافة تسعى الى تغييب هذا الهدف - وهو ستر مفاتن المرأة - وحصر غايته بتغطية الشعر أساساً، وهذه الفكرة اخذت تستشري بشكل لافت في ثقافة المجتمعات الاسلامية، لذا نجد ان كثيرا من الفتيات المسلمات يرتدين غطاءاً للشعر مع بنطلون ضيق ويطلق عليهن اسم «محجّبات».

وفي هذا المجال نشرت صحيفة ايلاف السعودية مقالا بعنوان (الحجاب يتجاوز الدول الإسلامية كموضة للمسلمات) جاء فيه: ان الامر ليس في ارتداء الجينز والبنطال الضيق بقدر ما يتعلق بانتشار موضة يصر بعضهم على تسميتها بالحجاب، لا تعني بالأصول الشرعية لارتدائه بقدر ماهي رغبة في التعبير عن الذات «المسلمة» في مجتمع غربي بحسب الباحث الاجتماعي العراقي (كريم اللامي).

واذا كان المطلوب هو ان ترتدي المرأة المسلمة زيا لا يصف مفاتن الجسد ولا يستر الجسم فإن الحجاب العصري يشذ عن القاعدة في احايين كثيرة، واصبح وسيلة من وسائل عرض مفاتن المرأة وجماليتها حتى عاد الحجاب يصمم بأشكال والوان مثيرة للانتباه وجاذبة للنظر وملامسة للأحاسيس، بل اصبح مرادفا لأدوات التجميل الاخرى في ما يأخذه من وقت ومن تكلفة، ولم تعد تتحقق شروط الحجاب في ألا يكون لافتا للنظر أو مثيرا للفتنة فإذا تحققت هذه الشروط جاز للمرأة المسلمة أن

تابعة لصناديق بيو الخيرية.

(١) How people in Muslim countries prefer women to dress in public - fact-tank – ٢٠١٤/١/٨

ترتديه وتخرج به.

وفي مدن عربية وغربية فتيات يرتدين حجابًا مع ملابس تبعث على جلب النظر اكثر مما تبعث على غض الطرف، واصبحت موضة الحجاب الاكثر حضورا في الشارع العربي، بينما ترى الحجاب في أوروبا وسيلة من وسائل الجذب، فثمة فتيات مسلمات غربيات لا يعبأن بالشروط الشرعية، وأصبح الهدف من الحجاب وسيلة للتعريف بالشخصية وللتميز عن الاخرين، حتى اصبح بالإمكان التعرف إلى هوية الفتاة من حجابها الذي يختلف باختلاف شكله والوانه، فهناك الحجاب المغربي والتركي والعراقي(الشيعي).. ويخلص كاتب المقال الى ان الحجاب اصبح موضة وليس دلالة على الالتزام بالشريعة[١].

خلاصة الامر؛ ان تفريغ الحجاب من هدفه الاساس الذي شرع من اجله في الاسلام مهد الى تشكيل هوية جديدة له، يجعل منه وسيلة لجذب الانظار بما يشتمل عليه من الوان وازياء وما يرافقه من زينة مثل استخدام الحواجب والرموش الصناعية والعدسات الملونة ومساحيق التجميل والعطور، فضلا عن استخدام روافع الشعر ليكون تحت غطاء الرأس شبيهاً بسنام البعير.

وتفريغ الحجاب من هدفه في ثقافة المجتمع الاسلامي هو الذي يفسر كون كثير من النساء الغربيات اللواتي اعتنقن الاسلام عن قناعة صرن اكثر التزاماً بالحجاب السليم من الفتيات المسلمات في الاصل[٢].

ولكن هل يعد ذلك مؤشراً على انحسار الحجاب وانتشار السفور في المجتمعات الاسلامية؟ نحن نعتقد خلاف ذلك، لأن اهمية الدين في حياة الفرد ما تزال موجودة في الضمير الاجتماعي العام للدول الاسلامية، (إذ تنتشر ظاهرة الحجاب الرمضاني المؤقت كنوع من التديّن الذي يواكب شهر الصوم، فترتدي الفتاة السافرة الحجاب

---

(١) (الحجاب يتجاوز الدول الإسلامية كموضة للمسلمات) - عدنان أبو زيد – موقع ايلاف بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٦.

(٢) المصدر نفسه.



كنوع من الالتزام الديني، وبمجرد انتهاء شهر رمضان تعود الى وضعها السابق من دون حجاب، وتبرر الفتيات اللاتي يتحجبن في رمضان فقط بأنهن يشعرن بالاختناق من الحجاب ويجدن انفسهن مضطرات لذلك في رمضان لأنه شهر صوم وصلاة وحجاب ورغم ذلك يشعرن انه سيأتي اليوم الذي يرتدين فيه الحجاب لا محالة لكن من دون ضغط واجبار وذلك بسبب عشقهن للملابس التي تجاري ابتكارات الموضة)[١].

وفي هذا الصدد يقول الدكتور (جلال الدويك) استاذ علم النفس الارتقائي الاكلينيكي: (ارتداء الفتاة للحجاب وخلعه ظاهرة منتشرة في المجتمعات العربية منذ سنوات وهي دليل على وجود صراع داخلي بين رغبة الفتاة في الطاعة والالتزام بفروض الله سبحانه وتعالى ورغبتها في الظهور بشكل جميل وجذاب... ان الفتاة في داخلها لديها قناعة بأن هذا هو الطريق الصحيح وان الحجاب فرض فرضه الله عليها لكنها أضعف من أن تتمسك بالالتزام به لأن حاجتها الى الظهور بصورة انثوية لافتة للجنس الآخر اقوى في داخلها، بالإضافة الى حاجتها الى مسايرة الموضة ولفت الانتباه من خلال ملابسها وهيأة شعرها)[٢].

(١) ينظر: (ظاهرة الحجاب الرمضاني المؤقت.. بين القبول والرفض)- موقع العراق اليوم الالكتروني- نشر بتاريخ ٢٠١٧/٦/٢٤.

(٢) المصدر نفسه.

ويوضح الدكتور (طه ابو الحسن) استاذ علم الاجتماع ان (التدين والسير على الطريق الصحيح مسألة فطرية تأتي من الاسرة والتربية، وارتداء الفتاة للحجاب في شهر رمضان ثم خلعه تعد مسألة نفسية عقدية نتيجة انعدام الوازع الديني عند اغلب الشباب من الجيل الحالي... ان الفتاة تواجه صراعات داخليا بين طبيعة الشخصية والقيم الدينية والاخلاقية مما يجعلها تختزل الايمان والتدين في شهر رمضان في محاولة لإرضاء ذاتها واقناعها بأنها ترضي الله وتطيعه بشكل صحيح)[١].

وعلى المستوى الفكري يواجه مفهوم الحجاب الاسلامي تحديات من نوع آخر، تتمثل بمناقشة اصل تشريع الحجاب في الاسلام، من خلال مراجعة المقاصد التي تدعو الى لبسه ومحاولة نفي الحاجة اليه بانتفاء غايته، ومن الامثلة على ذلك ما اوردته الباحثة (لمياء قدّور) قائلة: (عندما أسأل نفسي اليوم بوصفي مسلمةً تعيش في ألمانيا إنْ كان عليَّ ارتداء الحجاب أمْ لا، يطرح السؤال نفسه في ما إذا كان النص الوارد في القرآن في الآية ٣٣:٥٩ التي تطالب المرأة بأنْ تضع الحجاب على رأسها ما زال يحقق الهدف الذي كان منشودًا منه في السابق، أي حماية المرأة من شهوة الرجال؟ أما جوابي على ذلك فهو: لا، لا يؤدي الحجاب الغاية الأصلية في حماية المرأة في ألمانيا الحاضرة، لا بل بالأحرى يحصل عكس ما أراده الله، إذْ أنَّ المرأة المحجـبَّة تتعرض لمساوئ عدة كالاضطهاد على سبيل المثال.

وبدلاً من الحجاب الذي كان مطلوبًا في سياق القواعد الاجتماعية آنذاك، فإنَّ النظام القانوني الفعال يوفـِّر اليوم للمرأة الحماية المطلوبة من «التحرش»، فدولة الحرية والقانون تحمي المرأة من خلال المعاقبة على الاعتداء على شخصها مثلاً)[٢].

طبعا فان دعوى (لمياء قدور) لا تقوم على اساس واقعي، فالقانون في المانيا

(١) المصدر نفسه.

(٢) ما هي الأسباب التي تدفعني كمسلمة لعدم ارتداء الحجاب؟ - لمياء قدور- موقع قنطرة للحوار مع العالم الاسلامي- نشر بتاريخ ٢٠١١/٤/٦.

الحاضرة ما يزال عاجزا عن حماية المرأة من التحرش والأذى الجنسي[1]، هذا أولا، وثانيا ان الاضطهاد العنصري الذي ذكرته (قدور) لا يجوز أن يتخذ دليلا على بطلان التشريع الاسلامي للحجاب، إذ لا صلة بين الأمرين كما هو ظاهر.

ولا بد من الاشارة الى وجود دعوت اسلامية تبيح خلع الحجاب تبعاً للظروف التي تحيط بالفتاة المسلمة كعيشها في بلدان غربية تفرض عليها خلعه، وفي هذا المجال صرح الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي في السعودية أن القوانين المتعلقة بحظر الحجاب في الدول غير الإسلامية شرعية وعلى المسلمين القبول بها، مؤكدا أنه على المسلمين أن لا يضعوا القرآن فوق قوانين البلدان المستضيفة لهم، مؤكدا في حوار له مع صحيفة «فرانكورته آلغماينه تسايتونغ» الألمانية إن «من يسعى للبقاء في الدول غير الإسلامية عليه إزالة الحجاب ومن لم يقبل بذلك عليه مغادرة البلاد، هكذا يقول الإسلام»[2].

وختاما نقول: ان التحدي الذي يواجهه الحجاب الاسلامي في اذهان الشباب المسلم لم يعد يقتصر على عدم الالتزام به لمجرد نزوة، وانما بات يمس اصل المفهوم الاسلامي للحجاب وتطبيقه خارجاً، وهذه الشبهة لا يمكن ان تزول من اذهان الشباب بمجرد اصدار فتاوى تبين حدود الحجاب وفروضه، وانما لا بد من ان يرافق ذلك بيان المدارك الفقهية التي يستدل بها فقهاء التشريع على هذه الحدود والفروض، وان ينشر اعلامياً على نطاق واسع بأسلوب جذاب ميسّر يستوعبه شباب اليوم لكي يكون بيدهم سلاح يدفعون به الاباطيل عن ساحة فكرهم ويجنبهم خداع الشبهات.

(١) ينظر: تقرير تلفزيوني بعنوان (صنع في المانيا- التحرش الجنسي في العمل) نشره موقع قناة DW الالمانية بتاريخ ٢٠١٨/١١/٨.

(٢) ينظر: أمين عام رابطة العالم الإسلامي: يتعين القبول بقوانين حظر الحجاب – موقع قناة DW الالمانية- بتاريخ ٢٠١٧/٥/١٠.

منع حكومي لانتشار الموضة

لجأت بعض الحكومات في الدول الاسلامية الى سن قوانين واجراءات لمنع انتشار الموضة الغربية في صفوف الشباب المسلم، ففي ايران (كشف حميد قبادي مدير شؤون الموضة والملابس في وزارة الإرشاد الإسلامي - وهي وزارة مكلفة بتحديد وتنفيذ المعايير الحكومية في هذا المجال - عن إنشاء «مركز تدريب لعرض الأزياء» قريباً في إيران وسيتم منع عارضات وعارضي الأزياء من القيام بعشرة أنواع من عمليات الجراحة والحقن التجميلي للوجه، إلا أنه لم يحدد هذه العمليات... وحدد قبادي معالم ومعايير الموضة المسموح بها في إيران، مؤكداً أنها تخضع «للقوانين عرض الأزياء على الطريقة الإسلامية» مشيراً إلى أنها خلاصة لدراسات تمت في «مدارس عرض أزياء عالمية» ومستلهمة في أغلبها من أتباع «الشؤون الدينية والعرفية» في إيران على حد قوله.

وكانت وزارة الإرشاد الإيرانية عممت في منتصف يوليو ٢٠١٠ في أعقاب مؤتمر العفاف والحجاب خمس قصات شعر على دور الحلاقة للرجال، ومنعتها من أي قصة شعر رجالية لا تتطابق مع تلك المسموح بها من قبل الوزارة، وتؤكد الوزارة أنها تحاول نشر الموضة وقصة الشعر التي تراها تتطابق مع التعاليم الدينية، بغية الحيلولة دون تبعية الشباب للموضة «الغربية أو الشرقية» وأنها تنظم ذلك بالتعاون مع المتخصصين في هذا المجال وبعض المؤسسات التعليمية)[١].

وفي السعودية (قامت قوى الأمن السعودية بتوقيف ٥٠ شخصا في مكة المكرمة بسبب مخالفات تتعلق بـ«قصات الشعر والربطات والملابس الخادشة للحياء بالإضافة إلى الأساور» وذلك ضمن حملة لمتابعة مخالفات الآداب العامة، وان عملية التوقيف تمت ضمن حملة لمتابعة مخالفات الآداب العامة، ورصدت خلالها

(١) (بعد الشعر والموضة.. التجميل يخضع للرقابة في إيران)- سعود الزاهد- موقع قناة العربية نت- نشر بتاريخ ٢٠١٤/٣/٣.

العديد من المخالفات كقصات الشعر الغريبة والسلاسل التي تعلق على الصدور أو الأيدي وربطات الشعر والملابس القصيرة والخادشة للحياء من قبل شبان وشابات)[١].

وعلى ذات الصعيد باشرت المؤسسات التربوية في سوق اهراس بالجزائر بتطبيق قرارات تتضمن (رفض دخول أي متمدرس بتسريحة او قصة شعر غريبة، خاصة وأن هذه السلوكيات طغت على كل المؤسسات التربوية بالجزائر، وعاشت ولاية سوق أهراس حالة من الارتياح في اوساط الأولياء، والغضب في أوساط التلاميذ الذين وجدوا أنفسهم خارج أسوار مؤسساتهم التربوية بسبب تسريحاتهم الغريبة والتي انعكست سلبا على سلوكياتهم وتصرفاتهم وأصبح همهم الوحيد كيف وأين يبدعون في هذه التسريحات غير مبالين بالدراسة، خاصة وان العديد من الأولياء أصبحوا غير قادرين على التحكم في تصرفات أبنائهم المتمدرسين بسبب الموضة التي انطلقت بالسراويل الممزقة وصولا إلى قصّات الشعر الغريبة)[٢].

ويواجه اسلوب قمع الموضة في البلدان الاسلامية معارضة شديدة، ففي فلسطين أدى (اقتياد العديد من الشبان لمراكز الشرطة في غزة وحلق رؤوسهم كوسيلة عقاب لارتدائهم البطلون الساحل أو بسبب الشعر الطويل أو قصات السبايكي من ثم الافراج عنهم بعد ساعات؛ أثار حالة من الامتعاض والاستياء لدى العديد من أهالي القطاع، حتى وان كان البعض لا يفضل مظهر الشباب المرتدين البنطال الساحل، الا انهم اعتبروا معاقبتهم وحلق شعورهم بمثابة اعتداء على الحريات الشخصية.

تقول المنسقة لنادي الاعلاميات الفلسطينيات في مؤسسة فلسطينيات منى خضر من غزة: أن ما يحدث هو تجاوز خطير للحريات الشخصية سواء فيما يتعلق باللباس او القصات، او حتى فرض الحجاب كوننا نتحدث عن دولة الحريات... وتضيف

(١) ينظر: (توقيف ٥٠ شخصا في مكة بسبب قصات شعر وملابس خادشة للحياء) موقع قناة (روسيا اليوم) - نشر بتاريخ ٢٠١٦/٦/٢٢.

(٢) ينظر: (طرد ٢٠٠ تلميذ من المدارس بسبب تسريحات الشعر في سوق أهراس)- صبرينة ذيب- صحيفة بوابة الشروق الالكترونية- نشر بتاريخ ٢٠١٦/٩/١٩.

«رغم نفي الحكومة في غزه لتلك الحملة، وقولها بأنها انبثقت من الكتلة الاسلامية وتختص بالتوعية، الا أني أعتقد أن نفي الحكومة مردود عليها، ويعود السبب لقيام أجهزة الشرطة بحبس وضرب الشبان، فالحملة باعتقادي كانت مدعومة بشكل او باخر، اضافة الى أن هناك ايضا حملة اخرى ضد الفتيات، تقوم على رش مادة الكلور على ملابسهن، فالأمر كذلك يشكل تعدي على الحريات».

وتتابع «عن نفسي أرفض أسلمة المجتمع باستخدام سياسة الاجبار والاكراه، فبالرغم من رفضي بشكل شخصي لعدة أمور يمارسها بعض الشبان كالبنطال الساحل، الا ان الخطوات التي اتبعت من قبل حكومة غزه تقلب وجهة النظر بشكل كامل الى التضامن مع هذه الحالات»)[1].

خاتمة:

يعد انتشار الموضة الغربية من ابرز سمات الثقافة الاستهلاكية التي تبشربها العولمة، وهو ما اشار اليه الباحث النفسي والتربوي محمد الصدوقي الذي عدَّ (ثقافة التقليعات أو الموضات مرتبطة تاريخيا بنمط المجتمع الرأسمالي الغربي كـوسيلة إستلابية واستهلاكية لصنع الفرد المهووس باستهلاك الجديد ونبذ القديم، وذلك لكي لا تتوقف المعامل ودورة التسويق عن مضاعفة المنتجات إلى ما لا نهاية.

وأكد الصدوقي بأنه يمكن تفسير هذه الطقوس والتقليعات الغريبة التي يمارسها شبابنا الحالي على المستوى النفسي بكون خصوصية المرحلة العمرية التي يمر بها - المراهقة خاصة- تفضي إلى ميل الشباب إلى التميز ولفت أنظار الآخرين، وإبراز ذاته وحب الظهور والتمرد على العادي والسائد، وأردف عاملاً نفسيا ثانيا يتمثل في عدم النضج العاطفي والعقلي المتين الذي يجعل الشباب سريع وسهل التأثر بكل الاختراقات الاستهلاكية الغربية والغريبة عن مجتمعه، والانقياد وراء تقليعات

(١) (البنطال الساحل وقصات الشعر جريمة في غزة)- فرح كيلاني- شبكة نوى الالكترونية- نشر بتاريخ ٢٠١٣/٤/٢١.

جماعية معينة.

ولفت إلى أن الصورة الذهنية السائدة وسط كثير من الشباب تتمثل في كون الغرب هو النموذج الحضاري المثالي الذي يجب الاقتداء به، والتماهي به لتحقيق نرجسية وقيمة الذات وسط الجماعة، وهكذا يقلد شبابنا شباب البلدان الأوربية في الأمور السلبية والغريبة فقط... وأوضح بأن ارتباط شبابنا بتقليعات كهذه مؤشر على غياب نماذج تربوية إيجابية وبديلة داخل مجتمعاتنا، ودليل على إفلاس جلي وعدم نجاعة مؤسساتنا التربوية في تأطير شبابنا حسب نماذجنا ومرجعياتنا القيمية والثقافية)[١].

لذا فانه على الرغم من تنوع الاهداف التي يتوخى الشباب المسلمون تحقيقها من اتباعهم للموضة الغربية - كجذب الجنس الآخر أو للتميز أو للاندماج في مجموعة الاقران أو للتمرد على المألوف- فان الاساس المشترك الذي ينطلقون منه في اتباع الموضة الغربية هو: اعتبار هذا السلوك نقطة تطوّر ايجابية في الذائقة البشرية، فسيادة هذه الموضة يعد مؤشراً واضحاً على إعجاب الشاب المسلم بالأنموذج الاستهلاكي في تعامله مع الحياة، وهو اعجاب لا يقتصر على مجرد اختيار المظهر حسب، إنما يشمل كل جوانب الحياة الاخرى بما في ذلك العلاقات الاجتماعية.

وعلى هذا الأساس نقول: ان طغيان حرص الشباب المسلم على مجاراة الموضة الغربية يعني قرع ناقوس الخطر، لأن هذه المسألة اذا ما تحولت الى ظاهرة فان ذلك دليل على وجود تأثر عميق بالثقافة الاستهلاكية، وهو ما يجر الى مشاكل خطيرة أهمها نشوب انشقاقات اجتماعية تضعف من تجانس الكيان العام للمجتمع الاسلامي، وتفرز كثيراً من الافراد الذين يعانون من التطرّف الفكري أو ضياع الهوية.

وقد حاولت بعض الحكومات الاسلامية محاربة انتشار ظاهرة الموضة الغربية ومنع تفشيها بالقوة، ولكن يبدو ان ذلك وحده لا يجدي نفعاً، لأنه نابع عن تأثر ثقافي

---

(١) ينظر: (الأزياء «الغربية» للشباب: موضة وتطور.. أم إفلاس وتهور؟)- حسن الاشرف- جريدة هسبرس الالكترونية- نشر بتاريخ ٢٠١٢/٧/٨.

داخلي للشباب المسلم، وعليه فان العلاج الاساس يكمن في إصلاح البُنية الثقافية لديهم، فالموضة على كل حال ناتج عرضي وليست هي المشكلة بعينها، وقمعها وحده قد لا يتسبب الا بمزيد من التعقيد لأنه علاج لقشر المشكلة وليس لجوهرها.

وأهم فقرة في مجال العلاج هو الحملات التوعوية ضد ثقافة الاستهلاك، والتحذير من الانجراف وراءها من خلال فضح أساليب الدعاية التي تتكرر عبر وسائل الاعلام وتستميل قلوب الجماهير تدريجيا، الى جانب التوجيه الثقافي نحو الاهتمام بالعناصر الاخلاقية التي يؤكد عليها الدين الاسلامي كالقناعة والاقتصاد ومساعدة المحتاجين واقامة حملات التكافل الاجتماعي، ولفت انظار الشباب الى معايير التفاضل الحقيقية المتمثلة بالعلم والسلوك الحسن، مما يعني باختصار تحفيز الحس الاجتماعي بأهمية بالامتيازات المعنوية على حساب الامتيازات المادية، هذا بالإضافة الى (اتباع سياسات الترشيد في كل مظاهر الحياة العامة من قبل الجهات الرسمية لتصبح امثلة وقدوة يسير عليها عامة الناس)[١].

كما ان من الضروري ان يلعب الاعلام والجهات التربوية دورا فاعلا في التوعية حول مفردة «الحرية الشخصية» وهي المفردة التي يتخذها عشاق الموضة الغربية للدفاع عن حريتهم في اتخاذ اي مظهر يرغبون فيه، فالحرية الشخصية لها حدود يرسمها (الذوق العام)، ونقصد بالذوق العام هنا: مجموعة المظاهر الاجتماعية التي يرتضيها غالبية الناس في أي بلد أو مدينة او منطقة، بحيث يستهجنون مخالفة هذه المظاهر مراعاة للأعراف والآداب السائدة لديهم.

علما أن مراعاة (الذوق العام) يقع في صميم التوجّه الديمقراطي في أي دولة مدنية حديثة، فحتى في اكثر البلدان دفاعا عن الحرية الشخصية نجد أن هنالك حدوداً لا يسمح بتجاوزها مراعاة للذوق العام، ومن هذا المنطلق نلحظ ان بعض ولايات امريكا اصدرت قانون منع ارتداء البنطلون الساقط كما ألمحنا اليه في هذا الفصل.

---

(١) (الاستهلاك التفاخري يتحول إلى ثقافة سلبية في المجتمع)- صحيفة الخليج الاقتصادي- نشر بتاريخ ٢٠٠٩/٤/٢٦.


الفصل
2
الشباب
والترفيه

تقديم:

يلجأ الانسان الى الترفيه عادة بسبب حاجته الى الهرب من نمط الحياة الروتيني وما فيه من التزامات وقيود، ليتجه نحو عالم لا يتقيد بالنشاطات المألوفة لديه، وعلى هذا الاساس يمكن أن نفسر سبب حب الناس للتفرج على أية حادثة غير مألوفة يصادف وقوعها في طريقهم وهم يتوجهون لإنجاز اعمالهم اليومية، فهذه الحوادث تسبب لهم نوعا من التسلية التي يحسّون بها تلقائياً بسبب مشاهدتهم لمنظر لا يألفونه في أيامهم الروتينية.

وعلى هذا الاساس فان وسائل اللعب والترفيه كلما كانت غير منضبطة بقوانين الواقع فستكون جاذبيتها أكثر، وبخاصة الترفيه الذي يعتمد على المحتوى الثقافي، لذلك نجد أن الانتاجات الاعلامية والفنية التي تتجاوز الواقع نحو عوالم خيالية (فنتازيا Fantasy)[١] تعد أحد أكثر الانتاجات ترفيها وتسلية للإنسان المعاصر.

ومن هنا نفهم سبب شهرة الافلام والمسلسلات التي تجعل من المجرم بطلا والشرطي فاسداً أو تصوّر عوالم عجيبة وتجسّد كائنات غريبة وتسرد احداثاً غير معقولة، والامر ذاته ينطبق على محتوى الالعاب الالكترونية والروايات وغيرها من وسائل الترفيه الرائجة.

وبالمقابل فان كثيرا من وسائل الترفيه الثقافية التي تنتزع مادتها من الحياة المألوفة لن تجد لها جمهوراً واسعاً، باعتبار أن غالبيتهم يقبلون على وسائل الترفيه هرباً من المألوف كما اسلفنا[٢].

ولكن السؤال الأهم هو: هل أن الترفيه يؤدي غرض كسر الروتين الحياتي فحسب

(١) الفنتازيا: هي تناول الواقع الحياتي من رؤية غير مألوفة، ما يعني أن هنالك شكاً في عالم الرواية إن كان ينتمي إلى الواقع أم يرفضه، وفي نفس الوقت هو معالجة ابداعية خارجة عن المألوف للواقع المعاش. (ويكيبيديا – فنتازيا).

(٢) وذلك أحد اسباب تراجع جمهور الوسائل الاعلامية التابعة لكثير من مؤسساتنا، لأن هذه المؤسسات تحاول جعل الوسيلة الاعلامية منبثقة من الواقع وعائدة اليه لخدمة غرض ديني او اخلاقي، لذا فهي لا توفر للفرد عادة ما يحتاجه من نسيان لالتزامات حياته الجادة.

أم أنه يؤدي غرضا آخر؟

خبراء الاعلام يؤكدون أن لدى الترفيه غرض آخر، إذ يُعد احد اهم اساليب التوجيه وصناعة الثقافات، فعناصره الجاذبة تستبطن رسائل فكرية يجعلها تنفذ بقوة الى العقول والقلوب على حد سواء، لذا لم يكن المؤرخ «إريك بارنو"[1] يجانب الصواب حينما قال: (ان مفهوم الترفيه في تصوري هو مفهوم شديد الخطورة، اذ تتمثل الفكرة الاساسية للترفيه في انه لا يتصل من بعيد او قريب بالقضايا الجادة للعالم، وانما هو مجرد شغل او ملء ساعة من الفراغ، والحقيقة ان هناك ايديولوجية مضمرة بالفعل في كل انواع القصص الخيالية، فعنصر الخيال يفوق في الاهمية العنصر الواقعي في تشكيل آراء الناس)[2].

ويعزز كلام «بارنو" ما صرح به الباحث "هربرت أ. شيللر Herbert Schiller"[3] قائلا: (ان التسلية هي التعليم والتعليم هو الايديولوجية، ويشير «روبرت شايون" محرر التلفزيون في الـ"ساترداي ريفيو» الى أن: برامج التسلية تلمح للجمهور بالطريقة التي يتعين أن يتبعها في تحديد ما هو جدير بالاحترام في مجتمعنا والكيفية التي يتصرف بها، انها في الواقع أشكال من التعليم، من تلقين المبادئ)[4].

وفي هذا الفصل سوف نتعرض لأهم وسائل الترفيه الرائجة بين اوساط الشباب المسلم في عصر العولمة، وما تسببه لهم هذه الوسائل من أزمات خطيرة على المستوى الفكري والسلوكي:

(١) اريك بارنو: مؤرخ تلفزيون امريكي، كتب عنه رئيس التحرير السابق لمجلة نيويورك تايمز شيلدون ماير قائلا: «كان بارنو عينا على الاوغاد والاشخاص الخطرين وقد بلغت عبقريته اجيالا من الامريكيين عبر موجات الاثير الاذاعي وعلى شاشات التلفزيون وفي قاعات الدراسات.

(٢) ينظر: المتلاعبون بالعقول لهربرت أ.شيللر: ٩٦

(٣) هربرت شيللر: ناقد وعالم اجتماع وباحث امريكي، حصل على درجة الدكتوراه عام ١٩٦٠ من جامعة نيويورك، حذر من اتجاهين رئيسيين في كتاباته الغزيرة والخطب: الاستيلاء الخاص على الفضاء العام والمؤسسات العامة في الوطن، وهيمنة الولايات المتحدة على الشركات التي تؤثر في الحياة الثقافية في الخارج، وبخاصة في الدول النامية. له ثمانية كتب ومئات المقالات في كل المجلات العلمية والشعبية جعلت منه شخصية رئيسة في كل من أبحاث الاتصالات وفي النقاش العام حول دور وسائل الإعلام في المجتمع الحديث.

(٤) المصدر نفسه ص١١٨.

أولا: الشباب والانترنت



لا ريب في أن الانترنت (الشبكة العالمية Internet) يعد من ابرز جوانب العولمة، سواء من ناحية تمثيله لها أم تأثيره في تشكّلها.

فالأنترنت هو احد الأوجه الجديدة في صناعة الاعلام، إذ يُعد (الاعلام الالكتروني) وسيلة قائمة بحد ذاتها بما تمتلكه من ميزات خاصة لا تمتلكها الوسائل الاقدم مثل الاذاعة والتلفزيون، واحد ابرز تلك الميزات هي «التفاعلية» إذ ان الاعلام الالكتروني يتيح للجمهور مساحة كبيرة من التفاعل والنشر بحيث يمكن أن يلعب فيه الفرد دور المتلقي والاعلامي في الوقت ذاته، فضلا عن ان الاعلام الالكتروني قد استوعب كل الفنون الخاصة بوسائل الاعلامية الاقدم، ففيه نجد الاعلام المقروء والاعلام المسموع والاعلام المرئي.

وقد وفّر الانترنت للعالم خدمات فريدة على صعيد التواصل، ويتجلى ذلك في خدمات البريد الالكتروني ومواقع التواصل الاجتماعي، ليكون الانترنت حلقة وصل فورية ومجانية تربط اطراف العالم آنياً وتتيح نقل الوسائط والملفات بكل سهولة، ولا يقف في وجهها أي عائق إثني أو جغرافي.

والانترنت سوق اقتصادية ذات حركة نشيطة جداً، فهو مركز تجاري عملاق يمتلك كل مقومات السوق المتعارفة ويزيد عليها في سعة الاعلان وسرعة التسويق وسهولة التداول، وأبرز مثال على ذلك نشاط شركة (أمازون Amazon) للتسوق التي حققت دخلا قدره ٣٧,٩٦ مليار دولار خلال الربع الثاني فقط من العام٢٠١٧ [1].

وأهم ما قدمه الانترنت للعالم هو جمع وتنظيم المعلومات والمعارف وإتاحة الاستفادة منها للجميع، وبمعنى آخر عولمة الخبرات البشرية، وقد تم ذلك بفضل محركات البحث الشهيرة وعلى رأسها (غوغل) الذي يتلقى في اليوم الواحد ٣,٥ بليون استعلام في محرك البحث الخاص به[2].

ترتيب الدول العربية من حيث أعداد مستخدمي الفيسبوك ـ ٢٠١٧

الدولة	عدد المستخدمين	النسبة المئوية من السكان
مصر	أكثر من ٣٣ مليون	٣٧٪
السعودية	أكثر من ١٨ مليون	٥٨٪
الجزائر	أكثر من ١٦ مليون	٤٣٪
العراق	أكثر من ١٣ مليون	٤٠٪
المغرب	أكثر من ١٢ مليون	٣٨٪
الإمارات	أكثر من ٨ مليون	٩٤٪
سوريا	أكثر من ٦ مليون	٣٧٪
تونس	أكثر من ٥ مليون	٥٥٪
الأردن	أكثر من ٤ مليون	٦٦٪
السودان	أكثر من ٣ مليون	٨٪
ليبيا	أكثر من ٢ مليون	٤٩٪
الكويت	أكثر من ٢ مليون	٧١٪
لبنان	أكثر من ٢ مليون	٥٦٪
قطر	أكثر من ٢ مليون	٩٥٪
اليمن	أكثر من ٢ مليون	٨٪
عمان	أقل من مليون مستخدم	٤١٪
فلسطين	أقل من مليون مستخدم	٣٤٪
البحرين	أقل من مليون مستخدم	٧٣٪
جيبوتي	أقل من مليون مستخدم	٢٠٪
موريتانيا	أقل من مليون مستخدم	١١٪
جزر القمر	أقل من مليون مستخدم	٩٪
الصومال	أقل من مليون مستخدم	٨٪

المصدر: كلية دبي للإدارة الحكومية، الإصدار السابع من سلسلة دراسات مستمرة عنيت بهذا البحث الصادر في شهر شباط ٢٠١٧ بـ الإعلام الاجتماعي العربي

ونتيجة لما تقدم فقد حصدت شبكة الانترنت من جمهور الشباب ما لم تحصده أي وسيلة اعلامية أو ترفيهية اخرى، فبحسب الاتحاد الدولي للاتصالات (ان ٨٣٠ مليون شاب حول العالم يستخدمون الإنترنت بما يمثل

(١) تراجع ارباح امازون. كوم ٧٧٪ الى ١٩٧ مليون دولار- موقع قناة العربية- نشر بتاريخ ٢٠١٧/٧/٢٨.

(٢) ويكيبيديا- بحث جوجل.

الترتيب	الدولة	مستخدمو الإنترنت 2010	مستخدمو الإنترنت 2011	النمو %
1	المغرب	8,691,338	12,728,464	46.45
2	السودان	4,939,678	6,959,517	40.89
3	اليمن	2,379,724	3,327,558	39.83
4	الجزائر	5,648,315	7,767,641	37.52
5	عمان	842,722	1,146,880	36.09
6	فلسطين	966,781	1,280,172	32.54
7	مصر	16,670,308	21,671,400	30.00
8	تونس	2,737,805	3,432,988	25.39
9	السعودية	11,015,185	13,600,000	23.47
10	العراق	4,516,849	5,510,556	22.00
11	سورية	4,294,791	5,113,749	19.07
12	قطر	734,583	854,958	16.39
13	الأردن	1,884,599	2,187,519	16.07
14	لبنان	1,495,521	1,730,914	15.74
15	البحرين	621,567	715,928	15.18
16	الكويت	1,611,162	1,853,394	15.03
17	الإمارات	4,093,815	4,574,578	11.74
18	ليبيا	1,232,542	1,355,796	10.00
الإجمالي		**74,377,285**	**95,812,013**	**28.82**

نمو مستخدمي الإنترنت في الدول العربية 2010-2011

المصدر: مدار للأبحاث والتطوير

٨٠٪ من الشباب في ١٠٤ بلدان، وتظهر بيانات العام ٢٠١٧ زيادة كبيرة في اشتراكات الإنترنت تتقدمها الصين، وبحسب الإصدار السنوي لبيانات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات العالمية يأتي الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٢٤ عاما في الطليعة، وفي البلدان الأقل نموا يصل عدد مستخدمي الإنترنت إلى ٣٥٪ لنفس الفترة العمرية مقابل ١٣٪ في البلدان المتقدمة و٢٣٪ عالميا)[1].

بدأ تغلغل شبكة الانترنت في حياة الناس بهذا الشكل المتسارع اعتباراً من النصف الثاني من عقد التسعينات، فمع نهاية العام ١٩٩٤ كان هنالك تزايداً ملحوظا في الاهتمام بشبكة الانترنت حتى صار استخدامها شائعا مطلع العام ١٩٩٦ [2]، وقد ظهرت في تلك الحقبة اشهر شركة للتسوق الالكتروني (امازون) عام ١٩٩٤

---

(١) ينظر: (تقرير جديد يتوقع بلوغ عدد مستخدمي الإنترنت حوالي ٤,٣ مليار شخص، معظمهم من الشباب)- مركز انباء الامم المتحدة- نشر بتاريخ ٢٠١٧/٧/٣١.

(٢) ويكيبيديا- إنترنت.

واشهر محرك للبحث (غوغل) عام ١٩٩٧ وخدمة للبريد الالكتروني (ياهو !Yahoo Mail) في العام نفسه.



إن كل الخدمات التي اشرنا اليها فيما يخص الانترنت تجعله يبدو ظاهرة خيّرة تحسن من حياة الفرد فكريا وسلوكياً، ولكن تغلغل هذه الشبكة أكثر فأكثر في حياة الناس وتغوّلها – بخاصة في الآونة الأخيرة- أنتج من الأزمات ما يفوق الفوائد اضعافاً مضاعفة، وجذر هذه الازمات يتمثل بـ"الادمان".

فالاستعمال المفرط والإشكالي للتكنولوجيات الحديثة تنامى من ٠,٤٢٪ خلال سنة ٢٠١٣ ليصل إلى حدود ٢,٦٪ خلال سنة ٢٠١٦، وقد وصل عدد مشتركي موقع التواصل الاجتماعي الاشهر (فيسبوك) إلى حوالي ملياري شخص عالمياً، نصفهم يستخدمه بشكل يومي، وما فتئ عدد الأشخاص الذين يعترفون بأنهم «لا يمكنهم قضاء يوم من دون تفحص حسابهم الشخصي على موقع فيسبوك» يتزايد بصفة مهولة، لذا فانه فضلا عن الإدمان على المخدرات وغيرها من الآفات التي

تستقطب الشباب، أصبح المراهقون اليوم يدمنون على «الواقع الافتراضي» الأمر الذي يحول دون تمييزهم لحقيقة «العالم الواقعي»، وفي ظل هذا الوضع ارتفع عدد عيادات معالجة الإدمان الرقمي على خلفية تزايد عدد الشباب بين ١٦ و١٧ سنة الذين يسيئون استخدام التكنولوجيا الحديثة، ونقلت الصحيفة على لسان (أنطونيو خيسوس مولينا) المختص في علاج الإدمان أن أخطر الإشارات التي تنذر بإدمان الشباب على هذه المواقع تتمثل في توجه المراهق لاستبداله بـ«الوقت الواقعي» الذي يقضيه في بناء علاقات واقعية وقتا افتراضيا[١].

ترتيب الدول العربية من حيث مقدار الزيادة في عدد مستخدمي الفيسبوك ـ ٢٠١٧

الدولة	زيادة بمقدار..
مصر	١٤ مليون مستخدم
الجزائر	٣,٩ مليون مستخدم
العراق	٢,٧ مليون مستخدم
السعودية	٧,٥ مليون مستخدم
المغرب	٣,٥ مليون مستخدم
الإمارات	٧,٢ مليون مستخدم
الأردن	٦,١ مليون مستخدم
تونس	٤,١ مليون مستخدم
ليبيا	١,١ مليون مستخدم
لبنان	مليون مستخدم
قطر	٩٢٨ الف مستخدم
السودان	٨٢٧ الف مستخدم
الكويت	٧٨٢ الف مستخدم
عمان	٦٧١ الف مستخدم
الصومال	٥٥٨ الف مستخدم
فلسطين	٣١٤ الف مستخدم
البحرين	٢٨٠ الف مستخدم
موريتانيا	١٨٥ الف مستخدم
جيبوتي	٧٤ الف مستخدم
جزر القمر	٣٢ الف مستخدم
سوريا	انخفاض بمقدار ٣٧٤ الف

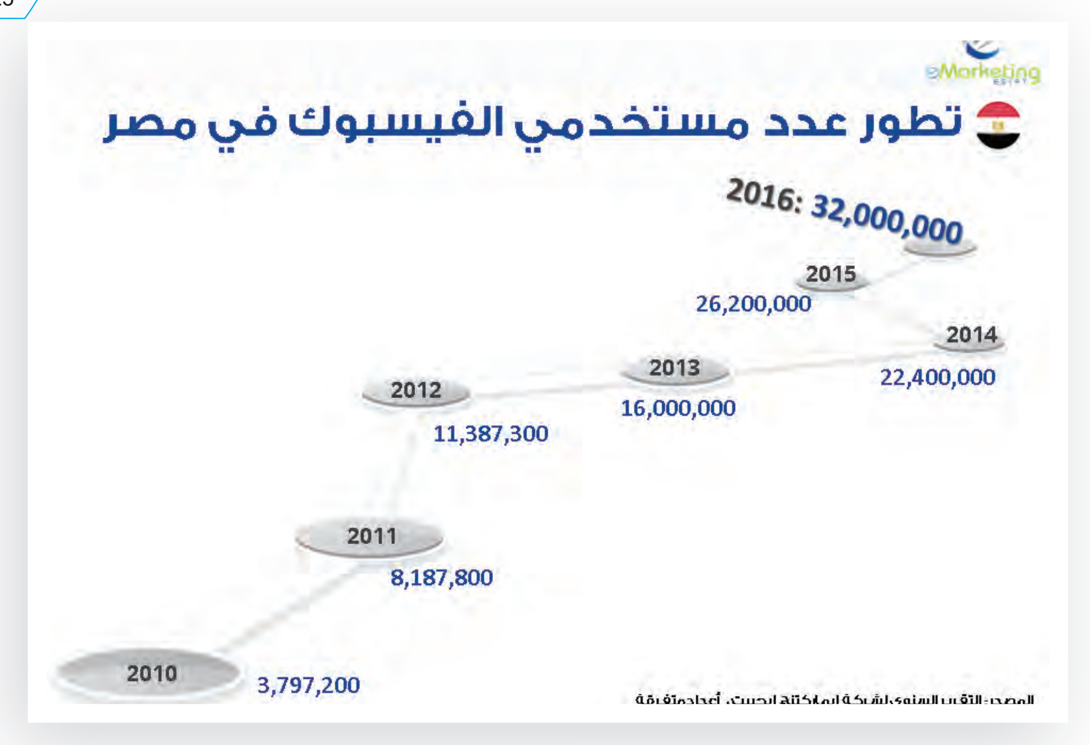
المصدر: كلية دبي للإدارة الحكومية، الإصدار السابع من سلسلة دراسات مستمرة عنيت بهذا البحث الصادر في شهر شباط ٢٠١٧

وبعبارة أخرى؛ فإن ادمان الأنترنت يمثل مصدرا اساسياً لهدر طاقات الشباب، إذ يوجّه بوصلتهم نحو أهداف موهومة تضعف الجوانب الروحية لديهم وتميل بهم نحو المادية والاستهلاكية ليفقدوا تدريجياً طعم الحياة، كما يؤدي استفحال الانترنت في حياة الشاب الى تحطيم اواصر العلاقات الاجتماعية الطبيعية لديه - بما في ذلك العلاقات الاسرية- ليعيد تشكيلها على اسس بعيدة عن التواصل السوي الذي يوفر الانسجام والترابط الواقعي البنّاء.

أما اسباب إدمان الشباب للأنترنت فيرجع الى وجود خمس خصائص جاذبة فيه، وهذه الخصائص هي:

أ- **تعدد التقنيات التي توفر الانترنت:** ابتداء من الاجهزة اللوحية وانتهاء بالحواسيب والشاشات الذكية، فهذه التقنيات تحاصر الشاب اينما ذهب

(١) ينظر: (تقرير صادم.. هكذا يستغل الفيسبوك نفسيات الشباب)- وطفة هادفي - موقع عربي ٢١- نشر بتاريخ ٢٠١٧/١١/١٢.



وتغريه بالاتصال بالأنترنت والاطلاع على آخر ما يحتويه من منشورات او رسائل، وتعد الهواتف الذكية من ابرز مسببات ادمان الانترنت.

ب- **سعة المواد التي يتضمنها الانترنت:** وحرية الاستفادة من هذه المواد متى ما اراد من دون قيود كثيرة، فاذا ملّ الشاب من متابعة المواقع السياسية يمكنه أن يرتاد المواقع الثقافية او الترفيهية وبالعكس، ويمكنه ان يختار أي نوع من المواقع التي يريد وبأي توجه كان، فكثرة المحتوى الذي يتضمنه الانترنت تتيح ذلك وزيادة.

ت- **اتاحة المحتوى الجنسي بكثرة:** فالإنترنت يوفر كمّاً هائلا من المواقع الإباحية واخبار الفضائح والمنشورات التي تجمع بين استثارة الفضول والغريزة الجنسية، فتشكّل كماشة قوية تمسك بالشاب وتجعله يقضي أمام الانترنت ساعات طويلة، ويعد هذا العامل من أكثر العوامل تأثيرا في رفع مستوى ادمان الانترنت كما سيأتي الحديث عنه لاحقاً.

ث- **اثبات الذات والشعور بالإنجاز:** وهذا ما تقدمه مواقع التواصل الاجتماعي

بالذات، إذ يشعر غالبية الشباب بالرضا والاحساس بالإنجاز عندما يحصدون اعجابات وتعليقات على ما ينشرونه من كتابات او صور او مقاطع فيديوية في صفحاتهم الشخصية، وقد (نشرت صحيفة «أ بي ثي» الإسبانية تقريراً تحدثت فيه عن فيسبوك[١] الذي يوظف هشاشة الجوانب النفسية لدى الشباب لتطوير هذه المنصة، وذكرت أنه في حدث طبي في فيلادلفيا الأمريكية كشف المليونير (شون باركر)[٢] أن «الغرض من إنشاء فيسبوك متمثل في استغلال الجوانب الضعيفة في النفس البشرية مقابل المساعدة على إثبات الذات في المجتمع»، وأضاف باركر أنه «عندما كان فيسبوك في مرحلة التطوير كان هدفه يتمحور حول تحديد الطريقة التي يمكن من خلالها التوصل إلى جعل المستخدمين يقضون الكثير من الوقت على هذه الشبكة، مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورة تقديم مكافأة لهم مقابل ذلك».

وأوضحت الصحيفة أن هذا المنحى في التفكير وهذه العقلية أدى إلى اختراع العديد من الوظائف على فيسبوك على غرار زر «الإعجاب» ويسهم هذا الزر في التأثير على أحاسيس وسلوكيات مستعملي هذه المنصة كما لو أنهم استهلكوا جرعة من (الدوبامين)[٣] وفي مرحلة تالية يدفع هذا التأثير رواد هذه المنصة إلى قراءة محتويات أكثر)[٤].

ج- **تحقيق التواصل وعقد الصداقات:** فقد بينت دراسة أكاديمية[٥] عن عينة من الشباب الذين يرتادون مقاهي الانترنت أن ٦٠ ٪ من المواقع التي يقضون أوقاتهم

---

(١) يعد فيسبوك الشبكة الاجتماعية الأكثر رواجاً في البلدان العربية، وتشير الإحصاءات بداية عام ٢٠١٧ إلى وجود ما يقرب من ١٥٦ مليون مستخدم "فعال ومتفاعل"، بزيادة ٤١ مليون مستخدم مقارنة بعام ٢٠١٦، الذي كان فيه إجمالي عدد المستخدمين في الدول العربية ١١٥ مليونا(ينظر: احصائيات فيس بوك في البلدان العربية – ٢٠١٧ – نشره موقع weedo- بتاريخ ٢٠١٧/٣/٧).

(٢) شون باركر: احد المدراء التنفيذيين السابقين في شركة فيس بوك.

(٣) الدوبامين: مادة كيميائية تفرزها خلايا الدماغ وتسبب للانسان شعورا بالنشوة والسعادة.

(٤) تقرير صادم.. هكذا يستغل الفيسبوك نفسيات الشباب- مصدر سابق.

(٥) ينظر: رسالة ماجستير بعنوان (تكنولوجيا الاتصال وثقافة الشباب : الأنترنت نموذجا)- مريم لمام- مجلة انسانيات الالكترونية- جامعة وهران ٢٠٠٨.



فيها هي مواقع التعارف والصداقة، وقد أجمع أصحاب تلك المقاهي أن أكثر ما يبحث عنه الشباب خصوصاً هو المحادثة، ويقول أصحاب تلك المقاهي: إن الشباب يقبل بشكل أساسي على مواقع المحادثة المختلفة، ويشكل الأفراد حياة جديدة في الفضاء السيبيري[١] في ظل الحرية ويمارس الفرد عمله ليعبر عن نفسه بحرية مطلقة بلا قيود ولا التزامات محاطة بالأعراف والقيم، بأخذ ما يسمى الحرية الديمقراطية والإلكترونية، هذه الديمقراطية ليست حتما حالة «سياسية» بل هي في الأساس حالة اجتماعية تتجاذبها مستويات أخرى محددة ثقافية ونفسية وتاريخية وغيرها.

أبرز الازمات التي يسببها الانترنت:

تعد شبكة الانترنت بيئة ثقافية غير آمنة لأنها لا تخضع لوسائل رقابية صارمة تسيطر عليها الحكومات أو المؤسسات الاجتماعية، مما يسهل انزلاق كثير من مستخدمي الانترنت في أزمات سلوكية واجتماعية خطيرة جداً، وسنتحدث فيما يأتي عن أبرز هذه الأزمات:

١- ادمان المشاهد الاباحية: اذا عرفنا ان السبب الأساس للسلوك الإدماني لدى الانسان ينشأ من تعوّده على تحفيز الدماغ لإفراز كميات كبيرة من مادة ”الدوبامين“ التي تشعره باللّذة، فان المشاهد الاباحية تؤدي هذا الغرض مثلما تفعل

(١) يقصد بالفضاء السيبيري: الفضاء الافتراضي او الالكتروني.

الكحول والمخدرات.

لذا فقد (أكد باحثون وأطباء نفسيون أن الاعتياد على المشاهد الإباحية يؤدي إلى حالة من الإدمان أخطر من إدمان الكوكايين، وقد يؤدي إلى اضطرابات نفسية وجسدية كبيرة، وذلك في جلسة استماع في مجلس الشيوخ الأميركي للجنة العلوم والتكنولوجيا والفضاء... وقد اعتبرت الدكتورة (ماري آن لايدن) الباحثة بمركز العلاج الإدراكي بجامعة بنسلفانيا والتي أدلت بشهادتها كمتخصصة أمام لجنة مجلس الشيوخ أن «مواقع الإباحية هي أخطر مهدد للصحة النفسية نعرفه اليوم» وذلك حسب ما أوردت مجلة «وايرد» الأميركية وعزت خطورة تلك المواقع إلى كونها متاحة عبر وسيلة توصيل تتميز بكفاءة عالية - وهي الإنترنت- كما أنها متاحة بصورة دائمة ومجانية.

ومن ثم بمقارنة هذا النوع بإدمان الكوكايين مثلا فإن الأول أخطر لأنه لا قيود عليه، ولا يمكن التعرف على من يتعاطاه، كما أن أثره لا يمكن أن يمحى من أدمغة المصابين به إذ تظل المشاهد الإباحية عالقة بمخيلة من شاهدوها، بينما يمكن أن تمحى بصورة نهائية تقريبا آثار الكوكايين من جسم المدمن بعد مضي بعض الوقت.

أما الدكتور جيفري ساتينوفر - وهو طبيب نفسي وأحد المختصين الذين أدلوا بشهاداتهم- فقال: إن المشاهد الإباحية وما يتبعها من استثارة جنسية، تستحث الجسم لإفراز أشباه الأفيون الطبيعية (opiods) وبذلك يكون أثر مواقع الإنترنت التي تبث هذا المحتوى الإباحي أقوى من أثر مخدر الهيروين)[١].

ويمثل ادمان المواقع الاباحية مشكلة عويصة للمجتمعات الاسلامية، فهي ظاهرة مرفوضة في ثقافة هذه المجتمعات على المستوى الديني والاجتماعي، ولكنها في الوقت نفسه اصبحت الشغل الشاغل لكثير من شبابها، فالأنترنت خلق لدى كثير

(١) إدمان المواقع الإباحية أخطر مهدد للصحة النفسية- وليد الشوبكي- موقع قناة الجزيرة- نشر بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٧.

معدل زيارة موقع اباحي يومياً في الدول الاسلامية

الدولة	معدل وقت المشاهدة
شعب الصحراء الغربية	١٦ دقيقة و٦ ثوان
قطر	١٠ دقائق و ٢٠ ثانية
لبنان	٩ دقائق و ٢٦ ثانية
الجزائر	٨ دقائق و ٤٠ ثانية
البحرين	٨ دقائق و ٤٠ ثانية
ايران	٨ دقائق و ٢٨ ثانية
الامارات	٨ دقائق و ٢٨ ثانية
اليمن	٨ دقائق و ٢٧ ثانية
سوريا	٨ دقائق و ٢٧ ثانية
السعودية	٨ دقائق و ٢٣ ثانية
الكويت	٨ دقائق و ١١ ثانية
المغرب	٨ دقائق
ليبيا	٧دقائق و ٥٥ ثانية
تونس	٧دقائق و ٣٩ ثانية
عمان	٧دقائق و ١٢ ثانية
تركيا	٦دقائق و٥٦ثانية
البوسنة والهرسك	٦دقائق و٤٦ثانية
الاردن	٦دقائق و ٤٠ ثانية
اذربيجان	٦دقائق و ١٧ ثانية
مصر	٦ دقائق و ٣٢ ثانية
فلسطين	٥ دقائق و ٥٦ ثانية
العراق	٥ دقائق و ٣٠ ثانية

المصدر: موقع ايلاف ضمن مقال بعنوان حملة عراقية يتقدمها السيستاني لحجب المواقع الإباحية- نشر بتاريخ ٢٠١٥/٩/٣٠

من الشباب المسلم هاجساً اسمه (الافلام الاباحية) يدفعهم نحوه بمزيج من الفضول والشهوة الجنسية.

وقد (كشف الدكتور على فتحي عبد الرحيم أستاذ الاجتماع بجامعه المنيا عن نتائج بحث أجراه على ٥٠ شاب من مستخدمي الانترنت عن تأثير الانترنت على العلاقات الاجتماعية للشباب المراهقين، وأظهرت النتائج أن ٦٦٪ من مستخدمي الانترنت يدخلون على مواقع إباحية و١٢٪ من الآباء يعتقدون ويشكّون في تداول أولادهم هذه المواقع)[1].

ولا حاجة بنا الى الاطالة في الحديث عن الآثار السلبية التي تترتب على هذا النوع من الادمان، فهو سلوكياً يؤدي الى الاصابة بأنواع الانحرافات الجنسية مثل العادة السرية أو المثلية أو السادية، وتشويه نظرة الشاب للمرأة والجنس بشكل عام، وصحياً فان هذا النوع من الادمان يستهلك طاقة الشاب الجسدية وقد يصيبه بالازمات الدماغية والقلبية والعجز الجنسي، ونفسياً فانه يجعل الشاب شارد الذهن معرضا لنوبات حادة من الكآبة والشعور بعدم الثقة والدونية في المجتمع، واجتماعياً يجعل الشاب في معرض خراب الحياة الزوجية والطرد من العمل والعزلة وتخريب انشطته وعلاقاته الطبيعية.

وقد ورد التحذير من مخاطر المشاهد الاباحية في استفتاء صدر عن مكتب السيد السيستاني جاء فيه: إن النظر الى الصور الاباحية محرم ولا سبيل الى الاستهانة به لما يلي: **ان كل حرمة استهين بها فهي مهما كان مستواها تعظم بالاستهانة**، ثم ان

(١) (٦٦٪ من المراهقين يزورون المواقع الإباحية)- فادية عبود- مدونة (لهن) الالكترونية.

الاصرار على الذنب وتكرره وعدم التوبة عنه يجعل الذنب كبيرا عنده تعالى وتتفاقم سلبياته في الدنيا والآخرة، علما ان مثل هذه الذنوب اذا وقع فيها الانسان فانه يكون قد فتح لنفسه بابا لا يسهل عليه ان يسده ومن ثم تكرر ارتكابه لا سيما مع سهولته كثيراً.

إن هناك اثارا سلبية بالغة لمثل هذه المعاصي لتأثيرها التربوي السلبي على النفس واستتباعها لمشاكل في الحياة الشخصية واستساغة ما يناسبها من المعاصي بل الانزلاق اليها تدريجا لا سمح الله.

من جانبها اختصرت الباحثة بمركز العلاج الإدراكي في جامعة بنسلفانيا الدكتور (ماري آن لايدن) نتائج ادمان الشاب للمشاهد الاباحية قائلة: (انه يسلب منهم فرصة ان يكونوا ما يتمنونه، ويسلب منهم كل ما يمكنهم ان يقدموه لعائلاتهم ومجتمعهم ووطنهم)[١].

من جانب آخر إن دونية هذا الفعل تشكّل مصدر ازعاج مستمر للشاب المسلم، وان الوازع الديني والاخلاقي للمجتمع المسلم يمكن أن يمثل رادعاً كبيراً عن الاسترسال في مشاهدة الاباحية، ولكن لا مناص من الاعتراف بأن هنالك عقبات أساسية تمنع الشفاء من ادمانها بسهولة، ونلخص هذه العقبات فيما يأتي:

أ- عدم اشباع الرغبة الجنسية للشاب عن طريق الزواج بسبب تدهور الحالة

بسم الله الرحمن الرحيم
إلى مكتب آية الله العظمى الإمام السيستاني (مد ظله)

ما حكم من يقوم بالدخول إلى مواقع إباحية عن طريق الانترنت والنظر إلى صور إباحية؟

بعض المؤمنين

بسمه تعالى

ان النظر الى الصور الإباحية محرم، ولاسبيل الى الاستهانة به لما يلي:
١- ان كل حرمة استهين بها فهي مهما كان مستواها تعظم بالاستهانة.
٢- ثم ان الإصرار على الذنب وتكرره وعدم التوبة عنه يجعل الذنب كبيراً عنده تعالى وتتفاقم سلبياته في الدنيا والآخرة، علماً ان مثل هذه الذنوب اذا وقع فيها الإنسان فانه يكون قد فتح لنفسه باباً لا يسهل عليه أن يسده، ومن ثم يتكرر ارتكابه لاسيما مع سهولته كثيراً.
٣- ان هنالك آثاراً سلبية بالغة لمثل هذه المعاصي لتأثيرها التربوي السلبي على النفس واستتباعها لمشاكل في الحياة الشخصية واستساغة ما يناسبها من المعاصي بل الانزلاق اليها تدريجاً لا سمح الله. والله العاصم.

٢٨
١٤٢٩

(١) من مقطع فيديوي من برنامج (ومحياي)- نشرته قناة MBC- رابط الفيديو: https://www.youtube.com/watch?v=IjcOtxH٠zw٤

الاقتصادية في البلدان الاسلامية، الى جانب التحفيز الجنسي المبكر الذي يصاب به الطفل او المراهق بسبب المثيرات التي يتعرض لها خلال نشأته، وتحديداً في ما يشاهده من مواد اعلامية غربية مثل برامج الكارتون والافلام والمسلسلات التي لا تراعي المبادئ التربوية الخاصة بالمجتمعات الاسلامية.

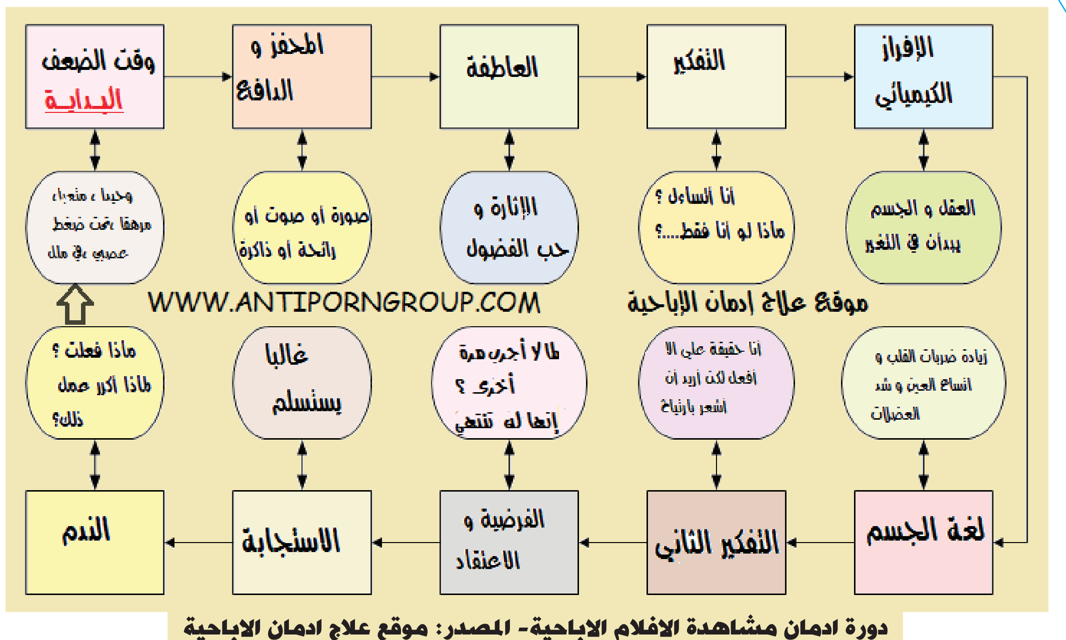
ب- القلق او الحزن الذي يعتمل في نفوس الشباب نتيجة للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي يواجهونها في بلدانهم، مما يدفعهم الى البحث عن وسائل سريعة توصلهم للّذة والراحة وتنسيهم القلق والحزن، ويجد كثير من الشباب أن استهلاك المواد الاباحية اقصر طريق لتحقيق ذلك، ويتضمن هذا العامل ايضا نقطة اساسية تتمثل بالفراغ[١] الذي يعيشه اغلب شباب اليوم بسبب البطالة أو عدم المسؤولية وما يستتبع ذلك من ملل وخواء نفسي، الامر الذي يشجع الشاب على ملء هذا الفراغ بأشياء مثيرة وغير مألوفة مثل استهلاك المواد الاباحية.

ت- كثرة المشاهد المغرية جنسياً، ابتداء من الاعلانات التجارية وصولاً الى الاغاني والدراما التلفزيونية فضلا عن المواد الترفيهية الاخرى مثل الالعاب الالكترونية والافلام والمسلسلات، فكل هذه الوسائل تتضمن بشكل او بآخر مناظر تثير الشاب وتجره تدريجيا الى متابعة الافلام الاباحية، وفي الوقت نفسه تقلل هذه المَشاهد من فرص الاقلاع نهائيا عن مشاهدة الافلام الاباحية عندما يحاول الشاب ذلك[٢].

ويمثل الانترنت الوسيلة الاكبر في وفرة المشاهد المغرية جنسياً، لأنه قائم على ثلاثة اركان اساسية هي: (سهولة الوصول) و(الحفاظ على السرية) و(المشاهدة المجانية)، ومن ثم فان توفر المشاهد المغرية جنسياً بهذا الشكل في الانترنت يعد من اكبر

(١) روي عن الرسول الاكرم(ص) انه قال: «إنّ الله يبغض الصحيح الفارغ، لا في شغل الدنيا ولا في شغل الآخرة»- ميزان الحكمة- محمد الريشهري- ج٧ص٤٥٨.

(٢) ولهذا ورد عن المشرع الاسلامي نهيه عن النظر بشهوة وامره بغض البصر، فعدم غض البصر عن الصور التي تحرك في نفس الشاب الرغبة الجنسية تعد من اكثر الاسباب التي تجر رجله الى ما لا تحمد عقباه، وقد روي عن الامام الصادق (ع)قوله: النظرة بعد النظرة تزرع في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة – الأمالي- الشيخ المفيد- ص٢٠٨.



دورة ادمان مشاهدة الافلام الاباحية- المصدر: موقع علاج ادمان الاباحية

مسببات مشاهدة الاباحية وادمانها قياساً بالسنوات التي سبقت توفر الانترنت في حياة الشباب[١].

ث- الفنتازيا في المشاهد الاباحية، فالمحتوى الاباحي اخذ في الآونة الاخيرة منحى متطرفا في مزج الجنس بالخيال، فبات يقدم للشاب مشاهد غير واقعية ومتطرّفة لغرض تحفيزه للوصول الى درجات عالية من الاثارة الجنسية، وإذ لا يجد الشاب بديلا موازياً لهذه الاثارة في الحياة الحقيقية فان رغبته في الاشباع لا تتحقق في اي عملية طبيعية، فيزهد في الجماع الطبيعي ويتجه نحو المشاهد الاباحية حسب[٢].

ولهذا السبب نجد أن كثيرا من الشباب الذين كانوا يدمنون الافلام الاباحية قبل الزواج بقوا مستمرين على مشاهدتها بعد زواجهم، وكثيرا ما يسبب لهم ذلك مشاكل عائلية مثل الفتور الجنسي وقلة الاهتمام بالتواصل الاسري، وفي بعض الاحيان تكتشف الزوجة هذه العادة لدى الزوج أو بالعكس فتقع علاقتهما في أزمة تصل الى

(١) ينظر: مقطع من برنامج (بعد الصلاة) بعنوان (كيفية علاج ادمان المواد الاباحية) - لقاء قناة مصر ٢٥ مع الاستاذ محمد حازم شريف- نشر في ٢٠١٣/١/٤ على الرابط الآتي https://www.youtube.com/watch?v=tcjx٧V٩٧v٦U

(٢) ينظر: مقطع من برنامج (بعدالصلاة) بعنوان (كواليس صناعة الافلام الاباحية بهوليود)- لقاء قناة مصر ٢٥ مع الاستاذ محمد حازم شريف- نشر في ٢٠١٢/١١/٩ على الرابط الاتي https://www.youtube.com/watch?v=pqumYWgvT٩٨

الطلاق عادة.

ووفقا للدراسات والابحاث التي تناولت علاج ادمان الاباحية، فان اغلب الاشخاص الذين يتعرضون لهذا النوع من الادمان يشعرون بمعاناة نفسية كبيرة، فتراهم موزّعين بين رغبة شديدة في الاقلاع عن استهلاك المشاهد الاباحية وبين دافع قهري في متابعتها، لذا تجد بعد كل عزم لديهم على ترك هذه العادة انتكاسة جديدة، ويشهد على ذلك تجارب صرح بها كثير من الشباب المبتلين بهذه المشكلة، علماً أن نسبة كبيرة من الشباب الذين وقعوا ضحية هذا الادمان هم ليسوا اشخاصا سيئين على الاطلاق[١]، بل ان بعض الابحاث تؤكد أن كثيرا منهم لديهم حظ جيد من الالتزام الاخلاقي والتوجّه الديني، لذا قد يعتبرون أنفسهم منافقين او يعتقدون أن لديهم انفصاماً في الشخصية[٢].

وعلى هذا الاساس يجب ان يكون لدى المربّين والمجتمع الاسلامي بشكل عام ثقافة ووعياً بطبيعة ابتلاء الشباب المسلم بظاهرة ادمان المواقع الاباحية، وان يكونوا على درجة عالية من الحكمة لإدراك ان هذا النوع من المدمنين هم اناس مرضى بحاجة الى رعاية وعلاج نفسي اكثر من حاجتهم الى التشهير والعقوبة.

وفي الوقت نفسه يجب ان يكون لدى المبتلين بهذا الادمان وعي بأسبابه وتبعاته ومعرفة بالطرق الصحيحة لعلاجه، التي من اهمها: عدم اليأس بعد كل انتكاسة يواجهونها في مسيرة شفائهم، وعدم الاستسلام للإدمان بسبب تكرار رجوعهم لهذا الفعل، فان الادمان انما يتحقق بالتدريج والاقلاع عنه لا بد أن يكون كذلك[٣].

---

(١) صرح القرآن الكريم بأن ارتكاب الفاحشة يمكن أن يقع حتى مع وجود حالة التقوى لدى الانسان، ولكن الفرق بين الانسان المتقي وغيره هو عدم الاصرار على الذنب والرجوع بالتوبة، قال تعالى: «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ . وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ» (آل عمران ١٣٣- ١٣٥).

(٢) للاطلاع على نماذج من هذه الحالات ينظر: الملتزمون والإباحية- حسن عبد الحي- شبكة الالوكة- نشر بتاريخ ٢٠١١/٩/٥.

(٣) من وجهة نظر دينية، فان تكرر وقوع الذنب في الازمان المتباعدة أمر لا يتعارض مع الايمان، بشرط ان

ونظرا لاستفحال هذه الازمة بين الشباب المسلم، نرى أن من المهم هنا ذكر بعض الخطوات التي ذُكرت لعلاج ادمان الاباحية، منها ما نشر في موقع (سيّدي) الذي اورد ١٠ خطوات للتخلص من ادمان الافلام الاباحية على النحو الاتي:

١- **الاعتراف بالمشكلة**: قبل أن تقوم بأي إجراء جذري عليك أن تعترف لنفسك على الأقل بأنك تعاني من مشكلة الإدمان على الأفلام الإباحية، وعليك أن تكون صريحاً مع نفسك ومواجهة واقع أنك تمضي وقتاً طويلاً تشاهد خلاله المواد التي تركت أثرها السلبي على حياتك العاطفية والجسدية.

٢- **ضع خطة تناسبك**: اكتب جميع الأسباب التي تدفعك للتوقف عن مشاهدتها، هل تريد مثلاً أن تعيش حياة زوجية أفضل؟ أم لا تريد أن تبقى عبداً لشهواتك ورغباتك التي تقودك لإماكن لم يخيل لك يوماً أنك ستنخرط فيها، ربما عليك التطرق أيضاً إلى مسألة احترامك لنفسك؛ لأن غالبية مدمني الأفلام الإباحية يكرهون أنفسهم بعد الانتهاء من مشاهدتها.

٣- **صعّب المهمة على نفسك**: التواجد أمام الكمبيوتر بات من الأمور الحياتية اليومية ما يجعل مهمة التخلص من عادتك هذه أكثر صعوبة، البداية يجب أن تقوم بحجب المواقع الإباحية من خلال برامج عديدة يمكنك الاستعانة بها، وكلما كان فك حجبها أكثر تعقيداً كان أفضل.

وحاول استخدام الكمبيوتر حين تكون ضمن مجموعة وتفادَ التواجد في غرفة مغلقة، يمكنك أيضاً عدم استخدام الاتصال اللاسلكي إلا حين تحتاج فعلاً إلى استخدام الكمبيوتر، اجعل من إعادة الاتصال اللاسلكي مهمة صعبة أيضاً، في المحصلة، كلما صعبت المهمة على نفسك قلت رغبتك بالمشاهدة؛ لأن سهولة الوصول إلى

يكون هذا الوقوع غير ناشئ عن العمد والاصرار، وعلامة ذلك الندم والمسارعة للتوبة بعد وقوع الذنب، ونجد ذلك في معنى قوله تعالى: (الَّذينَ يَجْتَنبُونَ كَبَائرَ الإثْم وَالْفَوَاحشَ إلاَّ اللَّمَمَ إنَّ رَبَّكَ وَاسعُ الْمَغْفرَة (النجم ٣٢) إذ روي عن الامام الصادق(ع) انه قال في معنى الآيَة: (مَا منْ مُؤْمنٍ إلاَّ وَ لَهُ ذَنْبٌ يَهْجُرُهُ زَمَاناً ثُمَّ يُلمُّ به، وَ ذَلكَ قَوْلُ اللَّه عَزَّ وَ جَلَّ «إلاَّ اللَّمَمَ») وروي عنه ايضا: (اللَّمَّامُ، الْعَبْدُ الَّذي يُلمُّ الذَّنْبَ بَعْدَ الذَّنْبِ لَيْسَ منْ سَليقَته ـ أَيْ منْ طَبيعَته) الكافي ج٢/ص٤٤٢.

هذه المواد ورطتك في هذا العالم.

٤- **لا تستعجل الأمور**: خذ كل يوم بيومه، فإن كنت تشاهد الأفلام الإباحية لفترات طويلة فعلى الأرجح لن تتمكن من التوقف بشكل كامل في يوم واحد، العملية يجب أن تتم تدريجياً تماماً كما يتم التعامل مع مدمني النيكوتين والكحول والمخدرات، فالتقليل من مدة المشاهدة هي نقطة الانطلاق، وإن نجحت بالقيام بذلك فقم بمكافأة نفسك بتناول الحلوى المفضلة لديك مثلاً وحتى يمكنك شراء هدية لنفسك تقديراً لجهودك.

٥- **غير عاداتك**: حدد الأوقات التي تفكر فيها أكثر من غيرها بالجنس، حدد الأماكن أو المناسبات التي تدفعك للتفكير بالأفلام الإباحية، إن كان تواجدك في غرفة مغلقة يدفعك لمشاهدة الأفلام فلا تقفل باب الغرفة أو غير مكان الكمبيوتر، هل تشاهد الأفلام حين تخرج العائلة من المنزل مثلاً؟ تحديد الأوقات والمناسبات سيجعل تغيرها أكثر سهولة، كل ما عليك القيام به هو تجنبها وهكذا ستتمكن مرغماً بالتحكم برغباتك.

٦- **قم بنشاطات مختلفة**: الفراغ يؤدي إلى مشاهدة الأفلام الإباحية، فلو كان لديك ما يشغلك لما وجدت الوقت أصلاً ولما تورطت في هذه المشكلة، الوقت قد حان لاستعادة السيطرة على مسار حياتك، قم بنشاط رياضي كالركض أو الهرولة أو قم بزيارة للنادي، الرياضة لا تبقيك بعيداً عن جهاز الكمبيوتر فحسب بل تمنحك السعادة والراحة النفسية التي حرمت منها جراء إدمانك المواد الإباحية، اعثر على هواية تبقيك خارج المنزل، التصوير أو الرسم مثلاً، هكذا ستتبدل حياتك حين تتوقف عن مشاهدة الأفلام الإباحية.

٧- **فكر بعلاقتك مع زوجتك**: لديك الأفلام الإباحية من جهة ولديك زوجتك التي تحبها من جهة أخرى، الجمع بين العلاقتين أمر مستحيل لذلك عليك الاختيار، فهل

تريد علاقة أزلية مع جهاز كمبيوتر أم مع امرأة تحبك وتهتم بك؟ الخيار لك وإن كنا ننصحك بشدة بالخيار الثاني لأنه سبيلك لحياة أكثر سعادة، أما الأول فهو طريقك لتدمير نفسك وكل من تحب.

٨- **تجنب الانتكاسات**: من المعروف أنه عادة ما تحصل انتكاسات لدى الانقطاع عن مادة أدمن عليها الشخص، ولتجنب العودة إلى ما كنت عليه حدد هدفك وضع القواعد التي تخدمه، الهدف هو الانقطاع الكلي عن مشاهدة الأفلام والبرنامج الذي يناسبه هو تخطيط أيامك بطريقة تمنعك عن مشاهدتها، وإن صودف ووقعت في المحظور فلا تشعر باليأس، يمكنك المحاولة مجدداً شرط عدم الاستسلام.

٩- **الوازع الديني والأخلاقي**: جميع الأديان تحرم مشاهدة الأفلام الإباحية، العودة إلى الله ستساعدك على التخلص من هذه العادة السيئة، الدين يحصنك بالقيم الأخلاقية الضرورية التي تجعل مفهوم الأمور الخاطئة والصائبة أكثر وضوحاً، كما أن التعبّد يمنحك الراحة النفسية والسعادة التي تمدك بالقوة الكافية للتخلص من إدمانك هذا.

١٠- **الاستعانة بأخصائي**: إن كنت قد حاولت مراراً وفشلت وإن كان معدل مشاهدتك للأفلام الإباحية قد تجاوز الحد المعقول بأشواط، فربما حان الوقت للاستعانة بطبيب أو بأخصائي نفسي يساعدك على تجاوز الأمر[١].

هذا وقد انشئت عدد من المراكز المتخصصة لعلاج ادمان الاباحية في العالم الاسلامي، فضلا عن النشاط التوعوي الذي يقوم به بعض الاطباء والباحثين الاكاديميين أو اولئك الذين عانوا سابقا من الادمان الاباحي، ويمكن لمن ابتلي بإدمان الاباحية مراجعة هذه المراكز المتاحة على الانترنت[٢] او التواصل مع

(١) ١٠ خطوات للتخلص من ادمان الافلام الاباحية- نسرين عز الدين- موقع سيدي- نشر بتاريخ ٢٠١٥/٨/٢.

(٢) احد ابرز المراكز العربية الخاصة بعلاج ادمان الاباحية على الانترنت هو موقع (علاج ادمان الاباحية) على الرابط الآتي http://antiporngroup.com/ .

الاخصائيين مباشرة او عبر مواقع التواصل الاجتماعي، هذا اذا لم يتوفر لدى الشاب شخص قريب منه يثق بوعيه وأمانته.

ويمكن أن تلعب الحكومات دورا مهماً في الحد من انتشار المواقع الاباحية، وفي هذا الصدد أصدر البرلمان العراقي قراراً في جلسته الاعتيادية الثانية والعشرين في شهر ايلول من العام ٢٠١٥ يُلزم هيأة الاتصالات بحجب المواقع الاباحية على الانترنت[١]، إذ صرح النائب عن التحالف الوطني عبد الهادي الحكيم انه جمع ١٥٠ توقيعا من بين عدد النواب البالغ ٣٧٥ برلمانيا «لإقرار قانون يقضي بحجب المواقع الاباحية في البلاد بعد ان اصبحت وبالا يهدد الشباب بالطلاق بنسبة ٢٠٠٪ او الأحجام عن الزواج بنسبة ٥٠٪ فضلا عن ارتفاع معدلات الجرائم الجنسية والاغتصاب والتحرش الجنسي» بحسب قوله[٢]، ولكن يبدو ان هذا القرار لم يتم تطبيقه لأسباب لم تعلن عنها الهيأة لحد الآن.

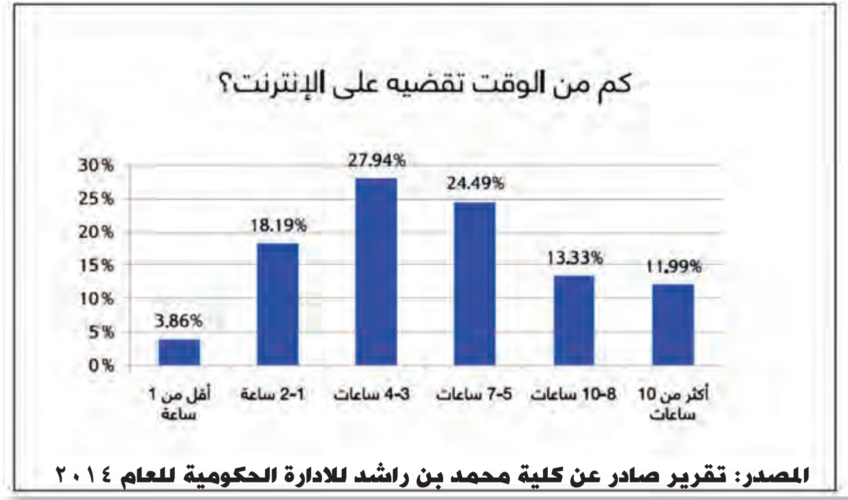
٢- المحادثات سبب العزلة أو الابتزاز: وفقاً لدراسة اكاديمية على عيّنة من مستخدمي الانترنت بلغت ٤٠٠ شخص تبين ان ما نسبته ٢٥,٣٪ من المستخدمين يقضون اوقاتهم على المحادثة عبر الانترنت، يليها البريد الإلكتروني E-mail بنسبة ١٧,٣٪، ثم مشاهدة الأفلام أو الاستماع إلى الأغاني بنسبة ١٦,٧٪، ثم مواقع التسلية والألعاب ١٢٪، ثم البحث العلمي بنسبة ١٠,٧٪، ثم تصفح الشبكة بوجه عام بنسبة ٩,٣٪، ثم الاتصال التلفوني ببلدان أخرى بنسبة ٤,٧٪، ثم التسوق بنسبة ٢,٧٪، ثم المنتديات وتحميل الأغاني والأفلام بالتساوي بنسبة ٧٪ [٣].

و(تشير الإحصاءات إلى أن ٨٨٪ من متصفحي الإنترنت بالعالم العربي يستخدمون مواقع التواصل وأن فيسبوك هي الوسيلة الأسرع للتواصل، وأن نسبة الرجال الذين

(١) ينظر: مجلس النواب العراقي يصوّت لحجب «المواقع الإباحية»- صحيفة القدس العربي- نشر بتاريخ ٢٠١٥/٩/١٥.

(٢) العراق يحجب رسميا المواقع الاباحية- موقع شفق نيوز- نشر بتاريخ ٢٠١٥/٩/١٤

(٣) رسالة ماجستير بعنوان (التأثيرات الإجتماعية والسلوكية لاستخدام لمواقع الإباحية) - دينا عمر فرحان- نشره المركز العربي للبحوث والدراسات- بتاريخ ٢٠١٦/٩/٢٢.



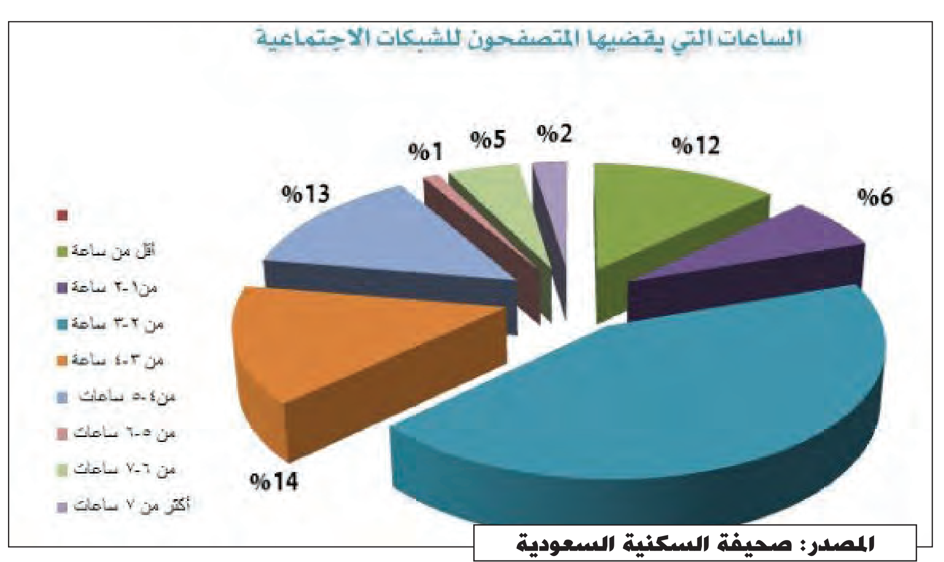
يستخدمون مواقع التواصل ٦٥٪ مقابل ٣٥٪ للنساء، واللافت في الإحصاءات أن المحادثات هي النشاط الأكثر شيوعا بين المستخدمين لمواقع التواصل في العالم العربي)[١].

إن ارتفاع معدلات استخدام الشباب للمحادثات والصداقات الالكترونية بهذا الشكل سوف يشكّل لديهم ازمة حقيقية في قدرتهم على التواصل مع العالم الحقيقي، إذ يدفعهم نحو العزلة والاقتصار على المجتمع الإلكتروني الذي يفتقد للعديد من مهارات التواصل والتفاعل الواقعي التي يطور الانسان على اساسها خبراته الاجتماعية، (فالجلوس أمام جهاز الانترنت لمدة طويلة من الوقت سيؤدي إلى عزل الفرد عن مجتمعه، كما يؤدي إلى تدني تفاعله الاجتماعي مع أفراد الأسرة وتقلّص عدد الأصدقاء، وقد يؤدي إلى فقدان مهارات الاتصال الايجابي، بالإضافة إلى الشعور بالعزلة الاجتماعية وتضاؤل فرص التعبير وتحقيق الذات، مما يجعله يشعر بعدم القدرة على ضبط الأحداث والتحكم فيها، ومن ثمّة يفقد الثقة في نفسه وتترسخ لديه القيم السلبية والقلق)[٢].

وعلى صعيد آخر فان المحادثات الالكترونية - سواء عبر مواقع التواصل

(١) الزواج عبر فيسبوك.. دعوة فإعجاب فلقاء- احمد السباعي- موقع قناة الجزيرة نت- نشر بتاريخ ٢٠١٥/٩/٨.

(٢) إدمان الانترنت وعلاقته بالعزلة الاجتماعي(دراسة ميدانية لعينة من طلبة جامعة ام البواقي٢٠١٢/٢٠١٣)- سامية ابريعم- نشرته مجلة العلوم الاجتماعية بتاريخ ٢٠١٥/٥/٢٠.



المصدر: صحيفة السكنية السعودية

الاجتماعي أم عبر غرف الدردشة- غالبا ما تستخدم لأغراض التواصل بين الجنسين، فالسرية والخصوصية التي تتيحها هذه التقنية تشجع كثيراً على استخدامها لهذا الغرض، وبخاصة في المجتمعات الاسلامية التي تضع قيودا دينية وعرفية على هذا النوع من التواصل.

من جانب آخر فان انفتاح الشباب على المحادثات الالكترونية بهذا الشكل الواسع أدى الى تفشّي جرائم الابتزاز الالكتروني، وكثيراً ما تنشأ عن ذلك تطورات خطيرة تنتهي الى الخضوع الكامل للمُبتز او انتحار المجني عليه، وتكون الفتيات في الغالب ضحية هذه الجريمة.

وفي هذا المجال يقول قاضي التحقيق العراقي (حسين مبدر حداوي) ان «موقع الفيس بوك أحد أكثر وسائل التواصل شعبية في البلاد ما جعله في طليعة البرامج التي ترتكب بواسطتها جرائم التهديد والابتزاز» وأن «الفتيات في الغالب يقعن ضحية لهذه الجرائم لاسيما ممن كانت لهن علاقة تواصل الكتروني مع شبان» وأشار إلى حالات عديدة وقعت فيها الفتيات في ورطة بعد انتهاء علاقاتهن مع الشبان لأن صورهن الشخصية أصبحت مهددة بالنشر، فتضطر أغلب الفتيات إلى التنازل عن أشياء كثيرة خشية من الفضيحة(١).

(١) قضاة: أغلب ضحايا الابتزاز الالكتروني «فتيات».. والجناة غرضهم «الأموال»- موقع مجلس القضاء الاعلى- نشر بتاريخ ٢٠١٧/٥/١٥.



من جانبه يؤكد الباحث الاجتماعي (مجيد التميمي) أنّ الجرائم الإلكترونيّة باتت تنافس الجرائم العادية على أرض الواقع نتيجة عدم استيعاب الضحايا كيفية الاستخدام الأمثل لمواقع التواصل الاجتماعي أو الشبكة العنكبوتية بشكل عام، خصوصاً أنّ الكثير من الضحايا هنّ من الفتيات اللواتي يقعن فريسة العاطفة الخادعة أو الابتزاز من أجل الحصول على المال أو حتى الوصول إلى الفتاة نفسها ومساومتها على ذلك بفضح صورها في حال الرفض.

ونوّه الى أنّ الكثير من تلك الجرائم انتهت بانفصال الزوجين بعد تلقي الزوج رسالة عن زوجته أو لمجرد الشك بزوجته بعد أول رسالة تصله من مرتكبي تلك الجرائم، خصوصاً مع غياب دور العائلة في كيفية استخدام هذه المواقع أو التشديد على عدم الاستخدام المفرط والنشر اليومي بسبب ومن غير سبب لأن أغلب الضحايا من الفتيات اللواتي لا يزلن في مقتبل العمر.

وبيّن أن «نحو ٨٧٪ من الفتيات وقعن ضحية تلك الجرائم نتيجة سوء استخدامهن لمواقع التواصل الاجتماعي ولثقتهن بالحسابات الإلكترونيّة بغض النظر عمّا إذا كانت حسابات وهمية أو حقيقية، فقد أخذتهن العاطفة وراء ذلك، كما أنّ الكثير منهن يجهلن كيفية الحفاظ على حساباتهن الشخصية بشكل صحيح ما يجعل اختراق

تلك الحسابات أمرا يسير بالنسبة لضعاف النفوس ومرتكبي الجريمة الإلكترونيّة».

وأشار الباحث الاجتماعي إلى أن «أهم خطوة في معالجة تلك الجرائم تفعيل الدور الرقابي من قبل الأهل، والتشديد والحرص على طُرق استخدام تلك المواقع ومعرفة ما تنشر بحسابات أبنائهم وبناتهم مع الأخذ بعين الاعتبار الحفاظ على الخصوصية في حال كان الأبناء مدركين لما يقومون به في تلك المواقع» فهو من ناحية وفّر مناخاً افتراضيا للشباب عزلهم عن تجارب المجتمع الحقيقية وجعلهم يعيشون في اوهام تفقدهم أي معنى للحياة المستقرة والهانئة[1].



(١) ينظر: (تزايد عدد ضحايا الابتزاز الإلكتروني في العراق)- ميمونة باسل- موقع العربي الجديد- نشر بتاريخ ٢٠١٧/٥/٢٣.

هذا وقد يتخذ الابتزاز اسلوبا آخر يتمثل بالنصب والاحتيال تحت اسم «العلاج الروحاني»، وفي الغالب تقع النساء ضحية هذا الابتزاز ايضاً، فالمشعوذين والدجالين ينتشرون في صفحات التواصل الاجتماعي عارضين إمكاناتهم السحرية في تحقق الزواج أو جلب الحبيب أو فك السحر أو الشفاء من الأمراض مستغلين قلّة الوعي في هذا الجانب.

وكمثال على ذلك ما حدث للفتاة رقية البغدادي التي تحدثت لصحيفة (المدى) قائلة: (تجاوزت الثلاثين ولم أتزوج ولا املك أيّ معلومات عن السحر والشعوذة، لكن صديقتي أكدت لي أن المعالجين الروحانيين يمتلكون طرقاً مجربّة لجلب النصيب، مضيفةً: بسبب ظرفي الاجتماعي، بحثت من خلال الفيس بوك ووجدت صفحة أحدهم الذي اكد لي سهولة الأمر، بعد أن اخذ أسمي وتفاصيل أخرى، متابعة: خلال يومين سحرني بكمٍّ المعلومات التي يعرفها عني وطلب مني تصوير جسمي بالإضافة الى التركيز على أماكن محددة من الجسم ليتأكد من أي مكان سيخرج السحر، الأمر لم يدم أياماً حتّى هددني بنشر صوري أو تحويل مبلغ (٣) ملايين دينار.

وتسترسل البغدادي: وصلت لمرحلة الانهيار وفقدان السيطرة لأن حياتي مهددة، خصوصاً وأن المبلغ كبير جداً بالنسبة لي، لجأت لإحدى صديقاتي وبمساعدة زوجها الذي كان متفهماً للأمر وساعدني بإنهاء الموضوع، لكنها كانت تجربة قاسية جداً، مبينة: بعد القبض عليه تبيّن أنه يجيد تسخير الجن، واعترف أنه كان يمارس ذات الطريقة من عدّة سنوات، سبق وأن نشر صور العديد من النساء وتسبب بمقتل خمس نساء منهن بسبب تلك الصور)[١].

وقد وضع خبراء الاتصالات والمعلومات بعض الأمور التي تحد من التجسس على أجهزة الهواتف الشخصية أهمها ما يأتي:

(١) الابتزاز الإلكتروني جريمة من نوع آخر دون رادع- محمد المحمودي- صحيفة المدى – نشر بتاريخ ٢٠١٧/٥/٢٠

١- من أهم الخطوات التي يجب العمل بها هو تفعيل الدور الرقابي من قبل الأسرة في توجيه الأبناء وتبيين عدم طرح الثقة الكاملة في التطبيقات التي تمنع التجسس، اضافة الى معرفة ما ينشر في حساباتهم الخاصة ومراقبة سلوكياتهم مع الحفاظ على خصوصياتهم.

٢- عدم حفظ المعلومات السرية أو الصور والمقاطع الشخصية وخصوصاً العائلية تحسباً لعملية سرقة أو القرصنة الألكترونية.

٣- الاعتماد على تحميل البرامج من جوجل بلاي Google play فقط كما يجب قراءة تعليقات المستخدمين الذين قاموا بتجربة البرنامج سابقاً والتأكد والانتباه على عدد التحميلات لمعرفة شهرة البرنامج من غير المشهور.



٤- عدم شحن الموبايل في الأماكن العامة غير الموثوقة، حيث أوضحت دراسة أوردها الموقع الإلكتروني الأمريكي «ساينس ديلي» المتخصص في الأبحاث العلمية أنه في كثير من الأحيان يبادر المستخدم إلى شحن هاتفه الذكي في إحدى مراكز الشحن المتواجدة في المطارات والأماكن العامة، وهو ما يعرض الهواتف لخطر يطلق عليه اسم «سرقة العصارة»، وأظهرت الدراسة التي أجراها معهد نيويورك للتكنولوجيا أن قراصنة الإنترنت يمكنهم تحليل قدر استهلاك الجهاز للطاقة للاطلاع على معلومات شخصية خاصة بالمستخدم، وفي هذا السياق يقول الباحث (باولو جاستي) إن «صفحات الإنترنت لها بصمات خاصة تعكس طريقة تحميل واستهلاك الطاقة، وهذه الآثار تشبه البصمات التي تساعد قراصنة الإنترنت على معرفة المواقع الإلكترونية التي تم تصفحها من خلال الهاتف الذكي»[١].

٥- عدم تنزيل التطبيقات غير المعروفة أو التي لم يتم التيقن من وثاقتها وخصوصاً التي تطلب صلاحيات أكثر من المعروف كالوصول الى المعلومات الشخصية والصور ومقاطع الفيديو وغيرها.

٦- عدم الوثوق الكامل بأصحاب صيانة الموبايل أو الذين يقدمون خدمات تنزيل البرامج لأنهم قادرون بسهولة على تثبيت فايروس الاختراق على جهاز الهاتف والتجسس عليه عن بعد.

٧- تفعيل دور المؤسسات الدينية والثقافية في بيان خطورة التجسس والاختراق الالكتروني[٢].

٣- التجنيد الالكتروني لصالح الارهاب: يعد الانترنت من اهم الطرق المعتمدة لدى الجماعات المتطرفة لجذب المراهقين والشباب وتجنيدهم لصالح

(١) . نقلاً عن مقال نشر على موقع (دي دبليو) بعنوان : كابلات الشحن طريقة جديدة لاختراق الهواتف الذكية، بتاريخ ١٧/٤/٢٠١٧م.

(٢) ينظر: ظاهرة التجسس او الابتزاز الالكتروني جريمة اغلب ضحيتها الفتيات- علي لفتة كريم- مجلة الرصد العدد ٣٧ لشهر تشرين الاول/٢٠١٧- ص٣٣.



تلك الجماعات، وفي هذا الصدد نشر (المركز الاوربي لدراسات مكافحة الارهاب والتطرف) مقالا جاء فيه: (لفهم عملية تطرف الشباب وما يقودهم إلي تبني أفكار متطرفة وعنيفة دائما ما نضع مواقع التواصل الاجتماعي - وبالأخص شبكة الإنترنت- موضع الاهتمام، في الواقع سهولة الوصول إلي الخطابات التي تثير مشاعر التهميش داخل المجتمع وترسخ لأعمال العنف وبالإضافة إلي الانتشار المتزايد للخطب والأفكار التي تتسم بالعنف ومعاداة الاجانب وتنمي روح التآمر، وكذلك الترويج للمحادثات والآراء على نطاق واسع من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، يبدو أن كل هذا يثبت فرضية المسؤولية الرئيسية لوسائل الإعلام الرقمية وشبكة الإنترنت عن التطرف.

وفي أعقاب اقتران الإعلام بالإرهاب بدأت الجماعات الجهادية مثل تنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي وتنظيم داعش وحركة الشباب المجاهدين في الصومال وبوكو حرام ببناء سياسات للتواصل الإلكتروني لتحقيق أربعة أنواع من العمل ألا وهي: (التبني والترويج والإقناع والتجنيد)، في الوقت الحالي ووفقا لمصادر عن شركة جوجل المتخصصة في البحث على شبكة الإنترنت أن الجماعات الإرهابية والمتطرفة قد أنشأت ما بين شهر يناير ٢٠١١ وديسمبر ٢٠١٦ أكثر من ٧٢٠,٠٠٠ صفحة على الشبكة العنكبوتية، وبناءً عليه على الدول والشركات ومزودي خدمات الإنترنت القيام بعمل جبار لتحديد وتصنيف هذه المواقع بهدف حذفها من على الشبكة العنكبوتية)[١].

(١) (العلاقة بين التطرف والانترنت)- مصدر سابق.



من جانبها تشير(انجيلا جندرون) الباحثة في المركز الكندي للدراسات الاستخباراتية (إلى أن الشباب المسلم في الغرب لم يتعرف على الأفكار «الرجعية المتطرفة» من خلال الخطب في المساجد وإنما من خلال الإنترنت ووسائل تكنولوجيا الاتصالات التي كان لها دور محوري في زيادة عدد الجماعات المتطرفة، وتضيف: إن الإنترنت وسيلة أساسية للدعاة المتشددين لنشر معلومات تُشكل معتقدات الشباب المسلمين عندما يبحثون عنها في المجتمعات الافتراضية، وأنه أصبح «بنك المعرفة» للتطرف وموردًا حيويًّا للدعاة وأتباعهم على حد سواء، فهو كما توضح «وسيط» بين التصريحات الأيديولوجية لقادة الجماعات المتطرفة والجمهور المستهدف، خاصة أولئك المقيمين في الغرب، ولهذا أصبح دور القادة الدينيين المتشددين أكثر تأثيراً مع نشر خطبهم على الإنترنت وتشجيع التطرف الذاتي.

وفي هذا الشأن تشير الباحثة إلى أن «العولقي» الذي كان بارعًا في استغلال قدراته والتطورات التكنولوجية لا يزال لخطبه على الإنترنت تأثير كبير على الرغم من مقتله.

وتطرقت الباحثة إلى وجود ثلاث مهام أساسية تقوم بها المواقع الجهادية؛ أولها أنها بمثابة مكتبات إلكترونية لمحاضرات الشخصيات الجهادية البارزة مثل عبدالله عزام، وثانيها تُوفر خطب أبرز الدعاة الإسلاميين الراديكاليين كأنور العولقي وأبو محمد المقدسي، وثالثها منتديات تسهل المحادثات الإلكترونية بين أتباع التفكير الجهادي لتبادل المعلومات وتعزيز الترابط بينهم)[١].

(١) كاريزما التطرف: كيف يروج دعاة الإرهاب أفكارهم على الإنترنت؟- انجيلا جندرون- موقع المستقبل للابحاث والدراسات المتقدمة- نشر بتاريخ ٢٠١٧/٢/٢٧.

ثانيا: الشباب والدراما



يؤكد الدكتور (حسن عباسي)[1] في احدى محاضراته قائلا: (إن صناعة الحضارات والمجتمعات تتركز على رسم خريطة لها، وفي هذه الايام فان العامل الرئيس لرسم هذه الخرائط يكمن في مضامين المسلسلات وبشكل اخص في الأفلام.. لقد مضى ذلك الزمن الذي كان الفلاسفة فيه يكتبون كُتبا لإعداد المجتمعات، اذ تحوّل اسلوب الفلاسفة الى ما يشبه اسلوب المخرجين أو الممثلين أو كتّاب السناريوهات، ففي الواقع إن الرائدين في مجال إعداد حضارة المجتمع هم الممثلون والفنانون في ساحة التمثيل اليوم)[2].

ولكن كيف تؤثر الافلام والمسلسلات في النفس البشرية؟ سؤال يبدو محيرا بعض الشيء، لأننا عندما ننظر الى الاغلبية الساحقة من البشر الذين يتابعون هذه الدراما نجدهم يتعاملون معها بمشاعر حقيقية، فأثناء مشاهدتهم لمسلسل او فيلم ما تجدهم يصابون بالخوف أو الترقّب أو الفرح أو الحماسة أو الحزن الى حد البكاء،

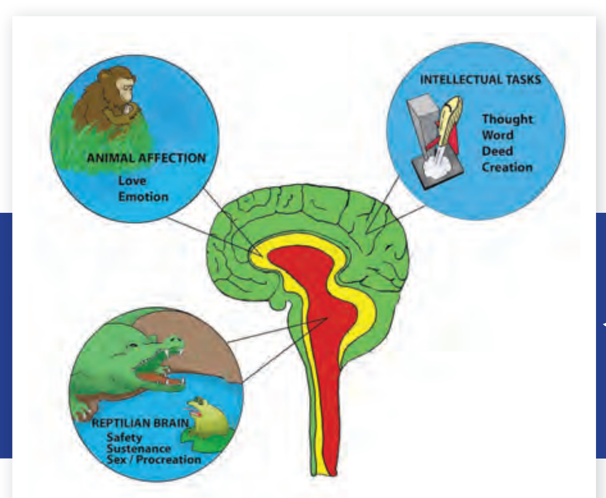
(١) استاذ في العلوم الاستراتيجية، ورئيس مركز الدراسات الاستراتيجية المذهبية في ايران.

(٢) اقتباس من محاضرة للدكتور عباسي القاها في قاعة مركز لارسباران الثقافي كمقدمة لتحليل المسلسلات الدرامية الاستراتيجية.


د. عباسي: إن الرائدين في مجال إعداد حضارة المجتمع هم الممثلون والفنانون اليوم

مع ان الجميع يعلم - بما فيهم المشاهدين انفسهم- أن ما يشاهدونه مجرد كذب لا واقع له.

وربما تسهل الاجابة على هذا التساؤل اذا علمنا الآليات التي يتعامل بها العقل البشري مع المعلومات التي ترده من المحيط الخارجي، وقد اشار الى هذه الآليات بشيء من التفصيل الباحث (أليكس انصاري)[١] إذ يقول: (يتم استغباء البشر عبر مشاهدة التلفزيون بصورة اخرى من خلال إلغاء نشاطات الجهات العليا في الدماغ (القشرة المخية الحديثة Neocortex)[٢] وتحفيز الجهات السفلى في الدماغ (الجهاز الحوفي limbic system)[٣]، وهذا المشروع يسمى بـ(دماغ الزواحف reptilian brain) لأنه يرتبط بردود الأفعال البدائية للحيوانات الزاحفة كالمواجهة والهروب، لأن دماغ الزواحف ليس لديه القدرة على تمييز الصور الحقيقة من الصور المجازية أو المزيفة، ونتيجة لذلك فاننا نعرف بأن ما نشاهده من أفلام هو مجرد افلام، اما في العقل الباطن (اللاواعي) فإننا نؤمن بأن ما نراه حقيقة.



يتم استغباء البشر بوساطة التلفزيون من خلال إلغاء نشاطات الجهات العليا في الدماغ (القشرة المخية الحديثة Neocortex) وتحفيز الجهات السفلى في الدماغ (الجهاز الحوفي limbic system)، وهذا المشروع يسمى بـ(دماغ الزواحف

(١) باحث اعلامي ايراني الاصل يحمل الجنسية الامريكية

(٢) هي الطبقة الخارجية من نصف كرة المخ، تتكون لدى الأنسان من ست طبقات من الخلايا العصبية، سميت بالقشرة الجديدة لكونها تقع في أعلى مراتب التطور في التصنيف العام للكائنات الحية. وتعقيد تركيبة الطبقات الست هو ما يميز الأنسان عن باقي الكائنات الحية.

(٣) هو الجهاز المسؤول عن السلوكيات العاطفية والانفعالية والذاكرة المرتبطة بها.

وعندما نشاهد اعلانا ترويجيا عن بضاعة معينة نعرف ان المنتجين يريدون من خلال ذلك تصريف بضاعتهم، ولكننا في الوقت نفسه لا نشعر بالراحة حتى نشتري تلك البضاعة، وإلا فإننا سنشعر في اعماقنا بالنقص، لأن تأثير ذلك تأثير قوي يعمل على اعمق محطات ردود الافعال لدى الانسان، فدماغ الزواحف يجعلنا طيّعين امام منتجي البرامج، ومن هنا يتأتّى لهؤلاء أن يستخدموا قدراتنا العاطفية لأجل السيطرة على عقولنا، و في العادة لا نستطيع ان نكتشف كيف يسيروننا بواسطة العقل الباطن اللاوعي)[١].

ان كثرة التحفيز للعقل البدائي - المسؤول عن الانفعالات السريعة- بسبب كثرة استهلاك الافلام والمسلسلات سوف يؤدي الى انتاج انسان سريع الانفعال مُتسرّع في الادانة والحكم على الآخرين، لا يفهم الحياة إلا من زاوية ما تجسّده الدراما من مفاهيم تكون في الغالب خيالية ومشحونة بالعواطف، وعلى هذا الاساس فان صورة "الممثل القدوة» ستكون حاضرة في عقل ونفس الشاب الشغوف بالدراما.

لذا يعد تقليد البطل في الفيلم أو المسلسل من أقوى اساليب التوجيه الثقافي للدراما و(هو ما يُعرف بـ «التحفيز على التقليد» حيث يتم تقديم (القدوة) للمُشاهدين بطريقة مباشرة أو غير مباشرة... ويكون تحفيز تقليد الأفلام في صورتين:

إما لحظيًا سريعًا صادمًا، وذلك بسبب مقولة ما مثلاً أو مشهد ما مِن الفيلم أو حتى مضمون الفيلم بأكمله فتتغير بسببه حياة المُشاهد وربما إلى آخر حياته.

أو يكون بطيئًا ومُتدرجًا وذلك حسب عمق الفكرة المُتسربة إلى عقل المُشاهد، أو نتيجة المنظومة النفسية المدروسة القائمة على تكرار مُشاهدة الشيء المُعين لزرع التعوّد عليه وتبنيه مثل تكرار مَشاهد الجنس مثلاً أو مَشاهد اللامبالاة بمشاعر الآخرين أو مَشاهد القتل والتعذيب والدماء أو مَشاهد الاستخفاف بالدين والأخلاق)[٢].

(١) مقال بعنوان (السيطرة الواسعة على الاذهان عبر شبكة التلفاز.. هل تملكون افكاركم؟) لأكس انصاري نشرته مجلة سياحة الغرب في العدد ١٢٤ - ترجمة: موقع سيستم يار / مجلة سياحت غرب.

(٢) ينظر: (السينما واللاوعي والخطاب الشعبي للإلحاد) -أبو حب الله- مجلة البراهين الالكترونية- العدد ٢- ٢٠١٤.



لذا فإن تأثير الافلام والمسلسلات -الأمريكية بالذات- يعد تأثيراً مدمّراً لعقيدة الشاب ذي الثقافة البسيطة، فكثيراً ما تتضمن شبهات فكرية وثقافية تفاجئ الشاب وتصدمه ضمن اطار عاطفي مؤثر، بحيث لا تفسح له مجالا ليحتكم الى الاطر العقلية من اجل فك اللبس الذي تقوم عليه تلك الشبهات.

وقد لخصنا طبيعة التأثير العقائدي لهذه الافلام والمسلسلات على الشاب المسلم ضمن بحث خاص بعنوان (هوليوود تستهدف الدين) اعتمدنا فيه على فحص نماذج من الافلام الامريكية الشهيرة التي انتجت خلال عقد ونصف (٢٠٠٠-٢٠١٥) فظهر من خلال ذلك حزمة من الافكار المضادة للأديان - الاسلام بخاصة - التي ركزت هوليوود على اظهارها خلال تلك المدة، مما يدل على محاولات جادة لترسيخ تلك الافكار بين الشباب، وفي ما يأتي أبرز تلك الافكار:

١- اللعب على وتر المآسي التي تتعرض لها البشرية سواء الناتجة عن الكوارث الطبيعية ام الكوارث المفتعلة، وإثارة عواطف المشاهدين من خلالها لتدفعهم الى اتهام الرب بالعبثية واللامبالاة وتثوير روح التمرد والسخط على القضاء والقدر الإلهيين تبعا لذلك.

٢- التشجيع المتواصل على مبدأ التحرر الفكري وتمجيد الحرية الشخصية

واعتبارها مفتاح النهوض الانساني، واستثمار هذا المبدأ لرفض العبودية للرب ووسمها بالتحجّر ومخالفة العقل وقتل الطاقات الخلّاقة، وتشجّع هوليوود على ذلك بتجسيد نماذج من الشخصيات اللادينية المنتجة في العلوم مقابل نماذج من الشخصيات الدينية التي تظهر بقالب متحجّر لا يؤمن بالتطور ولا يواكب الحياة.

وفي ذات المجال تحاول هوليوود اعادة ترتيب التاريخ البشري وفقا لما يمر به من نضج فكري، فتجعل الايمان بالأديان ضمن مرحلة تاريخية وسيطة بين عصر الاساطير وعصر التنوير، لتؤكد بذلك على أن الايمان بالغيب لم يعد نافعا في هذه العصور لأنه لا غاية مفيدة منه لجعل حياة الناس افضل – ان لم يجعلها اسوأ- وانما العلم التجريبي وحده هو من يجلب الرفاهية والراحة للعالم، ولخدمة هذا الهدف، تسعى هوليوود الى تعميق الهوة بين الايمان بالأديان وبين التطور العلمي التجريبي، وتجعل كلا الامرين على طرفي نقيض جهد استطاعتها.

٣- التركيز على نظرية النشوء والارتقاء لداروين، واعتبارها كلمة الفصل لبيان حقيقة وجود الحياة على الارض، وتتخذ من ذلك ذريعة لنفي وجود الرب، وعلى الرغم من الهفوات العلمية التي مُنيت بها هذه النظرية الا ان هوليوود تستخدم غالبا اسلوب المصادرة على المطلوب من اجل اثبات احقيتها والدفاع عن مضامين النظرية.

٤- التركيز على معطيات الفيزياء النظرية الحديثة لتفسير وجود الكون، مثل نظرية الانفجار العظيم التي اعلن عنها الفيزيائي الشهير (ستيفن هوكينغ)، وهي نظرية علمية أخرى – الى جانب نظرية داروين- تستند اليها هوليوود لنفي وجود الخالق.

٥- تجعل هوليوود من التطرف صبغة اساسية للتديّن، وتجعل من التسامح مسألة تتناسب عكسيا مع مقدار الالتزام بالتعاليم الدينية او ما يطلق عليه اصطلاح «الاصولية الدينية» في ادبيات الصحافة الغربية.

٦- المادية هي المنبع الاساسي الذي تنتزع منه هوليوود كل تجسيد للظواهر الغيبية

التي تحدثت عنها الاديان السماوية، وبخاصة ما يتعلق بتجسيد الملائكة والشياطين والجنة والنار والقيامة.

٧- رفض مفهوم الخير المطلق في هذا الكون والتركيز على كونه مفهوماً نسبياً، ومن هذا المنطلق تجد ان الرب يمكن ان يكون شريراً في بعض الاحيان، ويمكن أن يكون الشيطان نافعاً للإنسان.

٨- ترسيخ محورية الدنيا وجعلها الغاية والمقصد من الوجود البشري، وعلى هذا الاساس فان الحياة الآخرة لا تمثل سوى اطلال على هامش الدنيا في حال تجسيد هوليوود للآخرة في بعض افلامها.

٩- استخدام الكوميديا للسخرية من القضايا الدينية، وقد سخرت هوليوود في الآونة الاخيرة من كل القضايا الدينية بما في ذلك الرب والانبياء والملائكة ولم تراعِ حداً في ذلك.

وعلى الصعيد ذاته، كثيرا ما تمزج هوليوود الاساطير الخرافية بمعطيات الاديان السماوية وتجعل احداهما امتدادا للأخرى في كثير من الاحيان.

١٠- الثقافة التوراتية والانجيلية طاغية في المسائل الدينية التي تتناولها هوليوود في افلامها، وهي ثقافة بحد ذاتها سيئة لما تحتويه من ثغرات كبيرة لا تتوافق مع العقل والمنطق السليم.

وفي مقابل هذه الرسائل الثقافية ذات التأثير الضاغط على عقيدة الشـــاب المسلم، لابد من ان يكون لدينا ما يدفع مغالطاتها الفكرية بشكل يوازيها قوة وتركيزا، ويفضح التفافها الماكر على الحقائق البديهية.

على ان افضل طريقة لصد خطر هذا الانتاج المؤثر هو استخدام الاسلوب ذاته، اي فضح الأيدلوجيات الخاطئة وبيان الحقائق من خلال الاعمال الدرامية ذاتها

بالأسلوب البارع والمؤثر نفسه الذي يستهوي طبقات المجتمع كافة، مع الاخذ بنظر الاعتبار أن المجتمع يتأثر بالرسائل الفنية والاعلامية التي تقترب من بيئته والتي يؤدي أدوارها اشخاص من ابناء جلدته بشرط أن يتوافر العمل الدرامي على ادوات النجاح الاخرى، ابتداء من السيناريو المُحبك مرورا بالتمثيل الجيد وانتهاء بالإخراج المحترف.

ولا تقل عن ذلك أهمية البرامج التلفزيونية والجلسات النقاشية والندوات الثقافية والخطابات المنبرية والمنشورات الدورية في كشف خطر الدراما الغربية وبيان طبيعة تأثيرها على الجانب العقائدي.

ولا يخفى ان اكثر الشبهات التي تتعلق اليوم بالجوانب الغيبية تأتي من توظيف العلوم التطبيقية الحديثة لترويج الإلحاد كالفيزياء النظرية وعلم الاحياء والجيولوجيا والفلك، على عكس العهود القديمة التي كانت تتخذ من العلوم العقلية الصرفة وسيلة لهذا الغرض.

لذا فان الاطلاع العلمي الدقيق على تلك العلوم يفيد كثيرا في مجال الرد بالمثل، اذ يمكن ان يوظف المطّلعون على دقائق تلك العلوم لإلهام الانتاج الدرامي الذي يدعم العقيدة ويقوي اركانها في نفوس اجيالنا[1].

(١) ينظر: (هوليوود تستهدف الدين)- حيدر محمد الكعبي ومحمد علي العسكري- ملحق الرصد - شباط ٢٠١٦.

ثالثا: الشباب والادب الروائي



تصنف غالبية المجتمعات الاسلامية ضمن اقل المجتمعات قراءة للكتب، فبحسب (تقرير التنمية البشرية للعام ٢٠٠٣ الصادر عن اليونسكو، يقرأ المواطن العربي أقل من كتاب بكثير، فكل ٨٠ شخصاً يقرأون كتاباً واحداً في السنة، في المقابل يقرأ المواطن الأوروبي نحو ٣٥ كتاباً في السنة والمواطن الإسرائيلي ٤٠ كتاباً، وجاء في «تقرير التنمية الثقافية» للعام ٢٠١١ الصادر عن «مؤسسة الفكر العربي» أن العربي يقرأ بمعدل ٦ دقائق سنوياً بينما يقرأ الأوروبي بمعدّل ٢٠٠ ساعة سنوياً... وبحسب التقرير فإن عدد كتب الثقافة العامة التي تنشر سنوياً في العالم العربي لا تتجاوز الـ٥٠٠٠ عنوان، أما في أمريكا على سبيل المثال فيصدر سنوياً حوالى ٣٠٠ ألف كتاب)(١).

(١) ينظر: (كم يقرأ العرب وماذا يقرأون؟)- موقع رصيف ٢٢- نشر بتاريخ ٢٠١٥/٤/٢٣.

إن تفشي الأمية وتردي الاحوال السياسية والاقتصادية تعد من اهم الاسباب التي تؤدي الى تراجع القراءة في البلدان الاسلامية، بالإضافة الى طغيان «ثقافة الصورة» على حساب «ثقافة القراءة» نتيجة لسيادة وسائل الاعلام المرئية وعلى رأسها التلفزيون.

ونتيجة لذلك فمن الطبيعي أن تنحصر القراءة في الدول الاسلامية في الطبقات التي تنتمي للجامعات والمؤسسات الثقافية، وبالنسبة للشباب فان طلبة الجامعات هم الشريحة الاوسع الذين يقرأون قياساً بأقرانهم من طلبة الثانويات او أصحاب المهن، أما عن نوعية ما يقرأه هؤلاء الشباب فهو يتمثل اساسا بالروايات.

وكمثال على ذلك؛ أظهر استطلاع أجرته صحيفة (الوسط) لزوار معرض البحرين الدولي للكتاب هيمنة الرواية على اهتمامات الشباب[١]، كما تصدرت الروايات قوائم المبيعات في معرض كتاب جدّة للعام ٢٠١٥، وبحسب بيليوجرافيا الباحث خالد اليوسف تبين ان الروايات هي الفن الأكثر كتابة في السعودية بمعدل ٨١ رواية في العام ٢٠١٥ [٢].

واحد تجليات اهتمام الشباب بأدب الرواية تمثل باسهاماتهم النشطة في هذا المجال، إذ (يشهد العالم العربي منذ سنوات قليلة ثورة في الكتابة الروائية لا تعكس أبدا مستوى المقروئية لدى شعوبه، ويقود هذه المرحلة مجموعة من الكتاب الشباب تتنوع مشاربهم الفكرية، هذا الأمر خلق لنا نماذج متعددة من الروايات التي أصبحت من خلالها مهمة النقاد جد معقدة... علما أن غزارة الإنتاج في ميدان الرواية لا تعني أبدا جودة الأسلوب وقوة الطرح، فأغلب ممن يعتبرون أنفسهم كتَاب للرواية لا يمتلكون ناصية هذا الفن الأدبي مما خلق لنا نوعا من الرداءة في المنتوج)[٣].

(١) ينظر: (الرواية تجتذب الشباب...والتاريخ يتصدر اهتمامات «الكبار») - محمد العلوي- صحيفة الوسط- نشر بتاريخ ٢٠١٦/٣/٢٨.

(٢) ينظر: (لماذا يقبل الشباب على الرواية؟)- عطية الله السلمي- صحيفة مكة الالكترونية- نشر بتاريخ ٢٠١٦/٢/٢٧.

(٣) ينظر: (الشباب يكتبون الرواية)- عبد اللطيف العربي- الجزيرة نت- نشر بتاريخ ٢٠١٦/١١/٥.

وقد تعددت التفسيرات الباحثة عن اسباب تداول الروايات بين الشباب المسلم بكثرة، فمنهم من يرى ان السبب يعود الى ان الرواية تحقق للقارئ المتعة والتسلية والاثارة، لان فيها خيال واقعي وواقع خيالي، كما انها سهلة القراءة والاستيعاب مقارنة بالكتب الفلسفية والعلمية والدينية[١].

ومع اقرارنا بصحة هذه التفسيرات لا بد من اضافة سبب آخر يتمثل بارتفاع حساسية الشباب المتعلّم تجاه مفهوم «الثقافة» واعتباره نقطة تميز بين الاقران، وبما أن القراءة احدى اهم علامات هذه «الثقافة» فان الاقبال على القراءة يتزايد من قبل الشباب، وحينما يجد الشاب ان الكتب الروائية هي اقل الكتب ثقلاً على النفس فانه يقبل عليها ويتداولها باهتمام خاص، ثم يفتخر على اقرانه بعدد ما قرأه من روايات.

وكمرحلة تالية يلعب العقل الجمعي دوراً بارزا في انتشار قراءة الروايات بين الشباب في الجامعات وغيرها، إذ تتحول الى عدوى تنتقل من مجموعة الى اخرى، وقد تكون الرواية تبعا لذلك محل نقاش ومراجعة بين الاصدقاء.

وهنالك سبب مهم آخر يتمثل بقدرة الرواية على كسر المحظورات من دون حساب، فمن شأن الرواية ان تكسر التابوهات الدينية والاجتماعية من دون أن يحق لأحد الاعتراض عليها باعتبارها أدب منسوج من الخيال، وهذا التوجّه غالبا ما يستهوي الشباب الذي يعاني من واقع معبّأ بالمشاكل والتناقضات فيكون نتيجة لذلك متمرداً عليه، ومن ثم يجد ان الرواية المتمردة على هذا الواقع تتناغم مع ذاته أو تعبر عنها فيزداد انجذابه نحوها.

لذا نجد أن كثيرا من كتاب الروايات يحرصون على كسر التابوهات في الدول الاسلامية لغرض جلب اكبر عدد من القراء، فانهم يجدون في القصص الجنسية والطعن في الاديان موادا دسمة يوظفونها في اعمالهم الروائية، وكثيرا ما يصحب ذلك حملة دعائية قوية وجوائز رنّانة تلفت انظار القراء الى روايات قد لا تسهم في

(١) ينظر: (لماذا يقبل الشباب على الرواية؟)- مصدر سابق.

خدمة الذوق البشري او الواقع الاجتماعي.

لذا لا غرابة في أن نجد كثيرا من الروايات المعاصرة التي تكون اقرب الى القصص الاباحية المبتذلة منها الى الادب الرفيع، وقد ظهرت في الدول الاسلامية مؤخرا طبقة من الكتاب والكاتبات لهم اهتمام شديد بوصف مشاهد الجنس بجرأة بإسفاف، حتى ليخيل للقارئ انها افلاما اباحية تم اعادة نشرها كتابة.

يقول الكاتب والناقد المغربي (الكبير الداديسي): (إنّ المطلع على ما يصدر في الرواية العربية المعاصرة يدرك وكأن الرواية – دون غيرها من الأشكال التعبيرية – قد حملت على عاتقها الخوض في غمار المسألة الجنسية، فجاءت الرواية المعاصرة أكثر جرأة في وصف المشاهد الإباحية وتسمية الأعضاء الجنسية بمسمياتها، يتساوى في ذلك الكتاب من الجنسينْ في مختلف الأقطار، حتى تلك التي ينظر إليها على أنها مجتمعات مغلقة ومحافظة كدول الخليج واليمن، بل أكثر من ذلك؛ لم تكتف الرواية العربية المعاصرة بمقاربة الجنس وحده بل تجاوزت المعهود لرمي الأبطال نحو الحدود القصوى للممارسة الجنسية كما فعلت الكويتية (فوزية شويش السالم) ببطلي روايتها (سلالم النهار) إذ جعلت البطل يجرب مع زوجته الحدود القصوى وكل ما خطر بباله في علاقة امرأة برجل، كما تجاوزت الرواية المعاصرة وصف الجنس في صفوف الداعرات والشباب إلى النبش في جنس الفئات المتديّنة التي تُظهر للعموم أن الجنس آخر اهتماماتها ما دامت اختارت الظهور بمظهر المسوح الدينية، فحاولت سبر أغوار التفكير الجنسي لدى المحجبات وشغفهن للجنس كما في رواية (حرمة) لليمني (علي المقري) حيث كل هم البطلة المتدينة الظفر بعلاقة جنسية ولو عن طريق تعرضها لإغتصاب جماعي، والهوس الجنسي عند المشرفين على المساجد والزوايا الدينية كما في بطل رواية (زوج حذاء لعائشة) حيث البطل إمام المسجد والخطيب الديني مزواج كل همه الجنس واغتصاب زوجاته)[١].

(١) (الجنس بين التلميح والتصريح في الرواية العربية)- الكبير الداديسي- الصباح الجديد- نشر بتاريخ ٢٠١٥/٧/٢٨.

من جانبه (أثار الناقد الدكتور محمد عبد المطلب مقرر لجنة الشعر في المجلس الأعلى للثقافة ومقرر ملتقى القاهرة الدولي للشعر العربي في دورته الرابعة؛ غضب العديد من الكتاب بسبب تصريحاته حول الرواية ورواجها وما يكتب عنها بـ"الأكاذيب" وصناعة الناشرين «مزيفة»، وقال إن تصريحاته جاءت بناءً على آخر مرة قام فيها بقراءة ومراجعة ما يكتب عن الرواية العربية منذ ثلاث سنوات، ورأى أن أغلب الروايات التي يتم الترويج لها والتي تصدر منها طبعات عدة في فترة زمنية قصيرة فيها تمرد على الدولة والدين والأخلاق والثقافة، ثم يتم الترويج لها بشكل غير صحيح لصنع شهرة كاذبة، كما يحدث ذلك أيضًا في الشعر وهو أمر ليس قاصراً على الرواية فقط.

وأضاف «عبد المطلب»: هناك بعض النصوص التي تتضمن الإهانة للدين والتي تتضمن ألفاظًا مبتذلة يتم إلصاقها بالفن وكل هذا أمر عبثي، فمن غير الطبيعي أن تجد عملاً هزيلاً وبعد مرور ثلاثة أشهر نسمع عن طبعته التاسعة، فهذا يعنى أن كل ١٠ أيام توجد طبعة، فالقرآن الكريم لا يطبع بهذا الشكل ولا حتى أعمال نجيب محفوظ، والوحيد الذى وصل إلى عدد كبير هو نزار قباني والشيخ الشعراوي، فقد وصلت عدد طبعات كتبهم إلى ٢ مليون طبعة)[١].

وهنا يقع مكمن الخطر الذي يواجهه الشاب المسلم بسبب استهلاكه للروايات، فحينما يجد في الرواية تجليات من إرهاصاته المنتفضة على مشاكل مجتمعه فانه سيتشبث بها وسوف يظن بأن الحق معه في تفسيره الذاتي لأسباب تلك المشاكل، في حين أن تفسيره في الغالب يكون غير واقعي لأنه ناشئ عن مشاعر محتدمة أكثر من كونه ناشئا عن عقل وحكمة، وبالذات فيما يتعلق بعقيدته الاسلامية.

يقول الدكتور (عارف الركابي): (الروايات المنحرفة عقدياً هي معول هدم للعقيدة ومركَب ذَلول موصل إلى الإلحاد، وذلك أن الروايات قصص والنفوس مجبولة على

(١) ينظر: (مقرر لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة لـ«اليوم السابع»: رواج الرواية «أكذوبة»)- بلال رمضان- صحيفة اليوم السابع- نشر بتاريخ ٢٠١٦/١١/٣٠.



حب القصص، لا سيما وأن كثيراً منها يضرب على وتر العاطفة أو العشق أو إثارة الغريزة، وهذا النوع مما يميل إليه كثير من الفتيات والشباب الذين لا يخفى تهافتهم الكبير على اقتناء الروايات، وهذا النوع من الروايات أُحبولةٌ للإلحاد، وغالباً ما ينفذ الملاحدة - خلال هذه الروايات- من مشكلة القدر التي يزعمون بالتشكيك في حكمة البارئ جل جلاله، أو ما يطلقون عليه: «العبثية الكونية» التي نتيجتها جحد وجود رب مدبر للكون)[١].

ولمعالجة هذا الامر لا بد من ان يكون لدى الجهات الراعية للثقافة التنموية كلمة فصل في هذا الصدد، إذ يحسن استغلال هذا المورد الأدبي والاعلامي المهم لأغراض التنمية الثقافية لدى الشباب، طبعا من دون الاسفاف الى حد انتهاك الروح الابداعية للرواية فتتحول الى كتاب وعظي، وذلك يتم بالاستعانة بطاقات خبيرة لا يخلو منها المجتمع الاسلامي، مع دعم مثل هذه الروايات ترويجيا، إذ يمكن ان تكون الرواية بحق ملف يجمع للأجيال تراث التاريخ وتجربة العصر في آن واحد.

(١) (تهافت الملاحدة.. وسائل نشر الإلحاد)- د. عارف الركابي- صحيفة الانتباهة- نشر بتاريخ ٢٠١٧/٣/١٢.

رابعا: الشباب وألعاب الفيديو



ذكرنا في مطلع الفصل أن تزايد الضغوط الناشئة من تعقيدات وروتين الحياة المعاصرة دعت الفرد البالغ الى الشعور بالحاجة لأي ممارسة تجعله يهرب مؤقتا من هذا الواقع، واللعب يمثل اداة مثالية لتنفيس هذه الضغوط ونسيان المشاكل، وذلك ما حوّل اللعب الى ظاهرة يزداد انتشارها يوما بعد آخر، ومع مجيء الثورة التقنية التي دخلت في كل نواحي الحياة - ومنها وسائل الترفيه- فقد دخل «عالم اللعب» مرحلة جديدة جعلته يتحول الى صبغة اساسية من صبغات العالم الحديث.

واحدى وسائل اللعب التي ارتبطت ارتباطاً جذرياً بالثورة التقنية هي: الالعاب الالكترونية (العاب الفيديو VIDEO GAME)[١] التي انتشرت بين الناس منذ العام ١٩٧١ وتطورت بشكل سريع، واستطاعت أن تُوجد عالماً افتراضياً يعيش فيه الصغار والكبار لحظات منفصلة عن الواقع وفي الوقت نفسه ذات تأثير كبير فيه.

ولما كانت ألعاب الفيديو احدى نتائج الثورة التقنية فهي تعد وليداً شرعياً للعلوم

(١) التسمية الأصح لهذا النوع من الألعاب هو (العاب الفيديو) التي تعبرّ عن الألعاب ذات النظام المرئي الذي يعرض على شاشة تلفاز او حاسوب وما أشبه ذلك، أما تسمية (العاب الكترونية) فهي تسمية أوسع تشمل كل لعبة تعتمد على الالكترونيات مثل (الالعاب الصوتية)، لذلك سنستخدم اسم (العاب الفيديو) لهذا البحث في اغلب الاحيان مع عدم اهمال اسم (الالعاب الالكترونية) لاصطلاحه الشائع.

التجريبية، كما أنها صناعة يشارك فيها متخصصون في الفنون السمعية والبصرية مثل الموسيقى والرسم، لذا كان من المأمول أن ترفع هذه الالعاب مستوى الذوق العلمي والفني لدى الجمهور، وكانت بواكيرها تبشر بذلك لولا دخول الربح التجاري على الخط ليحرفها عن مسارها المأمول، إذ ركبت الشركات التجارية موجة انتاج العاب الفيديو وأخذت تنتج العاباً تميل الى استثارة الجماهير بكل طريقة بهدف زيادة الارباح المالية متجاهلة بذلك الحدود القيمية والاخلاقية.

ونتيجة لذلك فان العاب الفيديو اصبحت واحدة من ابرز السمات التي تميز نمط حياة الاجيال الشابة اليوم، ولا يمكن الحد من شيوع صيتها كظاهرة اقتصادية واجتماعية وثقافية[١].

ومع تطوّر رسوم ألعاب الفيديو بسبب التقنية ثلاثية الابعاد (٣D) وارتباط أكثرها بالأنترنت (اون لاين ON LINE) توسّع نطاق الاقبال عليها والمشاركة بممارستها ليشمل كل ارجاء العالم، فباتت تُعقد لها التجمعات والمعارض والمسابقات الدولية، بحيث تحوّلت الى حالة عالمية لا تعبأ بالحدود الجغرافية والثقافية، مما شجّع جهات كثيرة على أن تستثمر ألعاب الفيديو لأغراض الغزو الثقافي الى جانب تحقيق الاغراض التجارية.

وعلى هذا الاساس لم تعد لعبة الفيديو مجرد (تسلية بريئة بل هي وسيلة اعلامية تتضمن رسائل مُشفرة ومُرمّزة يهدف المُرسل من خلالها الى تحقيق اهداف وغايات ثقافية وسياسية ودينية، فقواعد اللعبة تفرض على اللاعب تقمص الشخصية المفروضة عليه والانغماس في واقع معين من الحرب الفكرية او العسكرية او الثقافية او الايدلوجية، كما تكمن الخطورة ايضا في امكانية تقريب اللاعب من الخيال والواقع الى درجة انه يحاول تطبيق مضامين هذه الالعاب في حياته اليومية،

(١) الالعاب الالكترونية وتأثيراتها في اعادة تشكيل ثقافة الشباب في عصر العولمة – دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة تبسة – رسالة ماجستير للباحث عادل سلطاني للعام ٢٠١١-٢٠١٢/ ص١٤

مما يعني تنميط السلوك على النحو الذي يرغب فيه صانعو هذه الالعاب)[١]، وهذا التأثير هو ما دفع عدداً من الدول الى منع تداول بعض العاب الفيديو داخل اراضيها لتعارض مضامينها مع النظم السياسية أو الدينية أو الثقافية الخاصة بتلك الدول[٢].

والى جانب التأثير الفكري والثقافي للألعاب الالكترونية، نجد أزمة أخرى تتسبب بها هذه الألعاب هي مزاولتها بكثرة الى حد الادمان، مما يؤدي الى كثير من المشاكل الصحية والنفسية للشباب، فقد (أظهرت دراسة علمية بأن ٨,٥ ٪ من الشباب مدمنين على ألعاب الفيديو، وذلك وفقا لنتائج استطلاع (هاريس) القومي الذي شمل نحو ١٢٠٠ فرد من هذه الفئة العمرية)[٣].

إن كثرة مزاولة العاب الفيديو يستتبع مشاكل كبيرة[٤] أهمها: ضياع الوقت واهدار الطاقة الشبابية التي تعد المعيار الاساس لنشاط أي مجتمع، وما يستتبع ذلك من تشبّع تام بالقيم الثقافية السيئة التي تتضمنها تلك الالعاب، وليس غريباً أن ترى اليوم شباباً في سن النضج يرتبطون بهذه الالعاب ارتباطاً شديداً يجعلهم كالأطفال، لا يحملون أي شعور بالمسؤولية تجاه أنفسهم وتجاه الآخرين.

يقول الباحث (عادل سلطاني): (تساهم هذه الوسائط[٥] في اهدار قيمة الوقت، وبالتالي ضياع ثقافة الوقت كمفهوم اسلامي في الواقع الاجتماعي لدى الشرائح الشبّانية التي تعتبر رصيد مجتمعاتنا، وهي تشكل الرساميل الاجتماعية المتدفقة بالطاقة والحياة التي تبعد الشيخوخة الاجتماعية عن مجتمعاتنا، فاذا تعطلت قدرات الشباب عن الابداع الاجتماعي بضياع هذا المفهوم المقدّس وذلك بتسمّر المتعاطين

(١) اثر الالعاب الفيديو على السلوكيات لدى الاطفال(دراسة وصفية تحليلية على عينة من الاطفال المتمدرسين بالجزائر العاصمة) للعام ٢٠١١/ ٢٠١٢- الباحثة مريم قويدر - ص ١٤

(٢) ألعاب فيديو منعت حول العالم بقرارات حكومية- مصطفى جاد- موقع (gamevolt) بتاريخ ٢٠١٤/٩/٢٥.

(٣) دراسة: ألعاب الفيديو تسبب الإدمان – مازن النجار – موقع قناة الجزيرة بتاريخ ٢٠٠٩/٤/٢٦.

(٤) قمنا بإحصاء سلبيات الالعاب الالكترونية ضمن ملحق بعنوان (الالعاب الالكترونية واثرها الفكري والثقافي)- المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية- ٢٠١٧.

(٥) يقصد: العاب الفيديو.

حول اجهزة الالعاب ساعات طويلة، تضيع خلالها العبادة، وبالتالي تضييع وتغييب وعزل الازمنة العبادية القيمية لدى هؤلاء الممارسين (...) وبالتالي خضوعهم لنمذجة عفوية من خلال هذه الوسائط بما ترسخه من قيم الانغماس في قيم اخرى تقنية وثقافية لا تتصل مطلقا ببنائهم العقدي القيمي والاجتماعي والثقافي، فيصبح متعاطو هذه المضامين القيمية الثقافية من خلال حتمية هذه الوسائط يعيدون نمذجة انفسهم وفق قيم الآخر، وبالتالي نمذجة مجتمعاتهم فيما بعد وفق تلك القيم)[٦].

ومن سلبيات الالعاب الالكترونية: الهدر المالي، إذ نلحظ أن كثيرا من الشباب ينفقون اموالا ضخمة لمواكبة ما يصدر من اجهزة واقراص خاصة بأحدث الالعاب الالكترونية، بالإضافة الى أن هنالك كثيرا من الصالات المخصصة لممارسة هذه الالعاب تستقبل آلاف الشباب لحلب جيوبهم، مستغلة بذلك هوس الشباب في ممارسة اللعب الجماعي بهذه الالعاب، وكثيراً ما يخوض الشباب في هذه الصالات تحديات لعب على اساس الرهان، فيمارسون مباريات قمارية يكون صاحب الصالة المستفيد الوحيد منها.

تجدر الاشارة الى أن صالات الالعاب الالكترونية تضم في كثير من الاحيان مرتادين من الرجال والشباب العاطلين أو المتسرّبين من المدارس، وغالبا ما يكون هؤلاء رفقاء سوء يحملون انحرافات فكرية وسلوكية عديدة، يؤثرون بها سلبا على من يحتك بهم في مثل هذه التجمّعات، وبارتياد كثير من المراهقين والشباب هذه الصالات فمن الطبيعي أن يكونوا معرضين للانحراف الفكري أو السلوكي ضمن هذه البيئة الخطيرة.

وختاما نقول إن صناعة الألعاب الإلكترونية قد أصبحت صناعة مزدهرة وتنمو بشكل مخيف، وعلى هذا الاساس علينا أن نقرر إما أن نكون مجرد مستهلكين لها أو أن نكون فاعلين في الاستفادة من منافعها وتلافي اضرارها بحق الشباب المسلم.

(٦) الالعاب الالكترونية وتأثيراتها في اعادة تشكيل ثقافة الشباب في عصر العولمة - مصدر سابق- ص ٣٥٢

وإن اول خطوة في هذا الطريق تكمن في نشر ثقافة مجتمعية تؤدي الى فهم طبيعة تأثيرات العاب الفيديو السلبية والايجابية، فمن دون هذه الثقافة لن تتحرك ادوات الاصلاح لدرء المخاطر واستجلاب المنافع كما هو ظاهر.

ولكي نكون صادقين مع أنفسنا يجب الاعتراف بأن المجتمعات الاسلامية بشكل عام تعاني من تخلّف معرفي كبير بخصوص الألعاب الالكترونية وآثارها، وهذا التخلّف المعرفي يشمل اغلب شرائح المجتمع المسلم ابتداءاً من مستهلكي هذه الالعاب وانتهاءاً بالنخب الفكرية، وبخاصة أولئك المهتمين بمحاربة الغزو الثقافي، فهم غافلون تماماً عن هذا الرافد الثقافي الذي يسمم أجيالنا يوماً بعد يوم من دون أن يعيروه الاهتمام اللائق به.

على أن المعرفة الاجمالية لا تُسمن ولا تغني في هذا المجال، لأن العاب الفيديو عالم واسع جداً ويتضمن تفاصيل دقيقة وله ارتباط جوهري بالجانب الفكري والسلوكي للإنسان، كما أن لتأثيراته علاقة ماسة بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تسود البلد، ولهذا فقد تم تأسيس فرع علمي مستقل يبحث في تأثير هذه الألعاب باسم (لودولوجي Ludology)[١]، كما سارعت كثير من الدول التي تهتم بتنشئة أجيالها الى تقنين تداول العاب الفيديو ووضع ضوابط صارمة على سوقها، وتثقيف العوائل حول تأثيراتها ووضع تقديرات للأعمار الملائمة لممارسة هذه الالعاب على كثرتها.

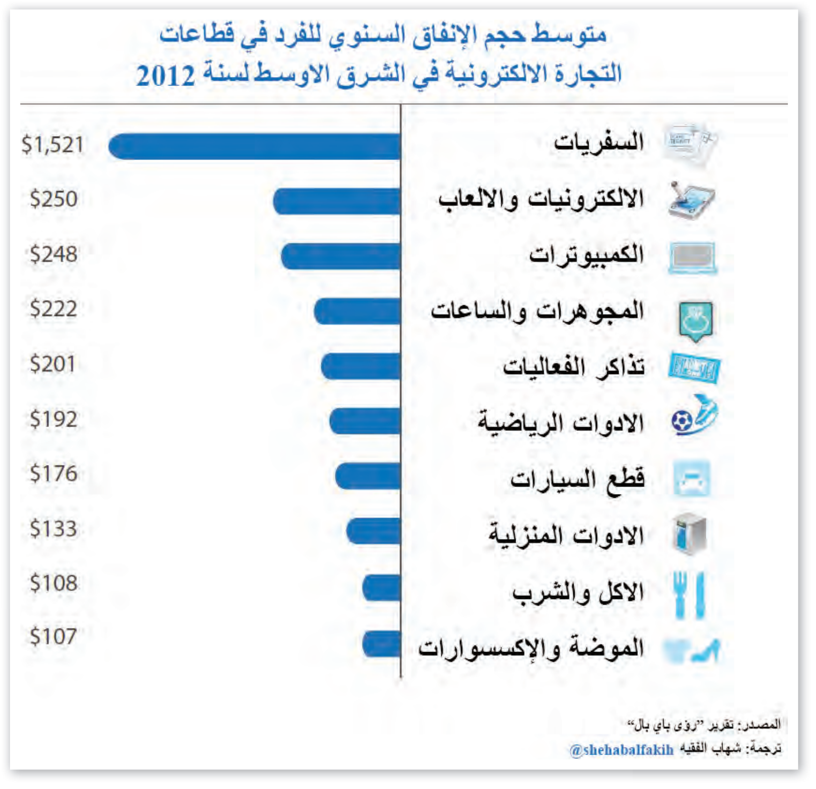
هذا بالاضافة الى ضرورة أن تفرض الحكومات الاسلامية ضوابط ورقابة صارمة على سوق الالعاب الالكترونية، ويجب أن يستوعب الوالدان دورهما تجاه الأبناء منذ الصغر في أن يضعوا على أساس ذلك برنامجاً خاصاً للتعامل مع هذه الالعاب، ويقوم هذا البرنامج على محورين:

(١) تاريخ الالعاب الالكترونية - مدخل لعلم اللودولوجي - كريم بهاء - موقع pens and books في ٢٠١٤/٤/١٤.

المحور العام: يشمل معرفة الابوين بالأسلوب الأمثل لتوفير التقنية الحديثة لأبنائهم، وذلك لا ينحصر بألعاب الفيديو وانما يعم كل التقنيات الاخرى مثل التلفزيون والحواسيب والاجهزة المحمولة، وبالذات ما يخص ساعات الاستخدام اليومية وطبيعة المحتوى الذي تقدمه، لتعويد الأبناء منذ صغرهم على الانضباط في التعامل مع هذه التقنيات.

المحور الخاص: يشمل معرفة الابوين بتأثيرات الالعاب الالكترونية وملاءمتها للمراحل العمرية، ليكونا مؤهلين لوضع رقابة دقيقة على نوعية العاب الفيديو التي يمارسونها فضلا عن مراقبة الزملاء الذين يلعبون معهم والاماكن التي يرتادونها لمزاولة هذه الألعاب.





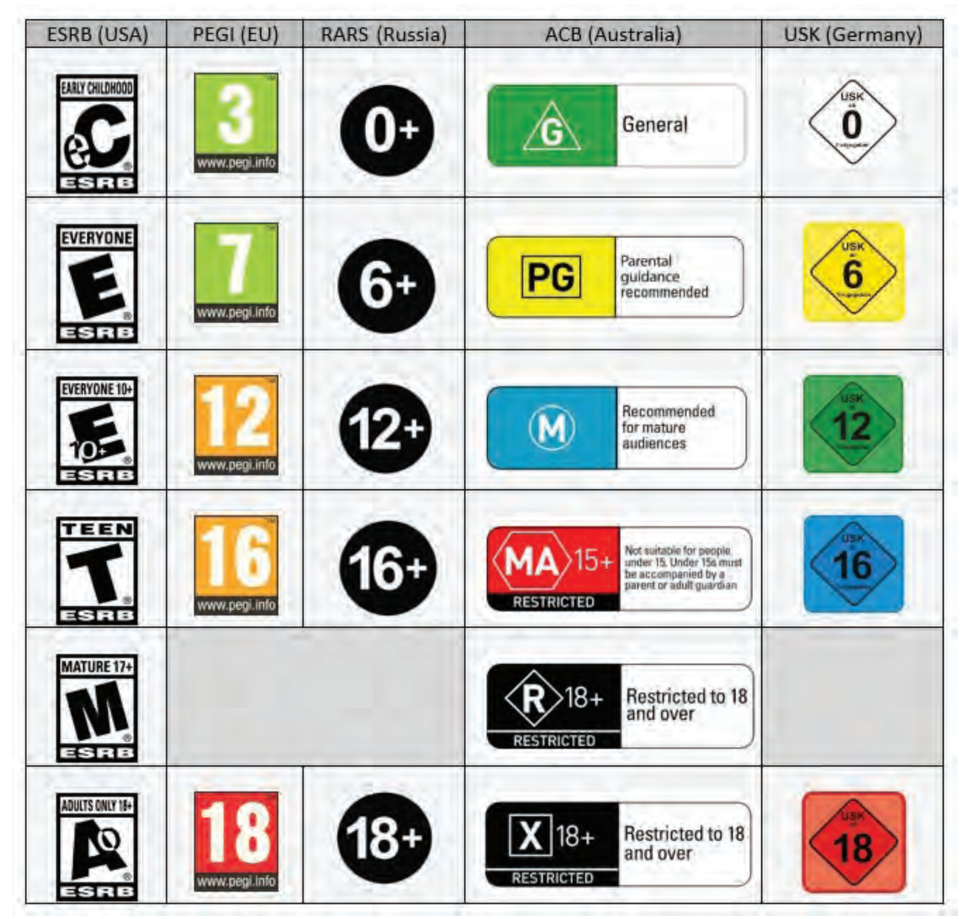
وإن نجاح هذا البرنامج يعتمد بشكل كبير على تنفيذه في المراحل المبكرة من عمر الانسان لكي يسهل بعد ذلك توجيهه عند كبره، لأن الملاحظ في المجتمعات الاسلامية اليوم هو أن الابوين يرسلان زمام الضبط للأبناء في طفولتهم ثم يشددون عليهم عند مرحلتي المراهقة والشباب، وهذا الاسلوب لا يعطي في الغالب إلا نتائج معكوسة، لأن المراهق أو الشاب - بخلاف الطفل- قلّما ينفع معه الإقناع بترك ما تعوّد عليه في طفولته، وعادة ما تبقى حالة الفوضى التي عاشها في مراحله الاولى ملازمة له في المراحل المتقدمة من عمره.

طبعا فان قيام الوالدين بدورهما في تعويد الاطفال على مراعاة الانضباط يحتاج الى تثقيفهما أولا بأهمية هذا الدور وكيفية ادائه، وهنا يأتي دور المؤسسات الدينية والثقافية، اذ على المبلغين ورجال التربية أن يقوموا بحملات توعية نشطة في هذا الصدد، وعلى المدارس أن تهتم بهذا الجانب أيضا، إذ يمكن للمعلم أن يلعب دورا فعالاً في توعية التلاميذ حول اهمية تقنين استخدام التقنيات بشكل عام ومع العاب الفيديو بشكل خاص.

وفي هذا الصدد ويحسن ان نورد ما ذكره الدكتور (علي الحكمي)[١] قائلاً: تعامل النشء في مجتمعنا مع الألعاب الإلكترونية لا يختلف عن تعامله مع التقنيات

(١) استاذ سعودي متخصص في علم النفس وخبير في التربية.

الأخرى أو كيفية إدارة الوقت أو الحياة، فمجتمعنا يعاني من ضعف الانضباط بل انعدامه في الكثير من الأحوال سواءً فيما نشاهده أو نقرأه، وحالة عدم الانضباط هذه هي التي أدت إلى الآثار السلبية للألعاب الإلكترونية على النشء والشباب وبالتالي على الأسرة والمجتمع، فالأوقات التي يقضيها الطفل أو الشاب - وحتى الراشد أحياناً- من النسب الأعلى عالمياً، وهذا له علاقة بارتفاع نسب السمنة وأمراض السكر والأمراض الأخرى المرتبطة بنمط الحياة غير النشط، كما أدت حالة عدم الانضباط إلى تعامل الصغار مع ألعاب ليست مناسبة لأعمارهم حتى لو أخذنا بالتصنيف الدولي وهو مبني على معايير لا تناسب مجتمعنا في جوانب مهمة منها، وبالتالي تعرضهم للتأثيرات الخطيرة للمحتوى السلوكي أو الفكري - التطرف والعنف وغيرها- وحالة عدم الانضباط أيضاً تجاوزت لعب الصغار الألعاب على



ESRB (USA)	PEGI (EU)	RARS (Russia)	ACB (Australia)	USK (Germany)
EARLY CHILDHOOD eC ESRB	3 www.pegi.info	0+	G General	USK 0
EVERYONE E ESRB	7 www.pegi.info	6+	PG Parental guidance recommended	USK 6
EVERYONE 10+ E 10+ ESRB	12 www.pegi.info	12+	M Recommended for mature audiences	USK 12
TEEN T ESRB	16 www.pegi.info	16+	MA 15+ RESTRICTED Not suitable for people under 15. Under 15s must be accompanied by a parent or adult guardian	USK 16
MATURE 17+ M ESRB			R 18+ RESTRICTED Restricted to 18 and over	
ADULTS ONLY 18+ AO ESRB	18 www.pegi.info	18+	X 18+ RESTRICTED Restricted to 18 and over	USK 18

أبرز الشعارات التي توضع على الالعاب الالكترونية لبيان ملاءمتها لأعمار اللاعبين

شبكة الإنترنت، والتواصل مع لاعبين من جميع أنحاء العالم، وبُعد الأسرة عن هذا كله وعدم وعيها بتأثيراته وبالتالي عدم قيامها بالحد الأدنى من التدخلات الوقائية أو العلاجية.

إذا أردنا إذا أن نحد من الآثار السلبية للألعاب الإلكترونية فيجب أن نتعامل مع أساس المشكلة وليس مع أعراضها، والأساس في ذلك هو: أننا مجتمع غير منضبط في الكثير من شؤونه، والتعامل يجب أن يكون في تعزيز الانضباط على عدة مستويات:

على المستوى المجتمعي، فسوق الألعاب الإلكترونية غير مقنن بشكل جيد، وجميع الألعاب يمكن أن يشتريها الطفل من أي محل، وحتى من البائعين المتجولين من دون أدنى ضوابط.

وعلى المستوى المؤسساتي أيضاً يأتي دور التعليم الذي يجب أن يتوجه لغرس الانضباط وثقافته قبل أن يتجه لتعليم المعرفة المجرّدة ويعطي ذلك الاهتمام الذي يستحقه، فالانضباط سينعكس إيجاباً على تحصيل الطالب وعلى سلوكه وعلى انضباطية المجتمع لاحقاً.

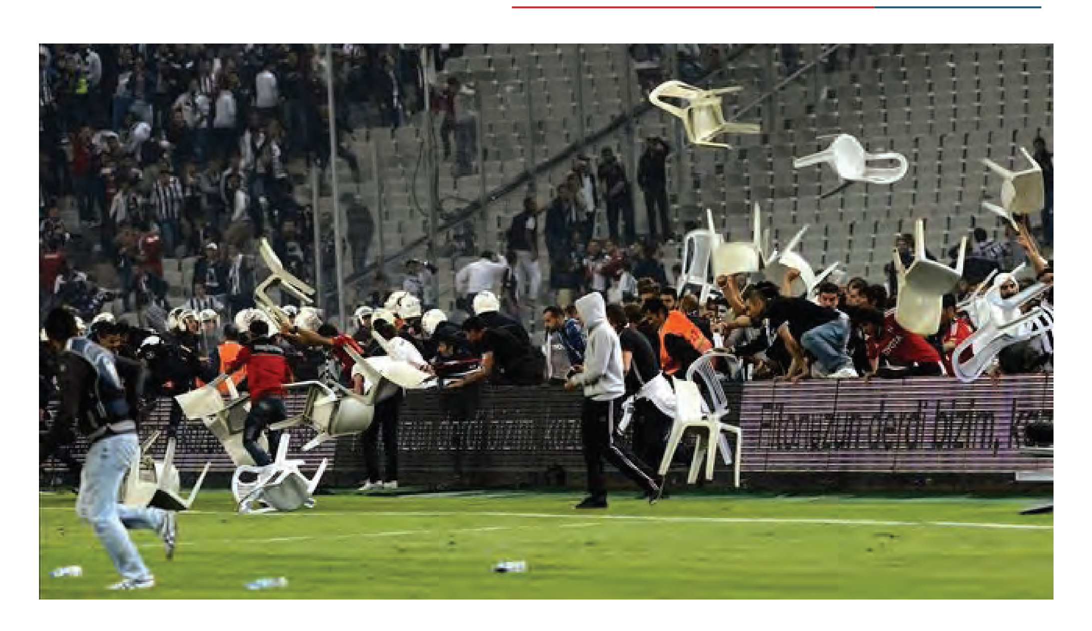
وعلى المستوى الأسري نحتاج لبرنامج وطني موجّه للآباء والأمهات يعزز المهارات التربوية لديهم، ويساعدهم على تحقيق انضباطية أعلى وعلى قيامهم بدورهم الفعّال في غرسها في أطفالهم.

قيام المستثمرين بدور فعال في تأسيس صناعة محلية بمنظور ومواصفات عالمية للألعاب الإلكترونية، ومساحة المنافسة المتاحة كبيرة جداً، ولكننا نريد أن نستفيد من عقول النشء والشباب في ذلك الاستثمار الناجح فلديهم كثير من الإبداع والابتكار ليقدموه[١].

---

(١) ينظر: (الوسائط الخفية للإعلام والاتصال: هيمنة الألعاب الإلكترونية) - مركز أسبار للدراسات والبحوث والاعلام- التقرير الشهري/ شهر نوفمبر ٢٠١٥.

خامساً: الشباب والرياضة



لا يختلف اثنان على أهمية الرياضة في حياة الشاب، لأنها تحمل سمة الحركة والنشاط والعناية بالصحة البدنية، ولها دور رئيس في ابعاد شبح الكسل عنه وهو في مقتبل عمره.

وعلى الرغم من تعدد انواع الرياضة البدنية وتطورها واستحداث كثير منها، الا ان هنالك انواعاً معينة من الرياضات بقيت هي الاشهر نظراً لخصائص مميزة فيها يجعلها تستقطب اهتمام طيف واسع من الشباب، كرياضة كرة القدم التي تعد من اقدم انواع الألعاب التي مارسها البشر[١] وتعد اليوم أحد سمات عصر العولمة لسعة شهرتها.

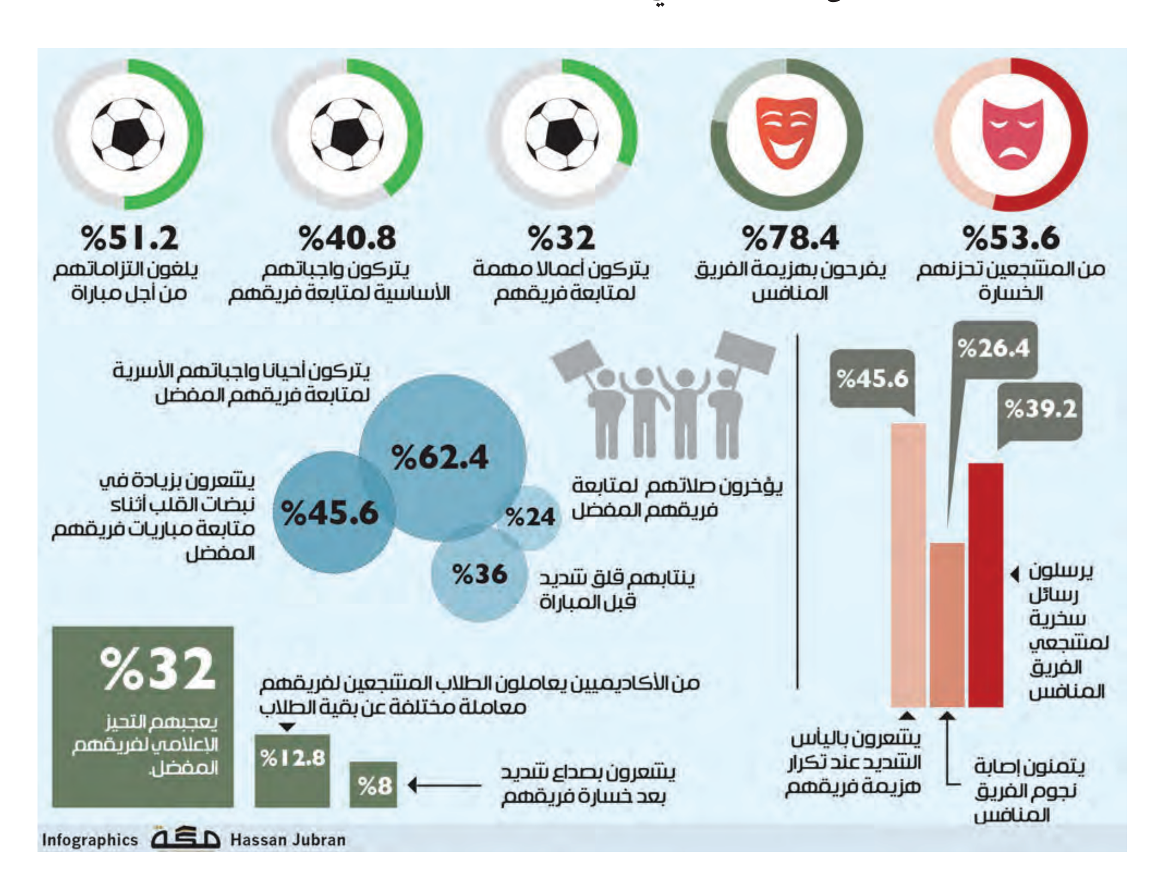
ولم يقتصر ارتباط كثير من الشباب بلعبة كرة القدم على مستوى مزاولتهم لها حسب، وانما اتخذ شكلا آخر من اشكال الارتباط، وهو تشجيعهم للفرق الشهيرة التي تزاول هذه اللعبة، سواء كان هذا التشجيع على نطاق ضيق يشمل الدوريات المحلية أم عالميا على مستوى البطولات المحترفة.

(١) مارس البشر لعبة كرة القدم منذ العهدين اليوناني والروماني (ينظر: الموسوعة الحرة بعنون كرة القدم).

ولا ريب في أن تشجيع فرق كرة القدم يحمل في طياته كثيراً من الاثارة والتشويق، ولكن لا يمكن ان يعد بحد ذاته نوعا من انواع الرياضة خلافا لما هو مشهور بين اوساط الجماهير، إذ يطلقون على مشجع لاعبي كرة القدم لقب «رياضي» تماما كما يطلقونه على الذي يمارس اللعبة، لذا لا غرابة في ان ندرج مسألة تشجيع فرق كرة القدم ضمن اطار الرياضة لاندماج العنوانين في المخيال الجماهيري.

وإن مزاولة رياضة كرة القدم في الاطار العام لا يُنتج أزمة في سلوك الشباب، بخلاف مسألة تشجيع فرق كرة القدم كما سوف نبين لاحقاً، لذا فسوف يكون كلامنا مقتصراً على جانب التشجيع وما يرتبط به من سلبيات جرياً على منهج هذا البحث الذي يهتم بدراسة الازمات التي يمر بها الشباب المسلم في عصر العولمة.

ان الانعكاسات السلبية التي أصيب بها الشباب من مشجعي فرق كرة القدم في البلدان الاسلامية تتمثل اجمالا بالآتي:



١ - تبدّل واقع كرة القدم في نظر المشجعين: من الوجوه السلبية التي نمت مع تشجيع الشباب لفرق كرة القدم هو تبدل نظرتهم لها من كونها مجرد رياضة الى كونها رمزاً يمس جوانب حساسة عديدة من حياة البشر، مثل السياسة والدين والعلاقات الاجتماعية، لذا لا غرابة في ان تجد مشجعو هذا الفريق أو ذاك يعدون فوز فريقهم انتصارا سياسيا اذا كان الفريق الخصم ينتمي الى حكومة معادية، أو انتصارا دينيا اذا كان افراد الفريق الخصم ينتمون الى عقيدة مخالفة، وقد يعدونه انتصارا ديموغرافيا اذا كان الفريق الخصم ينتمي الى طائفة قومية مغايرة وهكذا.

ومن طريف ما يذكر في هذا الصدد ما نشره الكاتب (علي المعموري) في صحيفة (المنيتور) حول ظاهرة تشجيع جماهير مدينة النجف العراقية لنادي النجف الرياضي في عهد النظام البعثي في تسعينات القرن المنصرم، إذ يقول: (تلك الأيام كانت كل مباراة مع نادي الزوراء تنتهي بشجار وشتيمة يبدأ أولها في النجف وينتهي آخرها في العوجة(١) مارة بالقصر الجمهوري، هذا هو الواقع.. كان المخيال الشعبي ببساطة يعد نادي الزوراء نادي السلطة: نادي «صدام» و»عدي» والمباراة معه هي مباراة وجودية، معركة بين النجف وما تمثله وبين صدام وما يمثله، ببساطة شديدة كانت كل مباراة تمثل احد تمظهرات الصراع بين السلطة والمجتمع، وكان حكم المباراة يتلقى سباباً يبدأ من الأهزوجة الشهيرة: (هيه هيه هذا الحكم ناقص) وتمتد إلى مستويات رهيبة من القدرة البلاغية الفائقة على صياغة الشتائم النابية شعراً، ومهما كانت النتيجة فإن جمهور فريق النجف كان سيعلن أن الحكم تحيّز لفريق السلطة)(٢).

ان تبدل النظر لكرة القدم ادى الى اعطاء هذه الرياضة حجما اكبر من حجمها الطبيعي، وهو امر يؤدي في النهاية الى مساوئ عدة اهمها التعصب الشديد في تشجيع فريق كرة القدم من دون منفعة تذكر.

---

(١) العوجة: قرية تابعة لمحافظة تكريت، وهي مسقط رأس الرئيس العراقي المخلوع صدام حسين.

(٢) الرياضة في مخيال السياسة والدين- علي المعموري- صحيفة المنيتور- نشر بتاريخ ٢٠١٦/١٢/١٧.

٢- الهدر المالي لمشجعي كرة القدم: تملك شبكة قنوات (بي إن سبورت beIN SPORTS) القطرية الحق الحصري بنقل وقائع البطولات الرياضية لمنطقتي الشرق الاوسط وشمال افريقيا، سواء من خلال البث الفضائي أم من خلال الانترنت، إذ تمتلك حقوق بث بطولات كرة القدم الكبرى مثل كأس العالم ودوري ابطال أوربا والدوري الانجليزي والدوري الايطالي والدوري الاسباني والدوري الالماني وغيرها[١].



وتجني هذه الشبكة أرباحاً هائلة من هذا البث، فعلى مستوى العراق فقط فان سعر الاشتراك السنوي الواحد بباقتها الرياضية الاكثر مبيعا (توب سبورت Top Sports) يبلغ ٣١٠ دولارات أي ما يعادل ٣٨٧,٠٠٠ دينارا عراقيا تقريباً، يضاف اليه سعر جهاز الاستقبال الفضائي الخاص الذي تتراوح اسعاره بين (٧٥ – ٤٧٠) الف دينار[٢]، مما يشكل عبئاً مالياً يتحمله الشاب

---

(١) ينظر: الموسوعة الحرة- بي أن سبورتس العربية.

(٢) ينظر ما نشره موقع شركة نور شيلان الموزع الرئيس لقنوات بي ان في العراق تحت عنوان (الاسعار الخاصه بشركتنا لجميع اشتراكات beIN SPORTS).

في عصر تفشي البطالة والفقر، وهو في الوقت نفسه يراكم الارباح الخيالية في ارصدة القنوات الاعلامية التي تستثمر تعلق الشباب بتشجيع فرق كرة القدم الشهيرة، وان التنافس الشديد بين هذه القنوات يفصح عن حجم العائدات المالية التي تجنيها من هذا البث، هذا التنافس الذي بلغ حداً جعل من كلفة بث مباراة واحدة من الدوري الانجليزي الممتاز مثلا تبلغ ٧ ملايين جنيه استرليني، أي ما يعادل ٩,٢٨٠ مليون دولار امريكي للمباراة الواحدة[١].

وعلى هذا الاساس سعت دول الخليج في حصارها السياسي الاخير ضد قطر الى قطع هذا الشريان الاقتصادي الذي تؤمنه شبكة (بي إن)، فافتتحت السعودية باقة قنوات رياضية لنقل وقائع الدوريات العالمية ضمن شبكة أسمتها (بي أوت كيو beoutQ) ويرمز حرف «Q» باللغة الإنجليزية إلى قطر، ما يعني هذا الاسم اخراج قطر من احتكار هذا البث[٢].

٣- تعصّب المشجعين في دعم فرقهم: من أهم الوجوه السلبية في هذا الصدد هو تحول الشباب من مرحلة التشجيع الطبيعي الى مرحلة التشجيع المتعصّب، الذي يجر كثيراً من السلبيات الاجتماعية كالضغينة والعداوة التي قد تصل في بعض الاحيان الى الاعتداء اللفظي والجسدي وتخريب الممتلكات، واحد اشهر امثلة هذا التعصب هو انقسام الشباب في البلدان العربية والاسلامية على اساس تشجيعهم لأبرز فريقين من الدوري الاسباني هما (ريال مدريد) و(برشلونة).

تقول الكاتبة الفلسطينية (ليالي درويش): (عندما يتعلق الأمر بالتعصب فإن العرب بارعون في ذلك، لدرجة أن المشاجرات بعد أي مباراةٍ تجمع بين الفريقين- الريال وبرشلونة- باتت أمرًا لا بد منه، أو أن يجوب أنصار الفريق المنتصر شوارع مدنهم وقراهم بالسيارات والأعلام للاحتفال بالنصر، أو أن يُعرف البعض على أنفسهم

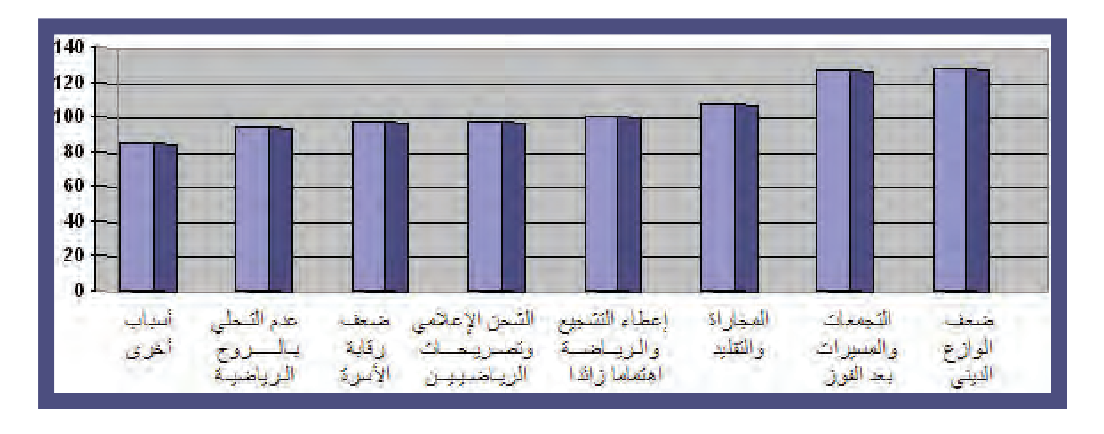
(١) حقوق بث مباريات الدوري الإنجليزي تتجاوز ٤ مليارات إسترليني- صحيفة الشرق الاوسط- نشر بتاريخ ٢٠١٥/٢/١١.

(٢) ينظر: قنوات beoutQ السعودية.. هل تعدَّت على حقوق بث «البنفسجية»؟- صحيفة الخليج اون لاين- نشر بتاريخ ٢٠١٧/٨/٧.

بصفتهم «مدريديين» أو «برشلونيين» بحماسةٍ لا تقل عن حماسة الانتماء لقريتهم أو مدينتهم أو لحزبهم السياسي، كل هذا بات طبيعي الحدوث رغم كثرة الانتقادات التي قد تحاسب أنصار الفريقين على هذه الحماسة التي يعتبر الكثيرون أن لا داعي لها)[١].

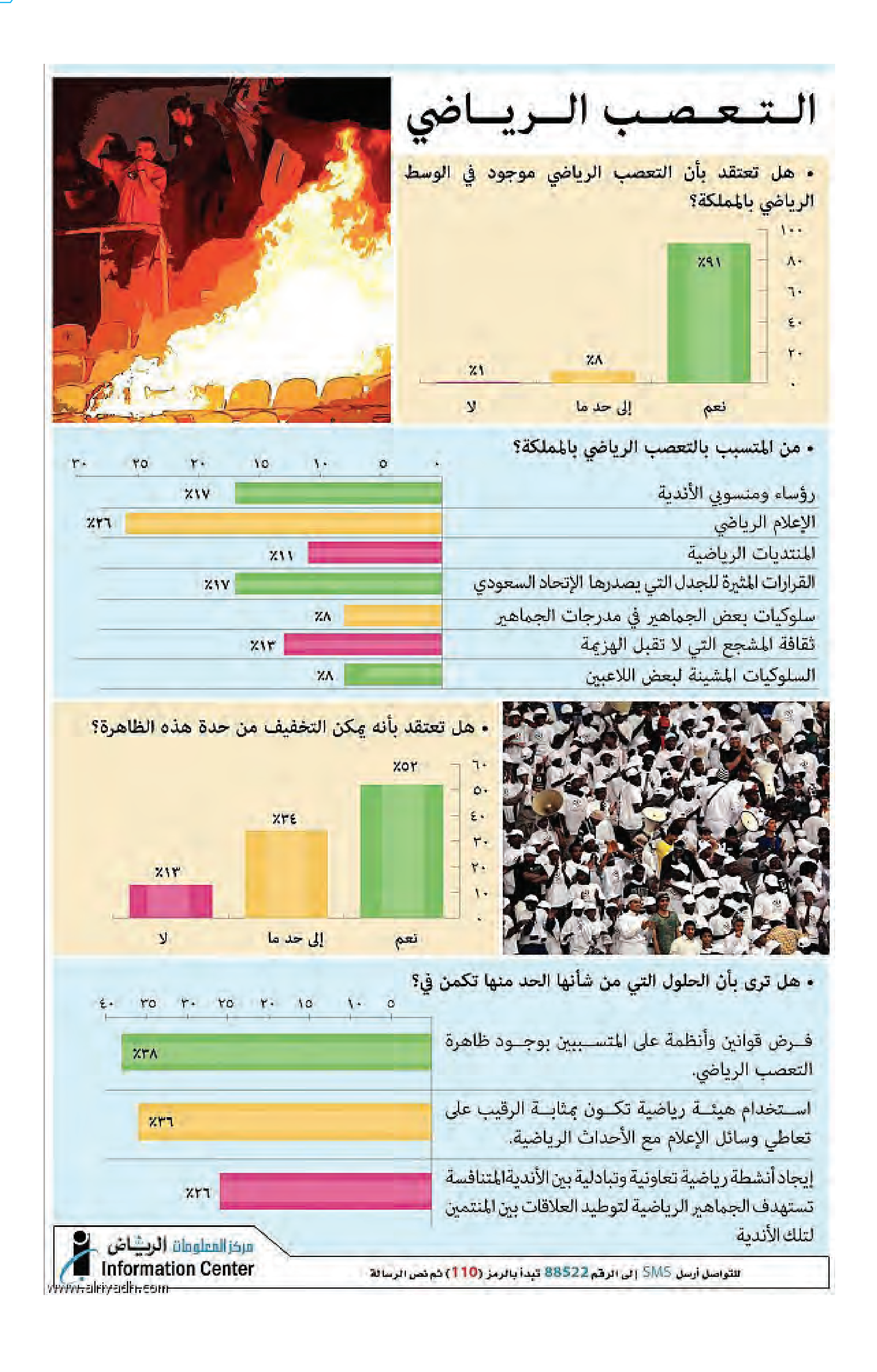
من جانبه يقول الكاتب الاردني (محمود الحاوي): (أصبحنا نشاهد على الدوام معارك طاحنة في منصات التواصل الاجتماعي بين الجماهير العربية المؤيدة لهذه الأندية حتى يصل البعض منهم حد الشتيمة والعداء تجاه الآخر، وفي أحيان كثيرة نشاهد نقاشاً يتحول إلى جدال وينتهي بخلاف ليتطور لاحقاً لسقوط أخلاقي في مستنقع التعصب الذي وصل حدود غير مسبوقة في عالمنا العربي...اننا نشعر أن بعض الجماهير العربية متعصبة لهذا النادي أو ذاك أكثر من المشجعين المواطنين لتلك الأندية، وربما لا تمتلك الجماهير المواطنة ذلك القدر من التعصب كالذي عند أنصار الفريق في المنطقة العربية)[٢].

وعلى ذات الصعيد يشير اللاعب العراقي (صالح سدير) الى حال المشجعين العراقيين لأبطال الدوري الاسباني قائلا: (ان بعض المشجعين العراقيين اصبحوا اكثر من المشجعين الاسبان في تعصبهم، فالرياضة فن وذوق وكذلك التشجيع،



(١) الهوس بالريال والبرشا..ما القصة؟- ليالي درويش- صوتultra- نشر بتاريخ ٢٠١٧/٤/٢١.

(٢) هل تعصب المشجع العربي لناديه الأوروبي مبالغ فيه؟- محمود الحاوي- موقع سبورت ٣٦٠- نشر بتاريخ ٢٠١٦/١١/٣.


التعصب الرياضي
• هل تعتقد بأن التعصب الرياضي موجود في الوسط الرياضي بالمملكة؟
نعم ٪٩١
إلى حد ما ٪٨
لا ٪١
• من المتسبب بالتعصب الرياضي بالمملكة؟
رؤساء ومنسوبي الأندية ٪١٧
الإعلام الرياضي ٪٢٦
المنتديات الرياضية ٪١١
القرارات المثيرة للجدل التي يصدرها الإتحاد السعودي ٪١٧
سلوكيات بعض الجماهير في مدرجات الجماهير ٪٨
ثقافة المشجع التي لا تقبل الهزيمة ٪١٣
السلوكيات المشينة لبعض اللاعبين ٪٨
• هل تعتقد بأنه يمكن التخفيف من حدة هذه الظاهرة؟
نعم ٪٥٢
إلى حد ما ٪٣٤
لا ٪١٣
• هل ترى بأن الحلول التي من شأنها الحد منها تكمن في؟
فرض قوانين وأنظمة على المتسببين بوجود ظاهرة التعصب الرياضي. ٪٣٨
استخدام هيئة رياضية تكون بمثابة الرقيب على تعاطي وسائل الإعلام مع الأحداث الرياضية. ٪٣٦
إيجاد أنشطة رياضية تعاونية وتبادلية بين الأندية المتنافسة تستهدف الجماهير الرياضية لتوطيد العلاقات بين المنتمين لتلك الأندية ٪٢٦
مركز المعلومات الرياض
Information Center
www.alriyadh.com
للتواصل أرسل SMS إلى الرقم 88522 تبدأ بالرمز (110) ثم نص الرسالة

والذي اصبح في الشارع العراقي عبارة عن حالات شجار وصلت في بعض الاحيان الى اطلاق العيارات النارية واحيانا الى القتل)[١].

وهذا ما حدث فعلا، إذ أقدم احد الشباب العراقيين المتعصبين لفريق (برشلونه) على ذبح صديقه المشجع لنادي (ريال مدريد) في حادثة مروعة شهدتها احدى مقاهي (الجعارة) في منطقة المدائن العراقية نتيجة للخلاف حول أداء الفريقين[٢]، وهذا الحال يوصلنا الى تساؤل محيّر مفاده: لماذا يتعصب الشباب في دولنا العربية والاسلامية في ظاهرة تشجيعهم لفرق كرة القدم؟

وللجواب عليه قد يتطلب الأمر منا العودة قليلا الى جذور القضية، أي دراسة طبيعة النفس الانسانية وتفاعلاتها مع البيئة المحيطة بها لفهم جذور هذا التعصب.

مقاربة نفسية لفهم أسباب التطرف في التشجيع: من وجهة نظر نفسية ندرك أن الانسان بطبيعته الأولية ميّال الى الانتماء، أي الانتماء الى جماعة معينة، فالإنسان مخلوق اجتماعي بطبعه ويحتاج الى من يأنس به[٣]، وأصل حاجة الانسان الى الانتماء لجماعة يعود الى قلّة الثقة بالنفس وضعف الاستقلال في الشخصية، فالانتماء الى جماعة يجبر له شعوره بهذا النقص، لذلك نجد انه كلما انخفض مستوى شعوره بالفردية او الاعتداد بالنفس تزايدت عنده الرغبة بالانتماء الى جماعة يسير في ركبها ويتحرك ضمن اطارها، فيخضع سلوكه شيئا فشيئاً الى ما يسمى بـ «سلوك القطيع» وهي نظرية علمية صاغها أول مرة عالم الاحياء «وليم هاملتون»[٤].

فسلوك القطيع أو تأثير العقل الجمعي (يعرف بالأثر الاجتماعي المعلوماتي) هو ظاهرة نفسية تفترض فيها الافراد أن تصرفات الجماعة في حالة معينة تعكس سلوكاً

(١) ينظر: مشجعو برشلونه والريال.. غياب من الدوائر والمدارس ومشاكل عشائرية- يوسف المحمداوي- صحيفة المدى- نشر بتاريخ ٢٠١٤/٣/٢٦.

(٢) ينظر: مشجع عراقي لبرشلونة يذبح صديقه المدريدي- موقع قناة الميادين- نشر بتاريخ ٢٠١٣/٣/١٣.

(٣) يرى اهل اللغة البصريون ان اسم (انسان) مشتق من الأنس بمعنى الألفة.

(٤) نظرية القطيع أو (سلوك القطيع)- موقع الفا بيتا- نشر بتاريخ ٢٠١١/٩/١٧.

صحيحاً[1]، وهو انعكاس عن فقدان هؤلاء الافراد للاستقلال في الشخصية والنضوج الذاتي في تقييم المواقف، لذا نراهم يميلون الى الانتماء للجماعة وتقليد سلوكها، وسيكونون بطبيعة الحال مخلصين في هذا الانتماء[2] فيدافعون عن الجماعة التي ينتمون اليها لشعورهم بأن قوة الجماعة تعني قوة جميع الافراد المنتمين اليها، ومن هنا ينمو التعصب للجماعة، لشعور المنتمين بأن التعصب سيدفع الضعف عن الجماعة ويبقيها قوية.

وحيث ان شبابنا في الغالب يعانون من مركّبات نقص كثيرة اهمها فقدان الاستقلال في الشخصية، فإننا نجدهم دائماً يبحثون عن جماعات ينتمون لها ويتعصبون اليها.

وهنا تجدر الإشارة الى اهمية التفريق بين نوعين من الانتماء: النوع الاول هو انتماء الفرد الى مبدأ معين تجتمع عليه جماعة، والنوع الثاني هو انتماء الفرد الى جماعة تتبع مبدأً معيناً.

فالنوع الأول انتماء ممدوح يعبر عن اتّباعٍ واعٍ لعقيدة مقصودة بذاتها ويكون الانخراط في الجماعة التي تتبعها نتيجة ثانوية، أما النوع الثاني من الانتماء ففيه يكون مجرد الانتماء للجماعة هو الهدف بحد ذاته، فهو في الحقيقة اتباع لسلوك القطيع الذي يتشكّل وفقاً لما تفرضه الظروف الاجتماعية او السياسية او الاقتصادية للفرد.

ويمكن ان يتعدد انتماء الفرد – بنوعه الثاني- الى جماعات مختلفة في الوقت نفسه، فسياسياً تراه ينتمي الى هذا الحزب ودينياً ينتمي الى هذه الطائفة واجتماعياً ينتمي الى تلك القبيلة وهكذا، فضلا عن امكانية انخراطه في انتماءات أكثر محدودية مثل الانتماء الى جماعة الاشقياء او جماعة المُشجّعين.

ووفقاً لهذه المقاربة، يمكن ان نفسّر اقبال الشباب على الانتماء لجماعات مشجعي

---

(١) ويكيبيديا- العقل الجمعي

(٢) إن الاشخاص الذين يؤكدون بشدة على الانتماء يميلون أن يكونوا اعضاء فريق داعمين ولكن اقل فاعلية في المناصب القيادية (ينظر: الموسوعة الحرة(ويكيبيديا)- حاجة إلى الانتماء) .

فرق كرة القدم والتعصب في هذا الانتماء.

الجدير ذكره ان هنالك طيفاً غير قليل من الشباب انما يكون تشجيعهم لهذا الفريق او ذاك على اساس اعجابهم بشخصية لاعب معين ومهارته فيتخذونه كقدوة يتعلقون بها، وينسحب هذا التعلق عادة الى تشجيع الفريق الذي ينتمي اليه ذلك اللاعب.

ويمكن عد ظاهرة تشجيع فرق كرة القدم ظاهرة متوارثة ايضاً سببها تقليد الجيل الأصغر سنا للكبار، إذ ان سلوك الكبار في الانتماء الى جماعة مشجعي فرق كرة القدم يدفع الاطفال والمراهقين الى الانخراط في هذا الانتماء بدافع التقليد، وقد يجدون تشجيعاً من الكبار على ذلك، مما يدفعهم الى الاحساس بأهمية هذا الانتماء والتحدث عنه بفخر أمام زملائهم الاخرين، وذلك يؤثر بدوره على اقرانهم ويزيد من الظاهرة على غرار المتتالية الهندسية.

بقي أن نذكر الاسباب التي تدفع الشباب في دولنا العربية والاسلامية الى تشجيع الفرق الاجنبية التي لا تمت اليهم بصلة جغرافية او ثقافية، فهذه الاسباب تتمثل غالباً بما يأتي:

أ- جودة اللعب الذي يؤديه ابطال الفرق الشهيرة مثل فريقي ريال مدريد وبرشلونة، وذلك بسبب حجم الدعم المالي الهائل الذي ينفقه القيّمون على هذه الفرق لتطوير ادائها، لذلك نجد ان أمهر اللاعبين عالمياً يمارسون اللعب فيها.

ب- التغطية الاعلامية والاعلانية القوية التي تروج لهذا الدوري، فتخرجه من حيز المحلية لتحوله الى ظاهرة عالمية تشد اليها اهتمام الشباب حول العالم.

وتأكيدا على تأثير هاتين النقطتين، فان الدوري السعودي تمكن من ان يلفت انظار كثير من المشجعين على الصعيد العربي والعالمي، لأن القائمين على هذا الدوري ينفقون أموالا كبيرة لتحسين اداء لاعبيه والحرص على الترويج له بشكل واسع(١).

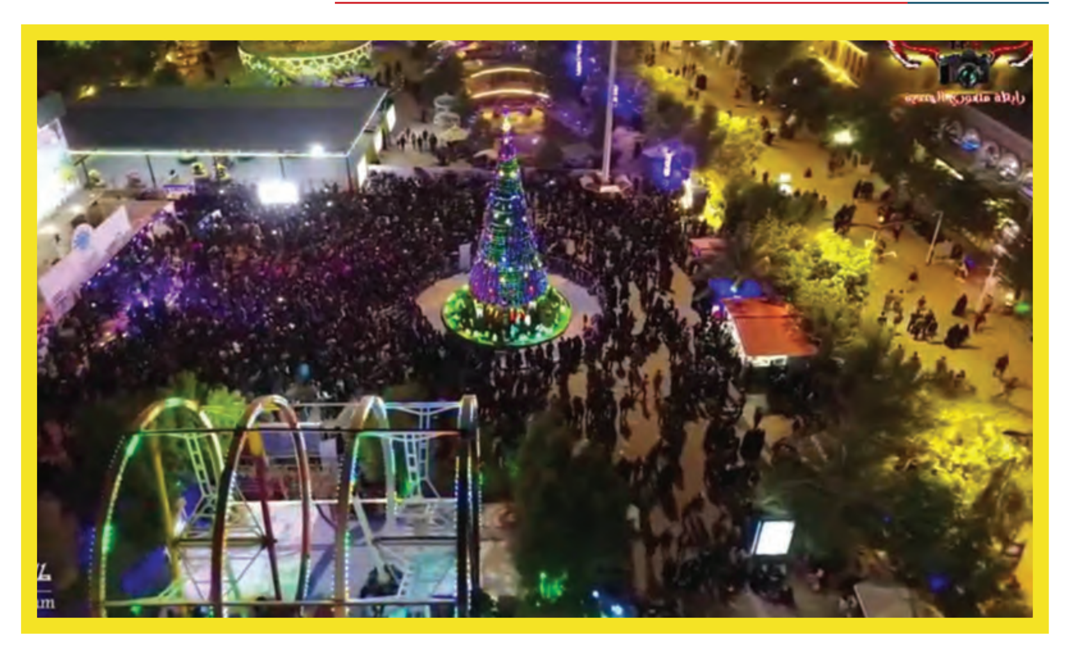
(١) ينظر: (ترتيب أفضل الدوريات العربية)- محمد ايهاب شايبي- موقع StarAfrica - شر بتاريخ ٢٠١٦/٨/٧.

إن الحل الامثل للتقليل من سلبيات ظاهرة التشجيع لفرق كرة القدم يكمن في تقوية جانب الاستقلالية في شخصية الشاب المسلم، ويكون ذلك من خلال الاساليب التربوية الصحيحة التي يتلقاها في البيت والمدرسة، فالثقة بالذات والاعتداد بالنفس ضروري لدفع كل خضوع لسلوك القطيع والبحث عن الانتماء للجماعات.

من جانب آخر على وسائل الاعلام أن تؤدي دورها في توعية الناس بالاسباب الحقيقية التي تقف وراء انخراط الشباب ضمن جماعات المشجعين والتعصّب لها، فتطرحها بأسلوب علمي مقنع ينبّه الشاب على انتقاء الجماعة التي ينوي الانتماء اليها ان كان لابد له من الانتماء، وذلك بتجنب الجماعات التي تشكلت على اساس روابط لا قيمة لها في الوجود الانساني مثل رابطة مشجعي الفرق الرياضية، فضلا عن مناقشة اعطاء رياضة كرة القدم أكبر من حجمها، فهي مجرد رياضة لا ينبغي أن تتداخل مع مجالات اخرى من الحياة، فذلك يعزز الخلافات الاجتماعية ويؤدي الى نشوب النزاعات التي لا طائل تحتها.



سادساً: الشباب والاحتفالات العامة



من الطبيعي أن يحيي المجتمع الاسلامي ذكرى بهيجة تعود عليه في كل سنة، فينعكس هذا الاحياء على ابراز الزينة وتبادل التهاني واشاعة الفرح العام، ولكن المعتاد في مثل هكذا أمر أن ترتبط تلك المناسبة بالمجتمع الاسلامي تاريخياً، سواء كان هذا الارتباط له بعد ديني أو قومي او محلي، بحيث يعبر هذا الاحتفال عن اعتزاز المسلمين بتراثهم الذي ينتمون اليه كأمة لها شخصيتها المستقلة. أما ظاهرة احياء المجتمعات الاسلامية لمناسبات لا ترتبط بها تاريخياً فهي مسألة جديدة ظهرت بواكيرها في عصر الانتداب[١] بعد الحرب العالمية الأولى، إذ عملت بعض حكومات الدول الاسلامية على اقامة احتفالات بذكرى مناسبات غريبة، ففي العراق مثلاً بدأ الاحتفال بعيد رأس السنة الميلادية منذ العهد الملكي في عام[٢] ١٩٢١.

(١) الانتداب: هو تمكين دولة تدعي مساعدة البلدان الضعيفة المتأخرة على النهوض وتدريبها على الحكم، حتى تصبح قادرة على أن تستقل وتحكم نفسها بنفسها، وقد وجدت في هذه الفكرة الدولتان الغربيتان فرنسا وإنجلترا ضالتهما المنشودة لتغليف مطامعهما الاستعمارية بهذا القالب الجديد، الذي أتاح لهما احتلال الأقطار العربية المنفصلة عن الدولة العثمانية بحجة الوصاية على شعوبها (ويكيبيديا- انتداب).

(٢) ينظر: (ماذا يعني عيد رأس السنة؟)- إلسي مِلكونيان- موقع ارفع صوتك- نشر بتاريخ ٢٠١٦/١٢/٣١.

ومن الطبيعي ان يكون لهذا الاجراء الحكومي تأثير على الجمهور المسلم وبخاصة الشباب، لكن تأثيره كان سطحياً بحيث لم يتجسد بشكل واضح على السلوك العام، ولم يؤدِ بأي حال الى أن تنمو هذه المناسبات كسلوك طوعي بين الشباب المسلم كما يحدث اليوم، إذ ان مناسبات غربية مثل (رأس السنة الميلادية) وعيد الحب (فلنتاين) قد بدأت توازي - من حيث الاهتمام - الاعياد الاسلامية لدى عامة الشباب في الدول الاسلامية.

طبعا فان هذه الظاهرة تمثل نتيجة من نتائج تمكّن العولمة من تغيير بوصلة الشباب المسلم من الداخل، ففي الوقت الذي لم تعد الحكومات فيه تعبأ كثيرا بإحياء هذه المناسبات، نجد أن الجماهير المسلمة – الشباب بالذات- يحيونها طوعيا، ولم يعد هذا الاحتفال ينحصر بالأفراد أو الجماعات على نطاق ضيق، بل بدأ الشباب يميلون الى تحويله الى مظاهر عامة ينظمها افراد ويشارك فيها المئات في مراكز المدن الاسلامية بشكل خاص.

ويبدو ان هنالك اصرارا من بعض المنظمات الشبابية على احياء مثل هذه المناسبات في المدن التي تحمل نوعا من الرمزية الدينية، مثل مدينتي النجف وكربلاء اللتين لهما عمق ديني كبير لدى ملايين المسلمين، يقول الكاتب (مصطفى سعدون) في مقال له نشره موقع (رصيف ٢٢) الالكتروني: (لا تكتسي أسواق مدينة النجف العراقية عادة الأخضر والأحمر في موسم عيد الميلاد، وحين أقامت مجموعة ناشطين مدنيين عام ٢٠١٣ احتفالاً بسيطاً برأس السنة فيها وزينت شجرة يتيمة في شارع الروان واستضافت عوائل مسيحية لمشاركتها الاحتفال، كثر الجدال في المدينة وثار نقاش بين السكان.

تلك المدينة العراقية التي تضمّ مرقد الإمام علي وأكبر مقبرة في العالم مقبرة وادي السلام التي ترقد فيها جثث الملايين لا تحتفل عادة برأس السنة والميلاد، ولم يتجرأ أحد في محافظة النجف -وهي بمثابة مدينة الشيعة المقدسة ومكان إقامة أعلى

مرجع ديني شيعي في العالم وهو علي السيستاني- على القيام بأي نشاط أو فاعلية يعتبرها البعض «تُخالف» الشريعة الإسلامية في الماضي، لكن المشهد اختلف خلال السنوات الأربع الأخيرة وقد كان هذا العام أكثرها وضوحاً.

ففي الأيام الأخيرة من عام ٢٠١٧ في النجف، كان الوضع مختلفاً عن السنوات الثلاث الماضية: الشجرة اليتيمة التي وُضعت عام ٢٠١٣ صارت الآن في كل مكان والذين رفضوا هذا الاحتفال سابقاً أصبحوا ضمن المحتفلين هذه المرة، ولم يكن الفرق بين شارع الروان في محافظة النجف وشارع الكرادة الشهير في بغداد الذي يتزين في موسم الأعياد بالزينة كبيراً جداً الأسابيع الماضية، على عكس سنوات كثيرة من حيث أجواء بيع أشجار الميلاد ودُمى بابا نويل وملابسه الحمر)[1].



من جانبها شهدت كربلاء مطلع العام ٢٠١٨ اقامة أشجار ضخمة لعيد رأس السنة واحياء حفلات غنائية فيها بهذه المناسبة، وهي ممارسة تتم لأول مرة بهذا الطابع العام في مدينة يطلق عليها أنها «مقدسة» عرفياً ورسمياً، إذ إنّ مجلس محافظة كربلاء

(1) (في مدينة النجف العراقية: أشجار الميلاد صارت تُباع في الأسواق)- مصطفى سعدون- رصيف-22 نشر بتاريخ 2/1/2018.

أقرّ بالإجماع في سنة ٢٠١٢ على إصدار قانون قدسية كربلاء المرقم (١١١) يتضمن منع المظاهر التي تتعارض مع النظام والآداب العامة في شوارع المدينة, وعدم الجهر بالغناء والإفطار وغيرها من المظاهر التي لا تتلاءم وطبيعة المدينة الدينية وقدسيتها.

هذا الواقع ينم عن ارتدادات ثقافية للعولمة صار لها اليوم صدى عميق في الشارع الاسلامي، إذ أخذت تتحدى العرف الديني بكل جرأة تشمل اكثر الحواضر الاسلامية التزاما بالمظاهر الدينية، مستغلة عناوين حرية التعبير والانفتاح الثقافي وما أشبه ذلك.

وقد أشرنا في موضوع الموضة الى خطأ هذه الدعوى باعتبار ان الذوق العام حق من الحقوق الاجتماعية لا يجوز خرقه بأي حال على صعيد التشريع القانوني، لذا فان الوقوف أمام انتشار هذه المظاهر في المدن الدينية حق مكفول للمجتمع المدني، بخاصة ان الاصرار عليه يمثل اجندة مقصودة تحاول كسر اي ثابت ديني واخلاقي لدى الشعوب الاسلامية.

وينبغي أن يكون الحد من انتشار هذه المظاهر من قبل جماهير المدن الاسلامية انفسهم لكي يكون التعبير أبلغ في تمسك جماهير المسلمين بمبادئ شريعتهم وثوابتها، وهذا ما حدث بالضبط في عدد من المدن الاسلامية.

فمثلا اتخذت جماهير النجف العراقية خطوة مضادة لاحتفالية «عيد الحب» بتاريخ ٢٠١٥/٢/١٤، فنظم اصحاب المواكب الحسينية مظاهرة في شارع (الروان) منعت الاحتفال بهذه المناسبة، بخاصة انها تزامنت مع ذروة التضحيات التي كان يقدمها العراقيون على الجبهة ضد غزو داعش في حزيران ٢٠١٤ [(١)]، وبالفعل تم لجماهير النجف ما أرادت، وواصلوا اقامة مراسم عزاء في ذات الشارع من كل عام لقطع المجال أمام الحركات التي تحاول كسر الطابع الديني بمظاهر الخلاعة والاختلاط الجنسي المشاع بحجة عيد الحب السنوي.

(١) https://www.youtube.com/watch?v=gLWMVE٨rOnM



وفي اندونيسيا ذكرت وكالة (انتارا) للأنباء الرسمية أن المئات من الشباب المسلم في مدينتين على الاقل نظموا مسيرات ليحثوا المواطنين على عدم الاحتفال بعيد الحب، واعتبروا انه «لا يوجد ما يسمى بعيد الحب في الإسلام»[(١)].

(ونظمت سيدات ينتمين للجماعات الإسلامية الإندونيسية المحافظة مظاهرة مناهضة لاحتفالات «عيد الحب» ورفعت السيدات المشاركات في المظاهرة الرافضة لـ «عيد الحب» لافتات مناهضة له، وقالت السيدات الرافضات لاحتفالات عيد الحب إن هذا الاحتفال غير إسلامي ويساعد على الاختلاط، كما أنه نابع من التأثر بالثقافة الأجنبية، كما طالبن المسلمين بعدم الاحتفال بهذا اليوم وذلك من خلال الكتابات على لافتاتهن والهتافات التي رددنها، وفي بعض الدول الاسلامية، مثل إيران وباكستان، ما زال المنع هو سيد الموقف)[(٢)].

وعلى صعيد آخر ينبغي توعية الجماهير بضرورة الاعتزاز بالتراث الحضاري الاصيل ونبذ التمسك بالتراث الطارئ باعتباره ينم عن اهتزاز الشخصية وعدم ثباتها ثقافياً، وبخاصة ان بعض الاحتفاليات الغربية تتضمن كسر القيم الاخلاقية التي يلتزم بها المجتمع المسلم، فمثلا يرمز عيد الحب (الفلانتاين) بشكل اساس الى الاحتفال بالعلاقات الجنسية التي تقع خارج اطار الزواج، فيتصرف غالبية الشباب الذين يحيون

(١) (التشدد الديني يحرم عيد الحب في اندونيسيا)- ميدل ايست اونلاين- نشر بتاريخ ٢٠١٣/٢/١٤.

(٢) ينظر: (رافضو عيد الحب يحتجون)- موقع ايلاف الالكتروني- نشر بتاريخ ٢٠١٧/٢/١٤.

هذه المناسبة في ضوء هذا المفهوم، فيتم تبادل الهدايا والقبلات والاختلاط بين الجنسين من غير المتزوجين، لينحصر مفهوم الحب بهذا النطاق الضيق والمشوّه.

من جانب آخر ينبغي أن يهتم المجتمع الاسلامي بتفعيل الاحتفال الجماهيري بمناسباته التراثية البهيجة بأساليب عصرية لا تخرق الحدود الشرعية من اجل جذب الشباب المسلم وجعلها بديلا احتفاليا لهم وترسيخ الثقافة الخاصة من خلال رفعها الى مستوى الظواهر العامة تماما كما يحدث في مناسبات دينية شهيرة مثل «الزيارة الاربعينية» للأمام الحسين عليه السلام.




الفصل
3
الشباب
والدين

تقديم:

ليس من الصحيح ربط درجة تديّن شريحة الشباب في البلدان الاسلامية بطبيعة التأثير الثقافي -الايجابي أو السلبي- الذي يتلقونه فقط، لأنه وفقاً لدراسات مسحية واستقراء للحالات الاجتماعية نجد أن مقدار ارتباط الشاب المسلم بدينه يخضع لثلاث متغيرات أساسية هي: البيئة الاجتماعية والبيئة التعليمية والحالة الاقتصادية.

فمن ناحية البيئة الاجتماعية: فهي تنقسم على نوعين رئيسين هما: (بيئة الريف) و(بيئة المدينة) وفي الغالب نجد أن البيئة الريفية هي الاكثر تمسكاً بالدين، وذلك لأن سكانها أقل احتكاكا بالثقافة الغربية قياساً بسكان المدينة، كما أن ابناء البيئة الريفية يعيشون غالباً في أجواء بعيدة عن تعقيدات الحياة الحضرية ومشاكلها، لذا فهم أقرب للتمسك بالدين تبعاً للفطرة السليمة.

ومن ناحية البيئة التعليمية: فهي تنقسم على ثلاث انواع رئيسة هي: (الأميين) و(طلاب المدارس) و(طلاب الجامعات)، وفي الغالب نجد أن طلاب الجامعات يكونون أكثر عرضة لموجات الإلحاد أو الابتعاد عن الدين، لأنهم يحتكون بوسط تعليمي غربي صرف، يلوي عنق العلوم الانسانية لصالح التجارب المادية، والى جانب انبهار طلبة الجامعات بنتائج العلوم التطبيقية التي يلمسون نتائجها على المستوى التقني فان التأثر بالتوجهات اللادينية يكون اقرب اليهم من سواهم.

أما من ناحية الحالة الاقتصادية: فهي تنقسم على ثلاث اقسام رئيسة هي: (الطبقة الفقيرة) و(الطبقة الوسطى) و(الطبقة الغنية)، وفي الغالب نجد أن الطبقتين الوسطى والغنية هما الأقرب الى التأثر بموجات الالحاد أو البعد عن الدين، إذ لم يشغلهما شظف الفقر عن دراسة حالات التخلف والمعاناة التي تعيشها الدول الاسلامية والبحث عن اسبابها، إلى جانب كونهما – في العادة - طبقتين متعلّمتين تحتكّان بالثقافات المغايرة، لذا فإن التأثر بالتفسيرات التي يقدمها الغزو الثقافي الغربي للتناقضات التي يعيشها المجتمع الاسلامي تكون أقرب الى التأثير في هاتين

الطبقتين أكثر من غيرها.

وخلاصة لما تقدم نقول: إن أكثر الطبقات الشبابية التي تتعرض الى البُعد عن الدين في البلدان الاسلامية هي الطبقة المتعلمة في الجامعات التي تسكن المدن وذات الدخل المالي المتوسط او المرتفع.

وان أي دراسة تحاول أن تتناول علاقة الشباب بالدين الاسلامي - ابتداء من ايمانهم العقائدي وانتهاء بالتزامهم بالواجبات الدينية- يجب أن تأخذ بعين الاعتبار تلك المتغيرات الثلاث في المجتمع المسلم إلى جانب تأثير الغزو الثقافي للعولمة.

وفي هذا الفصل سوف نحرص على تناول ابرز مفاصل علاقة الشباب المسلم بالدين الاسلامي في عصر العولمة وعلى النحو الآتي:

أولا: الشباب والتطرف الديني

تستبطن مفردة التطرّف طيفاً واسعاً من الأنواع، فهنالك التطرف الديني وهنالك التطرف السياسي وهنالك التطرف القومي، وكل انواع التطرف تتجسّد في سلوك الانسان اثناء تعامله مع الآخر المخالف له في القضية التي يتطرف فيها، الا إن التطرف الديني هو اشهر الانواع، لأن العقيدة تمثل للفرد نقطة ارتكاز نفسية عميقة لا يمكن التنازل عنها بسهولة، فضلا عن أن كثيراً من الخطابات الدينية التي تنتشر بين الجمهور تساعد على انتشار التطرف الديني أكثر من غيره.

ولا ننسى أن العقيدة تستمد قوتها من ارث ضارب في القدم بحيث تتغلغل جذورها في ضمير المجتمع، في حين ان الانواع الاخرى من التطرف عادة ما تكون طارئة او وليدة الظروف التي تسود البلدان على اساس مصالح آنية ومتغيّرة.

وعلى صعيد الدول الاسلامية فان اكثر شعوبها لم تكن تعاني من ظاهرة التطرف الديني حتى مراحل متأخرة من الزمن، الى أن أخذ الشباب المسلمون - بشكل خاص- ينخرطون في جماعات متشددة دينياً ويسعون في هذا الصدد الى فرض

الاحكام الدينية على الناس باستخدام القوة، وان انتظامهم في الجماعات المتشددة يعود الى اسباب عدة أهمها ما يأتي[١]:

١- تمرّد على واقع مؤلم:

لعل التمرد على الأزمات التي يعيشها العالم الاسلامي من أهم مُنتِجات الفكر المتطرف الديني، إذ يوظف ظاهرة الخلاص الموعود من المحن والآلام للإفلات من الواقع المؤلم الذي يعيشه الافراد المتدينون في المجتمعات الاسلامية، لذا فقد (حاول مفكرون سلفيون ينتمون للتيار الجهادي تفسير الإنجازات الأخيرة لداعش وفق رؤية آخر الزمانية معتبرين ما يحدث هو جزء من ظهور المهدي الذي سيعيد الخلافة الإسلامية بعد اضطرابات كثيرة تشهده مناطق محددة من العالم الإسلامي بما فيها العراق والشام.

ما يظهره هذا كله بأن هناك شعور نوستولوجي قوي منتشر في العالم الإسلامي نحو فترة الخلافة الإسلامية، وتقترن الخلافة الإسلامية في المخيلة الجماعية لأصحاب هذا الشعور بالإزدهار والعظمة التاريخية للحضارة الإسلامية، ويتغذى هذا الشعور بشكل كبير من حالة عدم الاستقرار السياسي والمشاكل الاقتصادية الكبيرة في المجتمعات الإسلامية وذلك من حيث أن الإحباط والقنوط من حصول التغيير يوجه الأفراد نحو الطوباوية ويبعدهم عن التفكير الواقعي في مشاكل حياتهم، وخاصة أن هذه المجتمعات قد مرّت بتجارب متعددة في المئة السنة الأخيرة من دون أي جدوى، فقد مرّت هذه المناطق بفترة الاستعمار بعدما كانت تحلم بالحرية من استبداد الامبراطورية العثمانية، وقد ابتيلت بالأنظمة العسكرية بعد ما توجهت نحو مناهضة الاستعمار والتخلص منه، وقد وقعت بعد ذلك في فخّ أيدولوجيات قومية ويسارية متعددة دون أن تنتج لها ما كانت تحلم به من حياة كريمة في مجتمع متقدم،

(١) قمنا بإحصاء هذه الاسباب مع امثلتها في ملحق بعنوان (التطرف الديني.. اسبابه انعكاساته علاجه) نشره المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية لشهر تشرين الثاني ٢٠١٤.

وتعدّ قوّة اليوتوبيا عامل مهمّ في نشر الميول نحو تأسيس الخلافة الإسلامية، وقد عُرِضَت اليوتوبياوية السلفية بشكل مخطط واقعي قابل للتطبيق من قبل منظريها، بل هو ضروري التطبيق حسب ما وعده الله لعباده المؤمنين كما يعتقده هؤلاء الأفراد، وقد جاءت تفاصيل هذا المخطط الإلهي في مؤلفات اثنين من دعامات الفكر السلفي المعاصر وهما: ابو الأعلى المودودي والسيد قطب.

ينقسم التاريخ في هذه الرؤية السلفية الى قسمين: الجاهلية والإسلام، وأن كل مرحلة من الجاهلية تلحقها مرحلة إسلامية، وبما أن العالم يشهد اليوم عهد جاهلي حديث فيجب القيام بالجهاد لتأسيس العهد الإسلامي المقبل، ويتم هذا عبر مراحل ثلاث: الايمان (بالاسلام الخالص السلفي)، الهجرة (الانتقال من المجتمعات الكافرة الى مجتمع مؤمن) والجهاد (لتحقيق الدولة الإسلامية التي يجب أن تظهر في صيغة الخلافة بوصفها هي الطريقة الرائجة عند السلف)[١].



(١) ينظر: (Did nostalgia for Islamic caliphate become a reality?) - علي المعموري- صحيفة المنيتور- نشر بتاريخ ٢٠١٤/٧/٧.

٢- أفكار مبتورة تغذّي التطرّف:

غير خافٍ أن السعي لتغيير الواقع المؤلم أمر مطلوب في الاصل، ولكن اصحاب الفكر الديني المتطرّف لا يقومون بذلك بشكل عقلاني متّزن، وإنما يقومون به وفقا لأفكار مبتورة تعتمد تأويلات دينية قاصرة تنتج سلوكاً بعيداً عن الحكمة ومنحرفاً عن الواقع.

ومما تجدر الاشارة اليه ان التمرد غير المتزن الذي تقوم به الجماعات المتطرفة لا تنفك عن الحاجة الى مادة فكرية تؤسس عليها مشروعية عملها، لذا فان الغالبية العظمى من حركات التطرف في العالم «تنتقي» من بين النظريات والافكار ما يلائمها «لتبرير» الاعمال الوحشية التي ترتكبها من اجل «تغيير» الواقع المؤلم الذي تعيشه تلك الحركات.

٣- عوامل اجتماعية تغذّي التطرف:

هنالك ظروف اجتماعية تؤدي الى نمو حالة التطرف الديني لدى الشباب باعتبارهم الوقود الذي تستخدمه الجماعات المتطرفة لإحراق الاخضر واليابس، وتؤدي هذه العوامل الاجتماعية الى تنمية حالات نفسية خاصة عند الشباب تدفعهم الى التطرف الديني، مما يستدعي بالضرورة تشخيص طبيعة هذه الحالات النفسية والظروف الاجتماعية التي ولدتها.

وقد (برزت ضمن جهود التشخيص دراسة عنوانها «سيكولوجية إرهابيي القاعدة» أعدها العالم النفسي (د. مارك ساغمان) معتمداً على ١٨ مرجعاً علمياً، ولما كانت الأغلبية العظمى من المنظمات الإرهابية ترتبط بالقاعدة بصورة أو أخرى، فقد اعتبرت المعايير التي توصلت إليها هذه الدراسة، تنطبق على هذه المنظمات جميعاً، والتي رصدت عدداً من الدوافع وراء تشكيل عقلية الإرهابي ودوافعه .

وكان اللجوء إلى التشخيص النفسي، مدفوعاً باعتبار السلوك الإرهابي منشقاً عن

سلوكيات الإنسان الطبيعي، وقد التقى واضعو هذه الدراسة نوعيات من الإرهابيين بعضهم ممن انشقوا عن هذه المنظمات والبعض الآخر من الذين اعتقلوا ونقلوا إلى قاعدة غوانتانامو.

كان هناك اعتقاد قديم بأن الذين يمارسون الإرهاب يعوضون عقدة في ماضيهم لكونهم من عائلات فقيرة أو معدمة أو أن منهم من هو جاهل وليست أمامه فرصة أو مهارات لتحسين مستواه المعيشي أو أنهم من ضعاف العقول الذين يسهل تعريضهم لغسل المخ أو من هو مريض عقلياً ومصاب باضطراب في الشخصية .

لكن الدراسة الجديدة سعت للخروج عن نطاق هذه الأحكام بعد أن ظهر خلال السنوات القليلة الماضية أن معظم الإرهابيين لم يأتوا من دول فقيرة للغاية مثل أفغانستان، وأن معظمهم قدموا من دول عربية وبعضهم من طبقات متوسطة وبينهم متعلمون دارسون للهندسة والطب والكمبيوتر والتجارة .



لقد كان التفسير القائم على أن الإرهاب نابع من مرض عقلي أو غريزة فطرية تحرك الشخص للجريمة سببه أن الأشخاص الطبيعيين لا يقتلون الناس عمداً أو عشوائياً، وإن تصرفات الإرهابيين تبرهن على أنهم معادون لمجتمعاتهم، لكن الأبحاث التي استمرت لسنوات طوال استبعدت إصابة الإرهابي بمرض عقلي بل إنه واع تماماً لما يفعله.

وأظهرت الأبحاث أن الإرهابيين بصفة عامة تجمعهم عناصر مشتركة من الشخصية؛ فهم مندفعون في تصرفاتهم بلا ضابط وعدوانيون بطبيعتهم ولديهم نهم للإثارة وهم يسعون وراء هذه الإثارة، ولديهم نزعة الانعزال حتى عن أسرهم، وربما يعود ذلك إلى عقد نفسية نشأت عن معاناة في طفولتهم، ولذلك لا تجد لديهم ولاء نحو آبائهم، وأنهم يصبحون أكثر ارتباطاً بأفراد غرباء عنهم يشعرونهم بأنهم في مركز القيادة منهم، وهو ما يشبع جوعهم للإحساس بأنهم أشخاص لهم أهميتهم .

الدراسة النفسية وجدت أيضاً أن الإرهابيين مصابون باضطراب في الشخصية مرجعه إلى جنون العظمة، وتتفاعل داخلهم مكونات ممتزجة بعضها، من الإحباط وخيبة الأمل ويتجه شعور كامل بأن أي شيء يحدث لهم لا يرضيهم .

وبالنسبة للقادمين من طبقات متوسطة الذين حصلوا على قسط معقول من التعليم وهم من عائلات متدينة ونشأوا مؤمنين بالقيم الدينية السامية والذين يجيدون اللغات الأجنبية والتعامل مع وسائل التكنولوجيا الحديثة، فقد وجدت الدراسة أن ثلاثة أرباعهم انضموا للمنظمات الإرهابية عندما ذهبوا للدراسة في الخارج، وهناك بدأت تحتويهم مشاعر الوحدة والغربة والحنين للوطن والشعور بأنهم لا ينتمون إلى المجتمعات التي يتلقون فيها العلم، وأثناء مرورهم بتلك الحالة النفسية يلتقون أشخاصاً يقيمون معهم صداقات ويحاولون التخفيف من مشاعرهم القاسية، لكن هؤلاء الأشخاص يتحركون تجاههم بدوافع ممنهجة ترصدهم وتلتقطهم، لتزيد لديهم فكرة انفصالهم عن كل المجتمعات حتى التي جاءوا منها، وتقنعهم بأنهم

ينتمون إلى عالم آخر يصورونه لهم على أنه يمثل الدين الصحيح، وبهذا يقيمون لهم جداراً للعداء مع من ينتمون معهم لنفس الدين طالما أنهم لا ينتمون إلى نفس تنظيمهم الذي يتحول في نظرهم إلى أنه قرين للدين ذاته.

خلاصة الدراسة القائمة على تشخيص سيكولوجية الإرهابي وجدت أنه شخص تمت إعادة تشكيل عقليته باستغلال نقاط ضعف كامنة فيه، وتم تحويله من إنسان طبيعي إلى آلة للقتل، ويتم شحن هذه الآلة بأفكار تجردها من النزعات الفطرية للإنسان، ومن القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية التي يتمتع بها الإنسان الطبيعي، وبهذه الطريقة يصبح عقله مثل كتلة صماء من التفكير المتحجّر الذي انتزعت منه مشاعره الإنسانية نحو وطنه ومجتمعه، بل وأحياناً نحو عائلته ووالديه)[١].

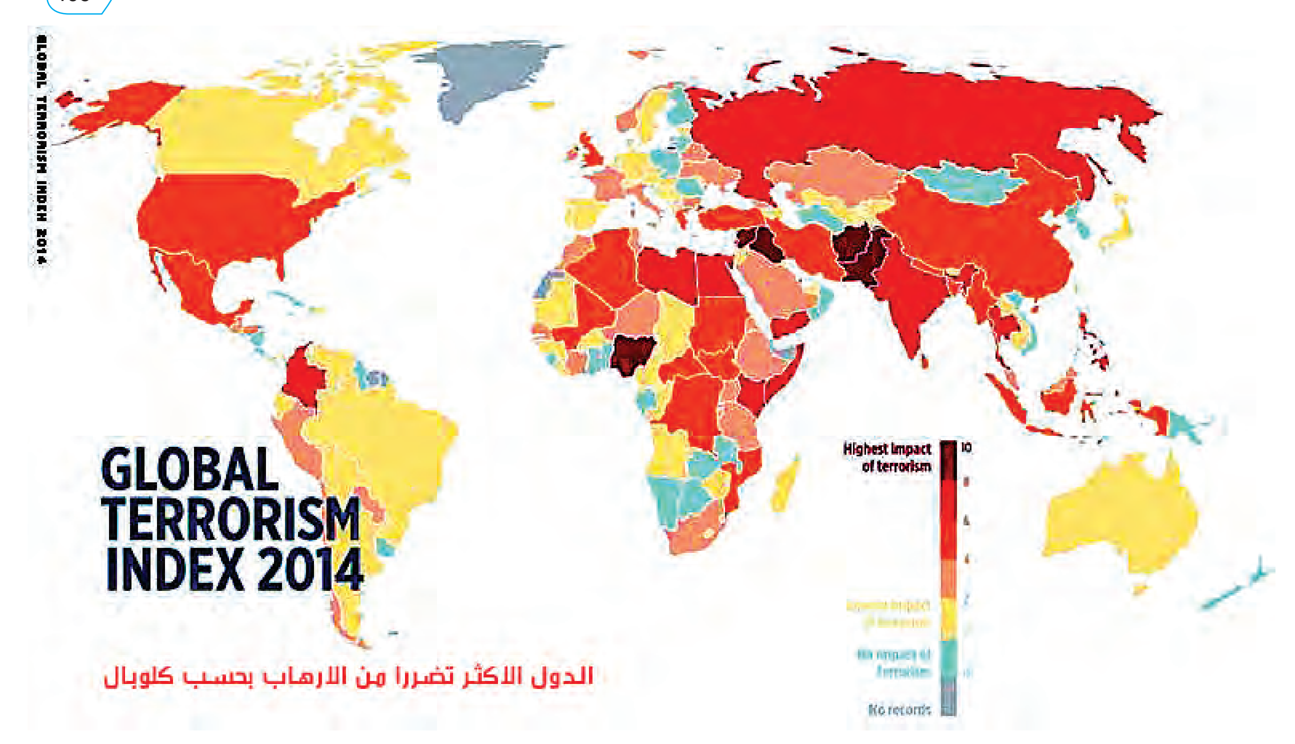
٤- فشل أنظمة الحكم في ترسيخ المواطنة:

إن أي دولة تخضع لسلطة فاشلة لا بد ان تشهد نشاط افراد متمردين يطمحون الى تغيير هذه السلطة أو على الاقل تعديل منهجها وفقا لما يرونه مناسبا سواء من الناحية السياسية أم الاقتصادية أم الاجتماعية أم الايدلوجية، والجماعات المتطرفة دينيا لا تشذ عن هذه القاعدة.

لذا عندما نجد أن المجتمعات العربية والاسلامية تحتضن في بعض مناطقها للسلفيين الجهاديين المحليين أو القادمين من الخارج فان مسؤولية ذلك تتحمله الحكومات التي غيبت الإصلاحات السياسية والاقتصادية، واتبعت سياسات التهميش والقمع وكبت الحريات وأهدار الروابط الوطنية الجامعة، وأحيت الهويات الفرعية بدلا من إرساء المواطنة المتساوية، ودولة القانون والمؤسسات وتكافؤ الفرص والعدالة الاجتماعية وشراكة جميع المواطنين في الثروة والسلطة[٢].

(١) سيكولوجية الإرهابي . . من إنسان إلى آلة للقتل – عاطف الغمري- صحيفة الخليج – نشر بتاريخ ٢٠١٤/٧/٩ .

(٢) ينظر: (عوامل صعود السلفية الجهادية فى بلاد الشام) –محمد برهومه- مجلة السياسة الدولية- نشر بتاريخ ٢٠١٤/٧/٦.



الدول الاكثر تضررا من الارهاب بحسب كلوبال

خلاصة لما تقدم نجد أن التطرف الديني ينشأ بشكل اساس بين نوعين من الشباب بفضل عامل مساعد مشترك وعلى النحو الآتي:

النوع الاول: شريحة الشباب التي تعاني من الامية الدينية والثقافية، والتي تتواجد عادة في المناطق النائية عن المدن، حيث الانغلاق الثقافي والبساطة الفكرية.

النوع الثاني: شريحة الشباب الذين تلقوا نوعا من الثقافة والتعليم وينتمون عادة الى اوساط ملتزمة دينياً، ولكنها تعاني من غربة نفسية ناشئة عن احباطهم من الانحدار الديني في المجتمعات التي يعيشون فيها، ويدفعهم ذلك الى انتهاج اسلوب التطرف في مواجهة هذا الانحدار.

أما العامل المساعد المشترك بين هذين الاصلين فيتمثل بدعاة الدين المتشددين الذين يخدعون الشباب بأحاديث وروايات كاذبة او مبتورة، تتعلق في غالبيتها حول الجهاد واعمال القوة لإحياء معالم الدين ونشر راية الاسلام على ربوع المعمورة.

ومن هنا نجد أن طبيعة البيئة (التعليمية – الاجتماعية) المأزومة التي يعيشها الشاب

هي التي تدفعه بشكل اساس الى أن يطرب لألحان الخطابات الدينية المتشددة التي يرددها رجال تلبسوا بزي علماء الدين لخدمة مصالح حكومية وأجندات دولية، وسرعان ما يتوهم هؤلاء الشباب أن مراكب نجاتهم قد وصلت الى رضا الرب بفضل دعاة الدين المتشدّدين.

ثانيا: الشباب والإلحاد

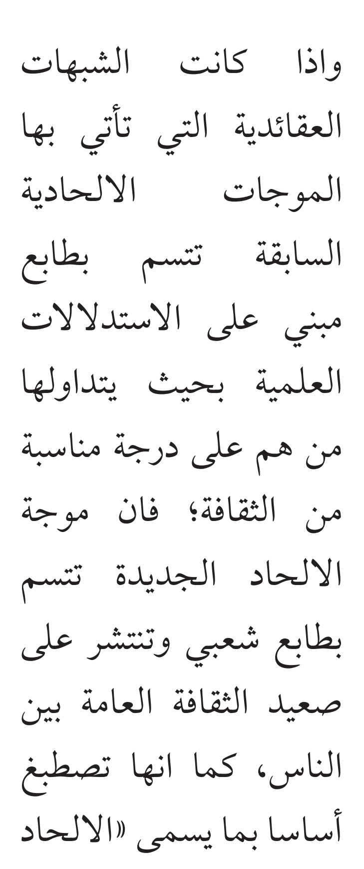
ليس جديداً أن تواجه البلدان الاسلامية موجة إلحاد ينجرف بسببها عدد من المسلمين، فهذه الظاهرة غالبا ما تنشط بسبب نوع جديد من احتكاك المسلمين بحضارات وتيارات فكرية غريبة، ومن أمثلتها التاريخية ظهور الزنادقة في عهد العباسيين، وكان لأئمة أهل البيت(عليهم السلام) دور بارز في التصدي لشبهاتهم آنذاك.

وفي التاريخ المعاصر ضربت الامة موجة الحاد أخرى جاءت على يدي المد الشيوعي، فانجرف بسببها كثير من الشباب ودفع بعضهم حياته ثمناً لذلك، وكان لعلماء الاسلام أثر كبير في التصدي لهذا المد وكشف أكاذيبه.

واليوم تتعرض الأمة الاسلامية الى موجة إلحاد جديدة[١] نشأت كردة فعل لعوامل عدة، منها بروز حركات دينية متطرّفة ذاق المسلمون بسببها الوان العذاب، ومنها فشل التجارب السياسية للعديد من التيارات والاحزاب الاسلامية كما في افغانستان ومصر والعراق، بالإضافة الى ثورة الاتصالات الهائلة التي اجتاحت العالم وجعلت الشباب المسلم يواجهون تحدياً فكرياً مفاجئاً لم يكونوا مُهيّئين لاستقباله بشكل صحيح.

(١) (أوضح مستشار مفتي الجمهورية في مصر أن الإلحاد في العالم العربي والإسلامي لا يمكن وصفه بالظاهرة لعدم وجود إحصائيات دقيقة، خاصة أن من يعترفون بإلحادهم أقل بكثير من العدد الحقيقي الموجود، وأوضح أن عددا من الدراسات والإحصاءات أظهرت أن الإلحاد في السنوات الأربع الماضية شهد نشاطا كبيراً، فسرعان ما ظهرت عشرات المواقع الإلكترونية على الإنترنت تدعو للإلحاد وتدافع عن الملحدين) ينظر: (مواقع التواصل الاجتماعي ساعدت في نشر الإلحاد) نشر في موقع (دوت مصر) بتاريخ ٢٠١٤/١٢/١٠.





واذا كانت الشبهات العقائدية التي تأتي بها الموجات الالحادية السابقة تتسم بطابع مبني على الاستدلالات العلمية بحيث يتداولها من هم على درجة مناسبة من الثقافة؛ فان موجة الالحاد الجديدة تتسم بطابع شعبي وتنتشر على صعيد الثقافة العامة بين الناس، كما انها تصطبغ أساسا بما يسمى «الالحاد الوجودي» الذي يقوم على اساس مناقشة الافرازات القيمية والاخلاقية التي ينتجها التديّن[1]، لذا نجد أن أكثر الشبهات العقائدية الجديدة التي تتناول الاسلام بالنقد والتجريح تقوم على أساس النقد القيمي والاخلاقي للدين.

ذلك أن مشكلة التديّن في نظر الملاحدة الجدد هو انه عنصر مُنتج للتخلّف، والدين في نظرهم هو سبب الارهاب والعنف وكبت الحريات، ويستشهدون بوجود الحركات الدينية المتطرفة في العالم الاسلامي، كما أن الدين في نظرهم هو الذي يولد النفاق والدجل، ويستندون في ذلك على سلوك التيارات الدينية التي تنتقل من فشل الى آخر في تجربتها السياسية في بلدان اسلامية عدة.

(١) (الإلحاد الوجودي - لدى بعض الوجوديين - إنما يقوم على رفض الاعتراف بسلطة الإله من أجل الحفاظ على الحرية الإنسانية، وعلى خطورة القرار، ومحاولة منع الإنسان من التشيؤ في مواجهة الأوامر الإلهية المطلقة، وهو في هذا يحاول أن يؤكد على أصالة الدوافع الأخلاقية بوصفها دوافع إنسانية بحتة) من بحث بعنوان (موت الرب وموت الأب-دراسة في الإلحاد الوجودي-نيتشه ودوستويفسكي نموذجين) للباحث كريم الصياد نشرته مجلة الجمعية الفلسفية المصرية عدد ٢٠ الصادرة في ديسمبر ٢٠١٠.

لذا نجد أن حركة الالحاد تنشط في البلدان الاسلامية التي تشهد مشاكل سياسية واقتصادية أكثر من نظيرتها بشكل عام، وفي استطلاع للرأي قامت به (مبادرة طابة للدراسات المستقبلية) بالشراكة مع (مؤسسة زغبي للخدمات البحثية) شمل عشر دول عربية؛ تضمن السؤال الآتي: «هل تعتقد ان التشكك في الدين ازداد بين افراد جيلك؟» انقسم المستجيبون في الاجابة، ففي خمس دول هي: (السودان وعمان والعراق ولبنان واليمن) يعتقد أغلبيتهم (٥٣ - ٦٠٪) ان التشكك في الدين قد ازداد بين شباب جيلهم، ومن جهة اخرى قال اكثر من ٦ من كل ١٠ مستجيبين انهم لا يعتقدون ان التشكك في الدين قد ازداد بين افراد جيلهم وكان هذا الاعتقاد اقوى في (قطر وليبيا فالجزائر فموريتانيا ثم تونس)[١].

كما تضمن الاستطلاع سؤالاً عن سبب تشكك الناس في الدين بين الشباب، فكان اغلب المستجيبين يعتقدون بأن الارهاب والتطرف باسم الدين هو السبب الاول في كل من (العراق واليمن والسودان وموريتانيا وعمان وتونس والجزائر) أما ثاني اهم سبب في التشكك بالدين فهو السلوك غير الاخلاقي للمنتسبين له، فحين تخفق زعامات واصوات دينية في ان تكون في سلوكها على مستوى القيم والآداب والاخلاق فسيكون لها تأثير سلبي على طريقة تصور الدين، وان جيل شباب الالفية مختلف عن آبائه واجداده في هذا الشأن، فربما تكون الاجيال السابقة قد تغاضت عن تجاوزات المنتسبين للدين بسلوك حسن، بيد ان هذا الجيل سيربط سلوكيات دعاة الدين بالدين نفسه ربطا وثيقاً[٢].

وقد عُدّ التخلف الحضاري ثالث اهم سبب للتشكك في الدين وفقا لنتائج الاستطلاع ذاته، فان حالة التقدم في البلاد ذات تأثير على طريقة النظر الى الدين عند الشباب العرب، وثمة سابقة تاريخية لهذه النظرة في خطاب التدهور في القرنين التاسع عشر

(١) مواقف جيل الشباب المسلم من الدين وعلمائه ٢- مبادرة طابة للدراسات المستقبلية ٢٠١٧ - الاستطلاع متوفر على الرابط الاتي http://mmasurvey.tabahfoundation.org/downloads/mmasurvey٢ar__web-key-findings.pdf

(٢) المصدر نفسه.

والعشرين، حين تدافعت اجيال لاحقة من المفكرين العرب على مهمة تشخيص علة التدهور الحضاري في العالم العربي والاسلامي فقد كانوا في الغالب يربطون التدهور بالدين ويسعون اما لإصلاحه او تهميشه وذلك بروح مماثلة الى حد كبير لتلك الروح التي كانت في اوربا عصر التنوير، غير انهم غالبا ما تفوتهم الحقائق الاجتماعية والثقافية والتاريخية الخاصة التي تميز كلا السياقين[١].

وعودة على بدء، فإن شباب اليوم يرزحون تحت ضغوط مؤثرات معينة تجعلهم يعادون الدين الى درجة الدعوة الى الالحاد، ومن الضروري أن يشخص الباحث هذه المؤثرات لمعرفة الداء بشكل محايد ليكون وصفه للدواء ناجعاً، ومن خلال استقراء واقع الحال الذي يعيشه شباب اليوم نجد أن هذه المؤثرات تنحصر بالآتي:

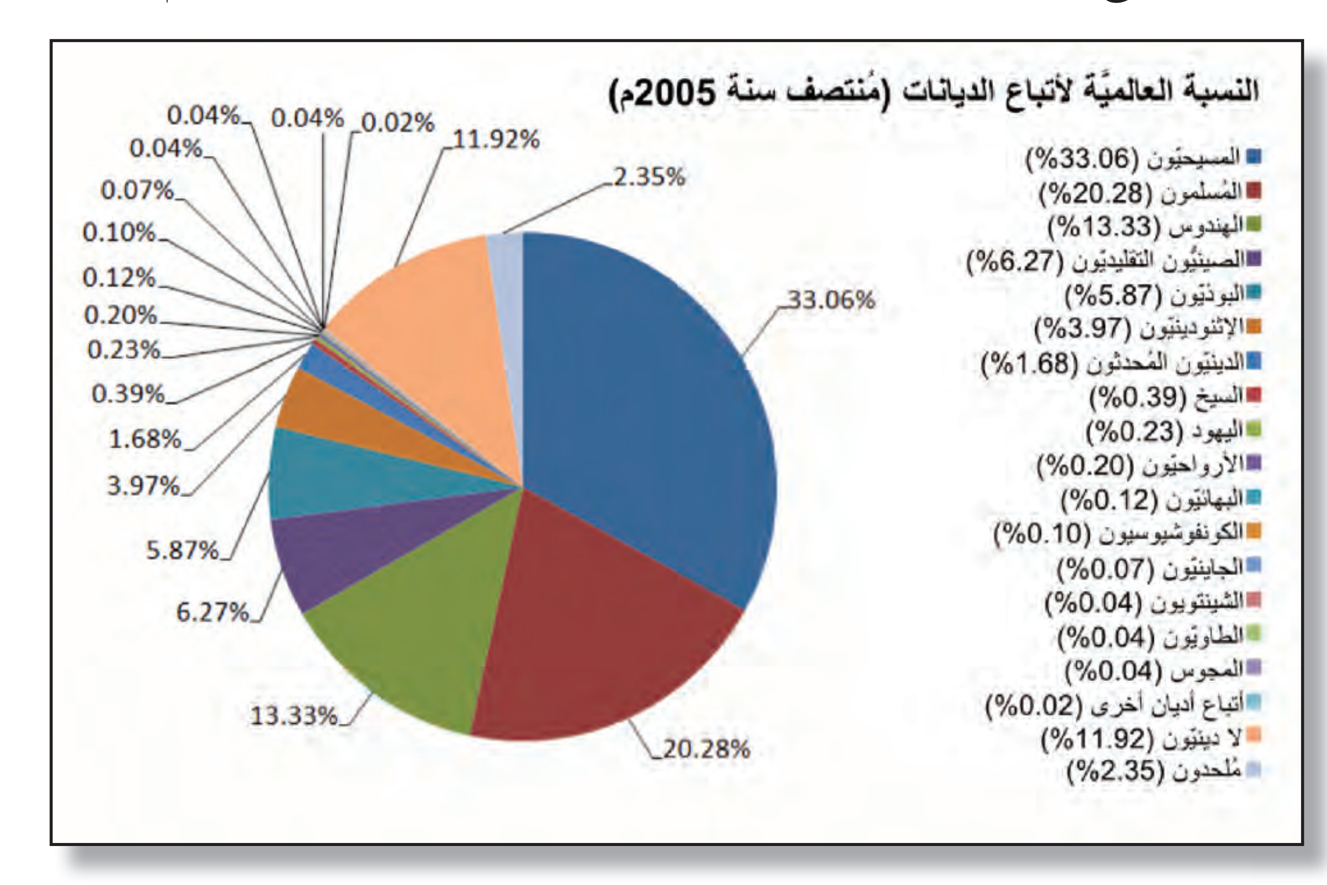
١- **التدهور الأمني والاقتصادي:** الشباب هم الشريحة الاجتماعية التي تضع اول خطوة لها على عتبة تكوين الذات والاستقلال المعيشي، وفي المجتمعات الاسلامية كثيرا ما يواجه الشباب انتكاسة في هذا الصدد بسبب ضعف الاداء الحكومي للدول الاسلامية، الذي ينعكس سلباً على الاوضاع الامنية والاقتصادية للبلاد.

لذا فان الشباب هم اكثر الشرائح الاجتماعية تحسساً من هذا الخلل، وهذا الامر يدعوهم الى ان يفكروا في اسباب التدهور الامني والاقتصادي لبلدانهم، ويدفعهم ذلك الى عقد مقارنة مع واقع البلدان الغربية التي تشهد استقراراً كبيراً في هذين الجانبين، فيتجسد الدين عندئذ كأحد ابرز اسباب هذا التدهور، لأن أولوية الدين تعد من أهم الفروقات بين المجتمعات الاسلامية والغربية، وتلعب الشبهات التي تثيرها النخب العلمانية في المجتمعات الاسلامية دوراً فاعلاً في ربط هذا التخلف الامني والاقتصادي بالدين الاسلامي، وغالبا ما يستشهدون بذلك على مسألة وصول الغرب الى تطوره واستقراره بعد تحرره من سلطة الدين ودخوله عصر التنوير.

(١) المصدر نفسه.

٢- انتشار التطرف الديني: إن التشدد الديني الذي تفتعله المجاميع الارهابية المنتشرة في كل مكان من العالم يعد واحداً من أهم العوامل التي تساعد على نفور الشباب من الدين، لان الشاب الذي يعاني نقصاً فكرياً وثقافياً لا يكون مُميّزاً جيداً بين الاسلام وبين الافراد الذين يدّعون الانتماء اليه، ومن ثم فان كل الجرائم التي يرتكبها المتطرّفون الاسلاميون سوف تحسب في نظره على الاسلام، والمشكلة التي تعزز خطورة هذا المؤثر هو قصور المؤسسات الدينية الذي اشرنا اليه آنفاً، فالخطابات التي ينشرها بعض دعاة الدين تؤكد في ذهنية الشباب ظنونهم السيئة بالإسلام.

وفي هذا المجال صرح تقرير «مرصد الفتاوى التكفيرية» التابع لدار الإفتاء المصرية أن أهم الأسباب التي تدفع الشباب إلى الإلحاد هي انتهاج الجماعات الإرهابية التكفيرية الوحشية والترهيب والذبح باسم الإسلام بما يسهم في تشويه صورة الإسلام ويرسخ صورة وحشية قاتمة للدين، ما جعل عدداً من الشباب ينفرون من الإسلام



ويندفعون للإلحاد، إضافة إلى الخطاب الديني المتشدد الذي تصدره التيارات الإسلامية المتزمتة التي تؤصل لإشكالية الصراع بين الجوهر الروحي والخلقي، ولا تعرف سوى التشبث بالأمور الشكلية التي قد تبعد الناس عن الدين، وقال التقرير إن من أسباب انتشار الإلحاد تبني الجماعات التكفيرية لفهم مختل للولاء والبراء، الذي يسهم في كراهية الآخر لمجرد المخالفة في الديانة»[١].

٣- **تبرير الانحراف:** قد يبحث الانسان عن أعذار يبرر بها لنفسه وللآخرين اسباب سلوكه الشاذ عن النمط الاجتماعي السائد، وفي المجتمع الاسلامي قد يجد بعض الشباب في دعوى الإلحاد مبرراً لإطلاق العنان لانحرافهم السلوكي من أجل أن يتبعوا الاغراءات التي يمتلئ بها عصر العولمة.

وفي العادة فإن شريحة الشباب التي تسلك هذا المسلك هي الشريحة المتعلمة التي يهتم افرادها بالإجابة على أي انتقاد يرد حول سلوكهم، وإلا فان الشاب الأمي الطائش لا يهتم كثيرا بإيجاد تبريرات لسلوكه المنحرف، فأمثاله يتبعون شهواتهم من دون أن يلقوا بالاً لأي نقد او استنكار.

٤- **الانبهار بالغرب:** هو احد الاسباب المهمة التي نمت مع الاحتكاك المباشر بالإنجازات المادية للحضارة الغربية، فبسبب توفر وسائل الترفيه التي وردت للمسلمين من بلدان الغرب، فان الشاب سيكون معجباً بالحضارة الغربية على إجمالها، لأنه من اكثر افراد المجتمع تأثراً بهذه الوسائل.

وإذ يبتعد المجتمع الغربي بشكل عام عن الدين ومظاهره، فان الشاب المنبهر بالغرب سوف يميل الى الابتعاد عن دينه تبعاً لذلك، ويلعب الاعلام الغربي دوراً محورياً في هذا الصدد، إذ يخفي جانب الخواء الروحي ويغطي كثيراً من المشاكل الاجتماعية التي تضرب بلدان الغرب، ويركز على إظهار الجوانب المشرقة من حياة الغربيين التي تتجسد أساساً بالرفاهية والراحة المادية.

(١) تقرير بعنوان (مواقع التواصل الاجتماعي ساعدت في نشر الإلحاد) - مصدر سابق.

٥- **النظريات الالحادية:** يمكن ان يؤدي الانبهار بالغرب الى إلحاد الشباب من وجه آخر، وذلك بترويج النظريات التي يطرحها علماء غربيون لنفي وجود الله سبحانه وايكال الخلق الى الصدفة العمياء، مثل نظرية « تشارلز داروين» ونظرية «ستيفن هوكينغ“ واضرابهما، ولإدامة الزخم المعنوي يستشهد اتباع الإلحاد الجديد بأقوال وآراء يطلقها أشخاص لهم ثقل في مجال العلوم الطبيعية امثال (سام هاريس)[١] و(تشارلز دوكينز)[٢] و(لورانس كراوس)[٣]، ففي العادة يأخذ بعض الشباب في البلدان الاسلامية اقوال هؤلاء كأدلة قاطعة على انكار وجود الله سبحانه مع انهم لم يستوعبوا جوانب نظرياتهم ولم يطلعوا على الردود المحكمة التي تنقضها، لأن انبهارهم بالتفوق المادي للغرب يعميهم عن تقبل الحقيقة في هذا الصدد.

هذا وتلعب وسائل التواصل الاجتماعي دوراً أساسيا في نشر النظريات التي تشجع على الالحاد بين الشباب، فهذه المواقع تهيء لمستخدميها مساحة كبيرة من الحرية في النشر وتوفر لهم حماية كافية من التعرّف على هوياتهم الحقيقية، وعلى اثر ذلك نجد الانتشار المتزايد للانتقادات والشبهات التي يثيرها بعض الشباب على الاسلام، فبوساطة مواقع التواصل التي تتيح لهم حرية الكلام يتحولون من مجرد ملحدين الى دعاة للإلحاد يتأثر بشبهاتهم ضعاف العقول من اقرانهم ليلتحقوا بهم تدريجياً[٤].

(١) سام هاريس: مؤلف وفيلسوف ومفكر وعالم أعصاب أمريكي وهو أحد مؤسسي مشروع «إدراك» و مديره التنفيذي. ومؤلف كتاب «نهاية الإيمان» الذي صدر عام ٢٠٠٤ الذي ظهر في لائحة النيويورك تايمز لأفضل المبيعات ٣٣ أسبوعًا على التوالي. كما تُوِّج الكتاب بجائزة بَنْ (PEN Award) عام ٢٠٠٥، في عام ٢٠٠٦ قام هاريس بنشر كتابه «رسالة إلى أمة مسيحية» ردّا على انتقادات لكتاب «نهاية الإيمان». تَبِع هذا العمل كتابه «المشهد الأخلاقي»، الذي صدر سنة ٢٠١٠، ليتبعه بمقاله من الطراز الطويل «أنْ تكذبَ» سنة ٢٠١٢، لتتم سلسلة مؤلفاته مع كتاب «الإستيقاظ: دليل إلى الروحانية الخالية من التدين».

(٢) ريتشارد دوكينز: عالم بيولوجيا تطورية وإيثولوجيا بريطاني وكاتب أدبيات علمية. من أبرز أعماله التأكيد على الدور الرئيسي للجينات كقوة دافعة للتطور، إلى جانب أعماله في البيولوجيا التطورية، دوكينز يقدم نفسه على أنه ملحد، إنساني-علماني، شكوكي، وعقلاني علمي، مع ذلك فقد قدّم نفسه على أنه مسيحي الثقافة، وهو معروف بآرائه في الإلحاد ونظرية التطور كما أنه من أبرز منتقدي نظرية الخلق ونظرية التصميم الذكي.

(٣) لورنس كراوس فيزيائي وفلكي و مؤسس ل»مشروع الأصول» «the Origins Project» في جامعة أريزونا. يُشاد به في الوسط العلمي الأمريكي كواحد من الشخصيات العلمية المُفكّرة و المشهورة في الوسط الشعبي. لديه أكثر من حوالي ٨٠٠ منشور علمي ومؤلّف لثماني كُتب بما في ذلك كتابه الأكثر مبيعاً ستار تريك وكتاب كون من لا شيء.

(٤) بمتابعة ميدانية سريعة في صفحات الفيسبوك ذات النكهة العراقية، يتضح لنا حجم النشاط الذي تشهده

على الجانب الآخر نلحظ أن هنالك منظمات واشخاص ناشطون في بعض الدول الاسلامية لهم فعاليات واضحة في محاربة الالحاد، مثل صفحة (براهين)[١]، في حين لم تسجل الصفحات التي تحارب الالحاد في دول اسلامية اخرى مثل (العراق) نشاطا ملحوظاً، مما يعني ان الشباب في هذه الدول اشبه بالفرائس التي يتربص بها الملحدون من دون ان يكون لهم رعاة يحرسونهم، إذ لا تجد في مواقع التواصل الاجتماعي الخاصة بالعراق مثلاً صفحات مضادة للإلحاد تتمتع بثقل علمي وشعبي مقارنة بالصفحات التي تروج له باستثناء صفحات أسسها أشخاص عاديون دفعتهم غيرتهم الدينية للرد على ملاحدة «الفيسبوك"، وهي صفحات تعاني من نقص علمي وكثافة في النشر لأنها قائمة على جهود فردية تعوزها الخبرة والكفاءة.

وإذا كان الماضي قد شهد بروز جملة من العلماء الذين تصدوا لموجات الالحاد السابقة ويردون شبهاتها بذات الأسلوب الذي راجت من خلاله - كالمقالات والكتب- فان موجة الالحاد الجديدة هذه تفتقر الى من يتصدى اليها في مواقع التواصل الاجتماعي في بعض الدول الاسلامية، وذلك لأن كثير من الدعاة والمبلغين الذين يفترض انهم الخط الاول لتفكيك الشبهات الالحادية والدفاع عن حريم الدين هم بمعزل عن هذا العالم الافتراضي بشكل عام.

الصفحات المروجة للإلحاد، نذكر منها على سبيل المثال:

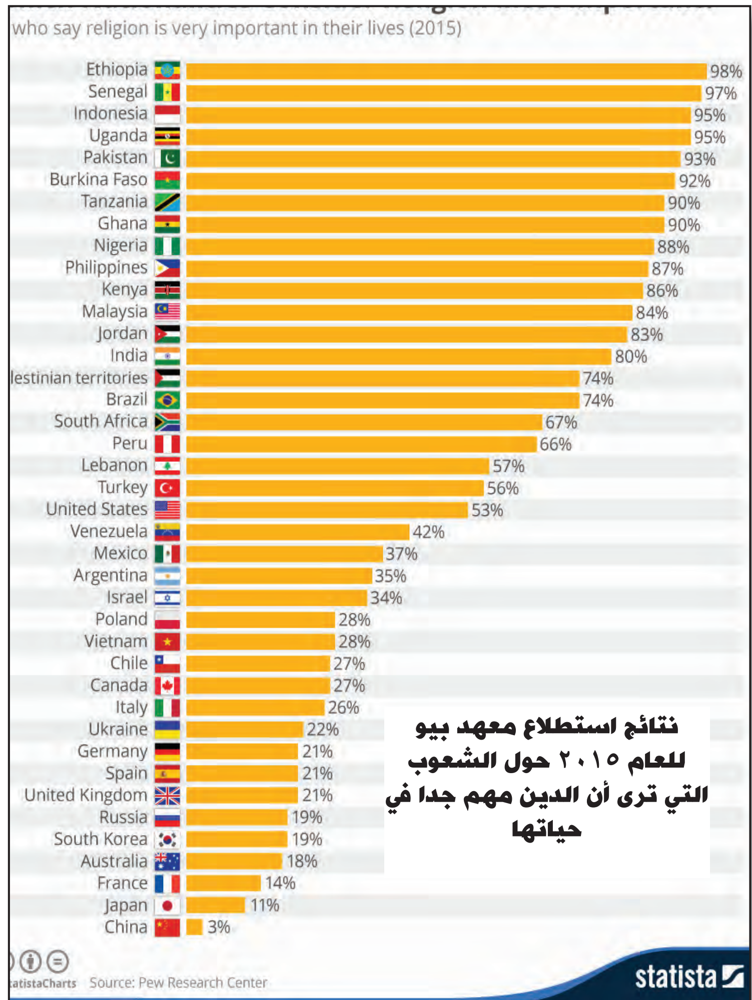
أولا: صفحة المتنورون في العراق والعالم العربي(مجموعة مغلقة)، ومع انها مجموعة مغلقة الا انها حازت على اعجاب ١٧,١٢٩ شخصا لغاية تشرين الاول من عام ٢٠١٥ وارتفع العدد الى ١٩,٠١٧ شخص لغاية شهر حزيران من عام ٢٠١٧، وهذه الصفحة نشيطة جدا في نشر المواضيع التي تهزأ بالدين الاسلامي بخاصة.

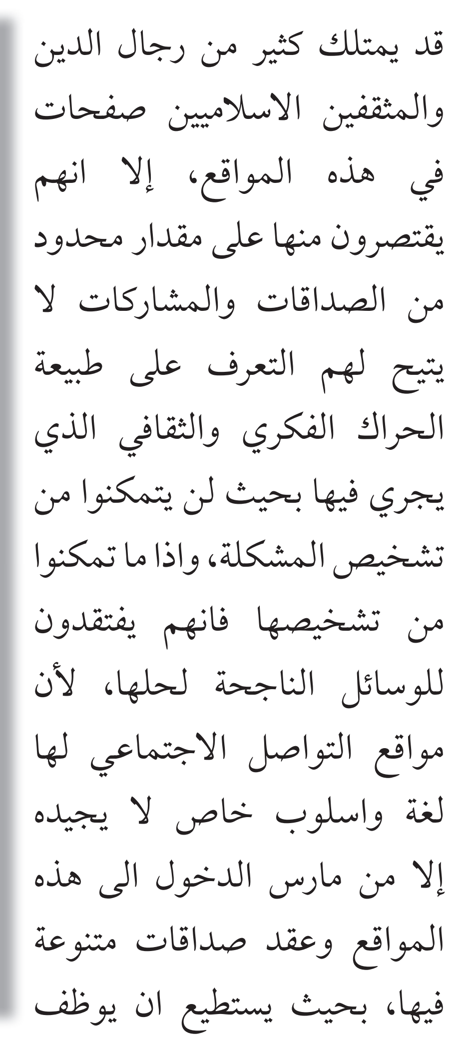
ثانيا: تجمع الملحدين واللادينيين العراقيين(قضية)، وحازت على اعجاب ٢٠,٩٠٠ شخص لغاية تشرين الاول من عام ٢٠١٥، وازداد عدد المعجبين بها الى ٢٣,٧٧٩ شخص لغاية شهر حزيران ٢٠١٧.

ثالثا: صفحة الملحدون العراقيون (مدونة شخصية)، حازت على اعجاب ٦,٤٦٤ شخصا لغاية شهر تشرين الاول من عام ٢٠١٥ وارتفع العدد الى ٩,٨٧٢ شخصا لغاية حزيران ٢٠١٧.

رابعا: شبكة ملحدي بلاد الرافدين(المجتمع)، منشوراتها تصدر باللغة الانجليزية وحازت على اعجاب ١,٢٣٩ شخص لغاية تشرين الاول ٢٠١٥، وارتفع العدد الى ١,٨٨٨ شخصا لغاية حزيران ٢٠١٧.

(١) تابعة لمركز براهين لدراسة الإلحاد والنوازل العقدية السعودي.





قد يمتلك كثير من رجال الدين والمثقفين الاسلاميين صفحات في هذه المواقع، إلا انهم يقتصرون منها على مقدار محدود من الصداقات والمشاركات لا يتيح لهم التعرف على طبيعة الحراك الفكري والثقافي الذي يجري فيها بحيث لن يتمكنوا من تشخيص المشكلة، واذا ما تمكنوا من تشخيصها فانهم يفتقدون للوسائل الناجحة لحلها، لأن مواقع التواصل الاجتماعي لها لغة واسلوب خاص لا يجيده إلا من مارس الدخول الى هذه المواقع وعقد صداقات متنوعة فيها، بحيث يستطيع ان يوظف الردود الفكرية المناسبة بلغة واسلوب مواقع التواصل الاجتماعي لضمان التأثير.

لذا فان من الخطر ان تبقى المؤسسات والناشطون بمعزل عن هذه الظاهرة اعتماداً على محدوديتها، فحتى المتفائلون بقلة اعداد الملحدين في بعض الدول الاسلامية لا ينكرون ضرورة التصدي لخطر الالحاد الجديد قبل ان يستفحل ويعم ضرره[1].

وخلاصة لما تقدم نقول: إن اغلب الشباب المسلم الذي يلجأ الى الالحاد ينطلق أولا من تساؤلات فكرية وبحث ناقص عن الاجوبة، ويرافق ذلك مشاكل الحياة التي

(١) ينظر: مقال بعنوان (هل فعلاً نسبة الإلحاد في العراق ٣٢٪ ؟)- رشيد السراي- نشر في موقع كتابات بتاريخ ٢٠١٤/٥/١١.

تحيط بهم، فهذه الضغوط عندما تجد مستوى متدنيا من الفكر الديني فإنها سرعان ما تخلق في نفوسهم نفورا نفسياً من الدين أو عداء له، لذا فان الطبقة المتعلمة من الشباب هم الأكثر عرضة للانجراف مع تيارات الالحاد، وعلى هذا الاساس أخذت دعوى الالحاد تنتشر في الاوساط المتعلمة من الشباب اكثر من غيرها حيث الجامعات والمعاهد والمدارس ايضاً.

ثالثا: الشباب والشعائر الدينية



تشكل ظاهرة الشعائر الدينية العامة احدى الاسس المهمة في ربط المجتمع الاسلامي ككل بعالم الغيب، كفريضة الحج وصلاة الجماعة وصيام شهر رمضان وزيارة مراقد الاولياء.

ومما يجدر ملاحظته ان المجتمعات الشيعية اكثر تميزا بهذه الظاهرة مقارنة بالمجتمعات التي تتبع المذاهب الاخرى، فلدى الشيعة خلال السنة كثيراً من الممارسات الدينية العامة التي يحرصون على احيائها على اوسع نطاق، وعلى رأسها ذكرى شهادة الامام الحسين عليه السلام.

وذلك نابع من تأكيد أهل البيت عليهم السلام - من خلال احاديث كثيرة- على ضرورة احياء هذه المناسبات وتأكيدهم على الاجر الجزيل الذي يلقاه الفرد المسلم مقابل ذلك، منه ما ورد عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال للفضيل بن يسار: (أحيوا أمرنا فرحم الله من أحيا أمرنا, فإنّ من جلس مجلساً يُحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب)[١].

وقد ضربت مناسبة اربعين الامام الحسين عليه السلام خلال العقود الاخيرة رقما قياسياً في الشهرة والسعة على مر التاريخ، بحيث لا يوجد لدى أي طائفة من طوائف المسلمين ظاهرة توازيها في الضخامة بما في ذلك شعيرة الحج، اذ يزحف ملايين الاشخاص من جنسيات مختلفة سيراً على الاقدام نحو كربلاء ترافقهم الآلاف من مواكب الخدمة، وقد وثقت الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) باللغة الانجليزية هذه الممارسة ضمن ثاني اكبر تجمع بشري سلمي في التاريخ [٢].

وان هذه الشعائر التي تشارك فيها جموع غفيرة من الشباب لها أبعاد ايجابية كبيرة على المستوى العام لأنها تمثل تعبيرا صارخاً عن التزام الامة بقيم الدين الحنيف، ومن المفترض ان يكون لها بعد ايجابي اكبر على مستوى الأفراد ايضاً، إلا انه في المستوى الثاني نلحظ وجود نقاط فراغ مهمة في تحقق هذه الوظيفة.

فالجانب التربوي الذي تتضمنه الشعائر الدينية لا يزال تأثيره مؤقتاً على كثير من الشباب، إذ يقتصر هذا التأثير على زمن تلك الممارسة غالباً، فنرى كثيراً منهم خلال المناسبات الدينية يدخلون في جو من التوجّه الديني سرعان ما يزول بعد انتهائها.

وفقدان هذا التأثير يعود الى اسباب عدة، منها أن هنالك طائفة من الشباب لا تشارك في احياء هذه الشعائر عن رغبة ذاتية، وانما لشعورهم بعدم الراحة في التخلف عن الحركة الاجتماعية العامة التي تنخرط في احياء هذه الشعائر، ومن ثم يأتي نشاطهم

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١٠, باب ٦٦ استحباب البكاء لقتل الحسين وما أصاب أهل البيت عليهم السلام.

(٢) Wikipedia - List of largest peaceful gatherings.



Shiite pilgrims gather for the Arbaeen ceremony around the Imam Hussein Shrine in the central Iraqi city of Karbala

هذا ضمن سياق العقل الجمعي للممارسة الدينية.

وبالنسبة لطائفة اخرى من الشباب فان مشاركتهم في تلك الشعائر يأتي ضمن كسر الروتين في حياتهم اليومية وتحقيق متعة التواصل مع الاصدقاء والاقارب اثناء الاشتراك معهم في هذه المناسبات العامة، ومن ثم يكون المنطلق بالنسبة لهؤلاء غير ديني ضمن اطار الممارسة الدينية.

وهنالك طائفة كبيرة من الشباب ينخرطون في ممارسة هذه الشعائر بهدف نيل الأجر والثواب، لأنهم يفهمون الشعائر بأنها طقوس ظاهرية وممارسات شكلية وليست أساليب تربوية تهدف الى اصلاح النفس وايقاظ الضمير، ومن ثم فان مشاركتهم في تلك الممارسات لا تخلق فيهم التغيير الحقيقي على الصعيد السلوكي.

لذا صرنا نسمع باتهامات تنال من التوجه الديني العام للشيعة ترتكز على مقولة: ان الشيعة جماعة طوباوية تعشق البكاء واللطم من دون أن يكون لذلك اثر على إصلاح الحال وتغيير الواقع.

هنا يأتي دور دعاة الدين في توعية الشباب حول جوهر الشعائر الدينية واهدافها، إذ عليهم ان يجسدوا هذه الشعائر للناس بأنها بودقة تنصهر فيها كل القوميات والاثنيات والتوجّهات، لتتحول تجمّعاتها الى ما يشبه المدن الفاضلة التي يتحاب فيها الجميع ويتحد فيها الجميع ويتعاون فيها الجميع من دون أي مصالح مادية، وان هذه الانعكاسات هي الاهداف التي ينبغي حملها والتمسك بها من الشعائر الدينية، وأن قبول هذه الاعمال واعطاء الاجر الجزيل عليها على المستوى الفردي انما يتحقق عند التقاء اهداف هذه الممارسات مع سلوك الفرد، وهنالك شواهد

عديدة من القرآن ومن السنة تؤكد هذا المعنى بشكل واضح وصريح[١].

من جانب آخر، ينبغي للقائمين على احياء هذه المناسبات أن لا يبالغوا في التركيز على ممارستها خارج نطاق زمنها كما تفعل بعض وسائل الاعلام التي تبث فعاليات الشعائر الدينية على مدار السنة معتبرة أن ذلك نوعاً من الاحياء لذكر اولياء الله، فان مثل هذا الاسلوب يخلق لدى الجماهير نوعا من الملل والنفرة، فهو من جانب يؤدي الى الاشباع شأنه شأن أي حاجة انسانية إذ يؤدي الاكثار منه الى نتائج عكسية، ومن جانب آخر نلحظ أن الذين يركزون على اظهار تلك الممارسات غالبا ما يهتمون بطقوسيتها اكثر من اهتمامهم بغاياتها.

وخلاصة ما يمكن قوله في هذا المجال هو أن الشباب يمتلكون طاقة متفجرة قادرة على تغيير كثير من الوقائع، ويمكن ان تلعب الشعائر الدينية دورا كبيرا في توجيه هذه الطاقة للإصلاح الفردي والاجتماعي، بشرط اذا أُحسن توظيف هذه الشعائر من خلال توعية الجماهير بمقاصدها التي تهدف إحياء القيم الاخلاقية للدين في نفوس الافراد أولاً، وتعبر عن التوجه الديني العام للأمة ثانياً، ودعاة الدين والمبلغون هم المسؤولون الاساسيون عن هذه التوعية.

أما اذا غض الطرف عن المقاصد الحقيقية لهذه الشعائر فان الممارسات الطقسيّة سوف تستوعبها، وستعمل على تفريغ طاقة الشباب في غير محلها، لتتحول الشعائر الدينية في النهاية إلى مؤشر سلبي يوصم به التوجه العام لجماعة الامة.

(١) قال تعالى: (إِنمَّا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ)- المائدة/٢٧، وروي عن الامام الصادق(عليه السلام) انه قال: لا تغتروا بكثرة صلاتهم ولا بصيامهم فإنَ الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش ، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة .وسائل الشيعة: ج١٩ /ص ٦٧.

رابعا: الشباب والمؤسسة الدينية

باستقراءٍ مجمل لطبيعة العلاقة التي تربط الشباب المسلم بالمؤسسات الدينية اليوم نجد أن هنالك نوعاً من التباعد قد يصل في بعض الأحيان الى القطيعة أو العداوة، وهذه الحالة قد أخذت تتزايد مؤخراً بشكل لا يخفى على المتابع اللبيب، ويتجلى ذلك في كثير من المنشورات والتعليقات الخاصة بمواقع التواصل الاجتماعي والتفاعل مع برامج الفضائيات التي تتناول المؤسسات الدينية بالنقد والمراجعة.

وفي الغالب يعود سبب ذلك الى عدم وجود لغة مشتركة بين خطاب المؤسسة الدينية ومتطلبات الواقع الراهن للشباب المسلم من النواحي النفسية والاجتماعية والثقافية والتربوية، مما يؤدي الى عدم وجود جسور اتصال يتحقق معها التأثير المطلوب.

هذا مع الاعتراف بوجود محاولات هنا وهناك لمد مثل هذه الجسور وايجاد لغة خطاب مؤثرة تعيد احياء الصورة المشرقة للاسلام في اذهان جمهور الشباب المسلم بأعمارهم وتوجهاتهم كافة.

ومن هذا المنطلق وتعميماً لهذه المحاولات نجد أن المرجع السيد السيستاني (دام ظله) دعا الى تحسين اداء الخطباء والمبلغين من خلال جملة من النقاط كان أبرزها ما يأتي:

- ان يكون الخطيب مواكباً لثقافة زمانه، وهذا يعني استقراء الشبهات العقائدية المثارة بكل سنة بحسبها واستقراء السلوكيات المتغيرة في كل مجتمع وفي كل فترة تمر على المؤمنين، فان مواكبة ما يستجد من فكر او سلوك او ثقافة تجعل الالتفاف حول منبر الحسين(عليه السلام) حيا جديدا ذا تأثير وفاعلية كبيرة.

- تحرّي الدقة في ذكر الآيات القرآنية او نقل الروايات الشريفة من الكتب المعتبرة او حكاية القصص التاريخية الثابتة، حيث ان عدم التدقيق في مصادر الروايات او

القصص المطروحة يفقد الثقة بمكانة المنبر الحسيني في اذهان المستمعين.

■ ان يترفع المنبر عن الاستعانة بالأحلام وبالقصص الخيالية التي تسيء الى سمعة المنبر الحسيني وتظهره انه وسيلة اعلامية هزيلة لا تنسجم ولا تتناسب مع المستوى الذهني والثقافي للمستمعين.

■ جودة الاعداد، بأن يعنى الخطيب عناية تامة بما يطرحه من موضوعات من حيث ترتيب الموضوع وتبويبه وعرضه ببيان سلس واضح واختيار العبارات والاساليب الجذابة لنفوس المستمعين والمتابعين، فان بذل الجهد الكبير من الخطيب في اعداد الموضوعات وترتيبها وعرضها بالبيان الجذاب سيسهم في تفاعل المستمعين مع المنبر الحسيني.

■ ان تراث اهل البيت (عليهم السلام) كله عظيم جميل ولكن مهارة الخطيب وابداعه يبرز باختيار النصوص والاحاديث التي تشكل جاذبية لجميع الشعوب على اختلاف اديانهم ومشاربهم الفكرية والاجتماعية انتهاجا لما ورد عنهم (عليهم السلام): (إنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا)، ومحاسن كلامهم هو تراثهم الذي يتحدث عن القيم الانسانية التي تنجذب اليها كل الشعوب بمختلف توجهاتها الثقافية والدينية.

■ طرح المشاكل الاجتماعية الشائعة مشفوعة بالحلول الناجعة، فليس من المستحسن ان يقتصر الخطيب على عرض المشكلة كمشكلة التفكك الاسري او مشكلة الفجوة بين الجيل الشبابي والجيل الاكبر او مشكلة الطلاق او غيرها، فان ذلك مما يثير الجدل دون مساهمة من المنبر في دور تغييري فاعل، لذلك من المأمول من رواد المنبر الحسيني استشارة ذوي الاختصاص من اهل الخبرة الاجتماعية وحملة الثقافة في علم النفس وعلم الاجتماع في تحديد الحلول الناجعة للمشاكل الاجتماعية المختلفة ليكون عرض المشكلة مشفوعة بالحل عرضا تغييريا تطويريا ينقل المنبر من حالة الجمود الى حالة التفاعل والريادة والقيادة في اصلاح

المجتمعات وتهذيبها[1].

على أن قصور اداء المبلغين والخطباء هذا لم يغبْ عن وعي الجماهير، فقد ورد في استطلاع للرأي شمل ثمانية دول اسلامية ورد فيه الطرح الآتي: (توجد حاجة الى تجديد اللغة التي يتحدث بها العلماء والدعاة عن الاسلام في خطب الجمعة والمحاضرات والمنابر العامة) فكان غالبية المستجيبين يوافقون على ذلك بنسب متفاوتة اعلاها في كل من المغرب ومصر (٩٠٪) ثم في كل من البحرين وفلسطين (٧٨٪) فالاردن (٧٦٪) فالسعودية (٧٢٪) فالكويت (٦٦٪) فالإمارات (٦٤٪).

الجدول 14	توجد حاجة إلى تجديد اللغة التي يتحدّث بها العلماء والدعاة عن الإسلام في خطب الجمعة والمحاضرات والمنابر العامّة.							
	الأردن	الإمارات	البحرين	السعودية	فلسطين	الكويت	مصر	المغرب
أوافق	76%	64%	78%	72%	78%	66%	90%	90%
لا أوافق	24%	36%	22%	28%	22%	34%	10%	10%

ملاحظة: قد لا يكون ناتج جمع النسبة المئوية 100% بسبب تقريب الأرقام. "أوافق" تضم الإجابتَين: "أوافق بشدّة" و "أوافق إلى حدٍّ ما"، و "لا أوافق" تضم الإجابتَين: "لا أوافق إلى حدٍّ ما" و "لا أوافق إطلاقًا".

استطلاع رأي في ثماني دول اسلامية قامت مبادرة الدراسات المستقبلية في مؤسسة طابةبالتعاون مع مؤسسة زغبي للخدمات البحثية-٢٠١٥

وفي ذات الاستطلاع ورد الطُرح الآتي أيضاً: (ينبغي تحديث المواضيع والقضايا التي يتناولها العلماء والدعاة لتلائم الناس اليوم) فكان هنالك موافقة لدى غالبية المستجيبين في جميع البلدان التي شملها الاستطلاع، وكانت النسبة الاقوى في مصر (٩٣٪) ثم السعودية (٨٥٪) فالكويت (٨١٪) فالمغرب (٧٩٪) فالبحرين (٧٦٪) ففلسطين (٧٥٪) فالإمارات (٦٩٪) فالأردن (٦٣٪)[2].

(١) توصيات عامّة من المرجعية الدينية العليا للخطباء والمبلّغين في شهر المحرّم الحرام لعام ١٤٣٨ هـ - موقع مكتب السيد السيستاني(دام ظله).

(٢) مواقف جيل الشباب المسلم من الدين وعلمائه ١- مبادرة طابة للدراسات المستقبلية ٢٠١٦ - الاستطلاع متوفر على الرابط الاتي http://mmasurvey.tabahfoundation.org/downloads/mmgsurvey_full_arabic_web.pdf

الجدول 15	ينبغي تحديث المواضيع والقضايا التي يتناولها العلماء والدعاة لتلائم الناس اليوم.							
	الأردن	الإمارات	البحرين	السعودية	فلسطين	الكويت	مصر	المغرب
أوافق	63%	69%	76%	85%	75%	81%	93%	79%
لا أوافق	37%	31%	24%	15%	25%	19%	7%	21%

ملاحظة: قد لا يكون ناتج جمع النسبة المئوية 100% بسبب تقريب الأرقام. "أوافق" تضم الإجابتين: "أوافق بشدّة" و "أوافق إلى حدٍّ ما"، و "لا أوافق" تضم الإجابتَين: "لا أوافق إلى حدٍّ ما" و "لا أوافق إطلاقًا".

استطلاع رأي في ثماني دول اسلامية قامت مبادرة الدراسات المستقبلية في مؤسسة طابةبالتعاون مع مؤسسة زغبي للخدمات البحثية-٢٠١٥

على صعيد آخر فإن الوضع الاقتصادي لبعض المنتمين للمؤسسات الدينية له دور في زيادة الهوّة بين الشباب وهذه المؤسسات، إذ أن بعضهم باتوا يحوزون على امكانات اقتصادية كبيرة يتنعّمون بها أمام الملأ، وهذا الحال لا يغيب عن عيون كثير من الشباب الذين يعانون من تدني الحالة المعيشية، وبخاصة أنهم يعتقدون أن على رجال الدين أن تكون سمتهم التقشّف ونبذ الملذات، واذ لا يرون ما يتوقعونه في هؤلاء فإن نقمتهم على المؤسسة الدينية بشكل عام تزداد.

واجمالا فإن نقاط القصور التي تعاني منها المؤسسات الدينية تعد من أهم الاسباب التي تدفع بالشباب المسلم للابتعاد عنها يوما بعد آخر، وما لم تكن هنالك حركة جادة في النقد الذاتي والسعي لتدارك القصور فمن الصعب رأب الصدع الذي نشهد اتساعه بين الشباب والمؤسسات الدينية يوما بعد آخر.

خاتمة:

بتتبعنا لمجمل أسباب تفاقم الازمات التي يعاني منها الشباب المسلم نجد انها تنطلق من عاملين اساسيين هما: العامل الثقافي والعامل الاقتصادي بنسب متفاوتة.

ويتمثل العامل الثقافي: بتشوّه المنظومة الثقافية لدى الشاب بسبب الغزو الثقافي للعولمة الذي جاء الى المجتمعات الاسلامية عبر وسائل الاعلام الحديثة، والمشكلة في أن هذا الغزو جاء ولمّا لم تكن الاجيال المسلمة مهيأة له بشكل صحيح بسبب تخلف المؤسسات التربوية والتعليمية عن اداء دورها التنموي الفاعل، مما ولّد لدى ابناء المجتمع فجوة حضارية سرعان ما ملأتها الثقافة الغربية من خلال وسائل الغزو الثقافي للعولمة.

ويتمثل العامل الاقتصادي: بطغيان الفقر والبطالة الذي يساعد على نمو الازمات النفسية، وبخاصة لدى الشباب الذين يطمحون الى تأسيس حياة مستقرة في مطلع حياتهم، فضلا عن خسارة الطاقات الشبابية الابداعية بسبب هدر تلك الطاقات في السعي وراء اساسيات الحياة كالمأكل والملبس والمسكن، وتدهور الوضع الاقتصادي ناتج عن فشل الاداء الحكومي في البلدان الاسلامية بشكل عام، اضافة الى تقصير كثير من المؤسسات الاهلية التي تقدر على تعويض جانب من الفشل الحكومي بخلق بدائل عمل للشباب المسلم العاطل.

في ظل هذه البيئة الفاشلة ثقافيا واقتصاديا يُصاب أكثر الشباب المسلمين بفقدان الاشباع النفسي والجسدي، مما يولد لديهم قلقاً وعدم استقرار في بيئتهم، وباختصار فهم يفقدون «أمنهم النفسي» الذي يولّد معظم الازمات السلوكية التي تعرضنا اليها في هذا البحث، فان (القلق الذي يسبب للفرد اضطرابات نفسية متعددة سببه عدم الشعور بالأمن النفسي)[1] .

(١) الامن النفسي (مفهومة ، متطلباته و النظريات المفسرة له)- موقع كلية التربية للعلوم الانسانية- نشر بتاريخ ٢٠١٦/٧/٢٦.

والأمن النفسي يقع في قمة أولويات التكامل الانساني، ومن وجهة نظر قرآنية فإن قمة ما يصل اليه الانسان في وجوده التكاملي هو بلوغه درجة الاطمئنان النفسي، قال تعالى: (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً)(سورة الفجر/٢٧-٢٨).

إن فقدان الامن النفسي يؤدي الى عرقلة جميع انشطة الحياة واحداث خلل في توازن الافراد، لأن المحرك والموجّه للسلوك الانساني هو مجموعة الحاجات الانسانية فالنشاط الذي يقوم به الفرد ما هو الا استجابة لدوافعه وحاجاته، فان الفرد يغير سلوكه اما للحصول على مزيد من اشباع الحاجات او تجنبا لنقص في اشباع الحاجات[١].

وقد اشرنا في أثناء هذا البحث الى أن التخلّف الحضاري والعوز الاقتصادي للشاب المسلم يجعله لقمة سائغة بيد الاختراق الثقافي للعولمة، لأن عدم الاشباع النفسي والجسدي يدفعه دائماً للبحث عن بدائل للإشباع، وفي وضعنا المعاصر فان وسائل الاعلام الخاصة بالعولمة توهم الشاب المسلم بأن الحضارة الغربية القائمة أساساً على ثقافة الاستهلاك هي الحل الذي يحقق له الاشباع ومن ثم الطمأنينة والاستقرار.

وفي الحقيقة أن ثقافة الاستهلاك لا تزيد الافراد إلا اضطراباً وبعداً عن الأمن النفسي، لأن (الإنسان الاستهلاكي إنسان يدور ويلف حول الأشياء منشغلا كليا بالسعي نحو امتلاكها، إن سيادة هذا المفهوم لا بد من أن ينتهي بالإنسان إلى الدمار النفسي وضنك العيش، لأنه إذا دخل في إيقاع الاستهلاك وامتلاك الأشياء فإن هذا الإيقاع سيطحنه ويفنيه ويفرغ حياته من المعنى والقيم)[٢].

وعليه فإن ثقافة الاستهلاك تعد وقودا ممتازاً لزيادة القلق وفقدان الأمن النفسي وليس العكس.

---

(١) ينظر: (الامن النفسي ودافعية الانجاز)- م.م. سهام عريبي زايد- جامعة بغداد- مجلة كلية الآداب- العدد ٨٣.

(٢) ثقافة الاستهلاك- مصدر سابق.

ومن وجهة نظر اسلامية نجد أن القرآن يصرح بأن الإيمان والعمل الصالح هو الذي يحقق للإنسان أمنه النفسي ويعبرّ عنه بالحياة الطيبة إذ يقول: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) (النحل- ٩٧)، وقد روي أن الامام علي بن ابي طالب عليه السلام عندما سُئل عن «الحياة الطيبة» في هذه الآية قال: (هي القناعة)[١]، والقناعة هي النقيض التام لثقافة الاستهلاك كما هو واضح، لذا فانه بالقناعة يتحقق الأمن النفسي وبثقافة الاستهلاك يُفقد هذا الأمن.

وعليه يثبت على المستويين الديني[٢] والتجريبي بأن الانسان المرتبط بعالم الغيب ارتباطاً واعياً من اكثر الأفراد اطمئناناً وأمناً نفسياً، ويعدُّ الفيلسوف الأمريكي (وليم جيمس) من العلماء الأُوَل الذين نادوا بأهمية الدين في الصحة النفسية حيث قال: (ان أعظم علاج للقلق هو الايمان)[٣].

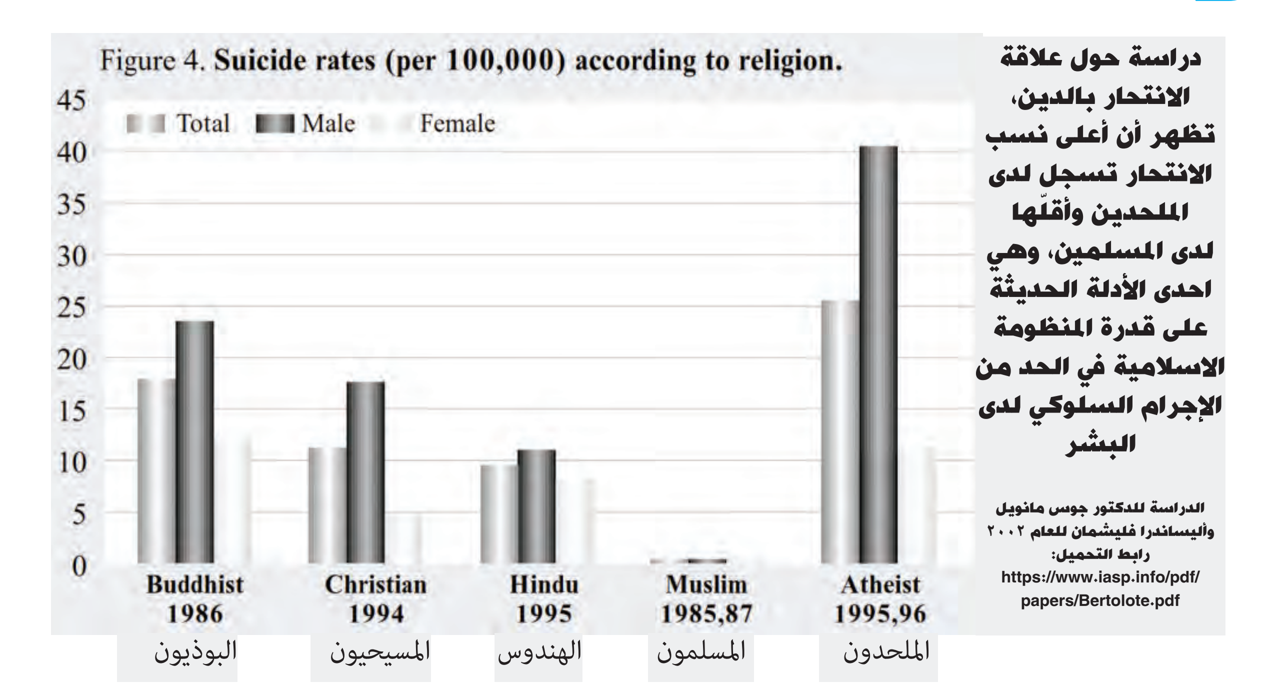
ومحصلة ذلك أن استنقاذ الشباب المسلم من جذور ازماتهم المتلاحقة التي يعيشونها في ظل العولمة لا يكون إلا من خلال تنشيط المنظومة الفكرية والثقافية للدين الاسلامي، وبخاصة أن هذه المنظومة هي الهوية الحضارية للشعوب المسلمة وامتدادها التاريخي، فهذه المنظومة قادرة بالفعل على الوقوف بوجه العولمة وثقافتها الاستهلاكية.

علماً أن المنظومة الفكرية والثقافية للدين الاسلامي لا يقتصر تأثيرها على معالجة المشكلة الثقافية التي تواجه الشباب، وانما يمتد تأثيرها الى المشكلة الاقتصادية، فالدين الاسلامي بتربيته للإنسان على مفاهيم مثل: التوكل والسعي والقناعة والصبر والرضا بالقضاء يعمل على تخفيف الآثار النفسية الخطيرة التي يولدها العوز الاقتصادي لدى الشاب وتحميه من الوقوع في الجرائم السلوكية بسبب هذا العوز.

(١) نهج البلاغة - بَابُ الْمُخْتَارِ مِنْ حِكَمِ أميرالمؤمنين عليه السلام وَمَوَاعِظِهِ - الشريف الرضي- الحديث ٢٢٠

(٢) قال تعالى: ألا بذكر الله تطمئن القلوب (الرعد ٢٨).

(٣) الامن النفسي (مفهومة ، متطلباته و النظريات المفسرة له)- مصدر سابق.



ولكن المشكلة التي تُعيق تنشيط المنظومة الفكرية والثقافية للدين الاسلامي في الشباب المسلم هي: غياب التمثيل الحقيقي للاسلام في المجتمعات الاسلامية.

والتمثيل الحقيقي للاسلام لا يكون إلا إذا أدّى دعاة الدين دورهم بشكل سليم، ولن يتم تأدية هذا الدور إلا إذا أقاموا منظومتهم الفكرية والدعوية على مبدأين اساسيين:

المبدأ الاول: الانطلاق من مبدأ مواكبة الاسلام لتطورات الحياة على مرّ العصور ومرونته لاستيعاب كل جديد مع ثبوت مبادئه الاساسية على الحقائق الكونية الثابتة.

المبدأ الثاني: الإنطلاق من مبدأ الاخلاق الاسلامية والمنهج الانساني للإسلام على المستويين الفردي والاجتماعي.

فبالنسبة للمبدأ الاول: نجد أن الدين الاسلامي لا يمكن بحال من الاحوال أن يتخلف عن واقع المجتمعات البشرية في أي زمان، لأنه إن تخلف فسيكون بمعزل عن حياة الناس ليتحول شيئاً فشيئاً الى مجرد طقوس تنحصر بين الفرد وربه، في حين أن الرسالة السماوية الخاتمة جاءت لتؤدي دورها في كل وقت ومكان.

ولا يصح في هذا المجال الإشكال القائل: "بأن احكام الدين ثابتة لا يمكن تغيرها لمواكبة متغيرات العصر" لأن هذا الاشكال ناشئ عن الخلط بين مبادئ الاسلام التي تتعلق بالحقائق الكونية الثابتة وبين نظامه التشريعي المرن.

يقول الشيخ مرتضى مطهري: (على صعيد الاسلام: فخلود قوانينه وثباتها هو أمر مفروغ منه بل ومن ضروريات الاسلام مع صفة المرونة التي تخص نظامه التشريعي والتي يتحلى بها الاسلام ذاتياً بحكم طبيعته الحركة الفاعلة التي هي من خصائص نظامه التشريعي، قد اعتبرتا واحدة في حين انهما منفصلتان تماماً.

ولقد اثارت عظمة الفقه الاسلامي في قابليته الفذة على تلبية حاجات كل عصر اعجاب البشرية جمعاء، علما ان المسائل المستجدة لا تخص عصرنا فحسب بل كانت تظهر في كل عصر منذ بزوغ فجر الاسلام حتى القرن السابع والثامن، حيث كانت الحضارة الاسلامية في توسع مضطرد ويتمخض عن مسائل مستحدثة وحاجات مستجدة أدى الفقه الاسلامي دوره الخطير خلالها محافظا على اصالته دون الاستعانة بمصادر غير اسلامية، وان فقدان التوجه الاسلامي الهادف خلال القرون الاخيرة لدى المتصدين في العالم الاسلامي من جهة وانبهار المسلمين بتقدم الغرب وتطوره من جهة اخرى قد افضيا الى التصور الموهوم بأن الاسلام لا يصلح لعصرنا الجديد هذا.

وأما على صعيد متطلبات العصر: فان المغالطة فيها تكمن في اعتبار الزمن قادراً على ان يبلي كل شيء بما فيها الحقائق الكونية الثابتة، في حين إن الذي يبلى ويتجدد في الزمن هو المادة والتركيبات المادية مثل الجماد والنبات والحيوان والانسان وهذه كلها محكومة بالفناء والزوال أما الحقائق الكونية فهي ثابتة لا تتغير)[1].

وبالنسبة للمبدأ الثاني: فيجب التركيز على القيم الاخلاقية الفردية والاجتماعية - أو ما يسمى بأحكام العِشرة- التي اولاها الاسلام أيمّا اهتمام، وقدمها في كثير من

(١) الاسلام ومتطلبات العصر - الشيخ مرتضى مطهري- ص ١٤.

الأحيان على الاحكام العبادية التي شرعها للمسلمين[١].

ولكن مما يؤسف له أن القيم الاخلاقية للإسلام بقيت في المخيال الاسلامي ضمن مرتبة متأخرة عن الأحكام الفقهية الخاصة بالممارسات الشكلية للعبادات والمعاملات، في حين ان احكام العبادات والمعاملات ليست إلا وسيلة تهدف إلى تحلية الفرد المسلم بمكارم الاخلاق، وقد روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قوله: (إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق)[٢]، وهذا هو السبب الأساس المسؤول عن غياب روح الاسلام عن المجتمعات الاسلامية مع إن هذه المجتمعات ما تزال تتمسك بأداء الشعائر الدينية المتعارفة، وهذا الحال المؤلم يأتي على رأس العوامل الاساسية التي تدفع الشباب المسلم نحو «الالحاد القيمي» والتشكيك في المنظومة الاخلاقية التي ينتجها التدين والذي أشرنا اليه في مطلع هذا الفصل.

إن تركيز دعاة الدين على نشر التعاليم الاخلاقية للاسلام بين الناس بعد تجسيد هذه التعاليم بشكل صادق على سلوكهم سوف يعيد بناء مجتمع متماسك يهيئ بيأة يستعيد فيها الشباب المأزوم وعيه ويضع قدمه على جذوره الحضارية من جديد.

وبعبارة أخرى: إن الاهتمام بالقيم الاخلاقية على المستويين الفردي والاجتماعي سوف يعيد للجيل المسلم رشده ويجنبه السعي وراء ثقافة الاستهلاك التي تهدف الى تحقيق عبودية الناس للأشياء، وذلك من أهم الوسائل التي تعين الشباب على تخطي

---

(١) روي عن أنس بن مالك قال: قلت: يا رسول الله أرغيف أتصدق به أحب إليك أم مائة ركعة تطوعا؟ قال : «رغيف تتصدق به أحب إلى من مائتي ركعة تطوعا». قال: ترك لقمة من الحرام أحب إليك أم ألف ركعة تطوعا؟ قال: «ترك لقمة من حرام أحب إلي من ألفي ركعة تطوعا». قال : قلت يا رسول الله: ترك الغيبة أحب إليك أم ألف ركعة تطوعا؟ قال : « ترك الغيبة أحب إلي من عشرة آلاف ركعة تطوعا» . قال : قلت يا رسول الله : قضاء حاجة الأرملة أحب إليك أم عشرة آلاف ركعة تطوعا ؟ قال : « قضاء حاجة الأرملة أحب إلي من ثلاثين ألف ركعة تطوعا « . قال : قلت : يا رسول الله الجلوس مع العيال أحب إليك أم الجلوس في المسجد ؟ قال : « الجلوس ساعة عند العيال أحب إلي من الاعتكاف في مسجدي هذا « . قال : قلت يا رسول الله : النفقة على العيال أحب إليك أم النفقة في سبيل الله ؟ قال : « درهم ينفقه الرجل على العيال أحب إلي من ألف دينار في سبيل الله « . قال : قلت : يا رسول الله : بر الوالدين أحب إليك أم عبادة ألف سنة ؟ قال : « يا أنس جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا ، فبر الوالدين أحب إلي من عبادة ألفي ألف سنة « - تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي/ باب النفقة على العيال.

(٢) مجمع البيان ج ١: ص ٣٣٣.

الازمات، لأن ثقافة الاستهلاك اذا بقيت هي السائدة في المجتمع فإنها ستكون أهم العوائق التي تشوش أمام الأجيال طريق الاستقامة والصلاح.

وبموازاة ذلك، يجب على دعاة الدين أن يكشفوا أمام الشباب المسلم الوجه القبيح للمجتمع الغربي المنقاد لثقافة الاستهلاك، والتركيز على الأزمات التي يعيشها المجتمع الغربي بسبب تجذر العولمة في نسيجه.

ولأداء المهام الدعوية بشكل الصحيح، لابد لدعاة الدين من الاطلاع على العلوم الأكاديمية الحديثة التي لها علاقة شديدة بأهداف الاسلام التربوية على المستوى الفردي والاجتماعي، وبالذات علم النفس وعلم الاجتماع، ذلك أن الشباب المسلم اليوم يتأثر كثيرا بالمنهج الأكاديمي ونتائج أبحاثه، ومن المهم الاستفادة من هذا المنهج ونتائجه لبيان عظمة حضارة الاسلام في قدرتها على بناء مجتمع مثالي في كل زمان وفي أي مكان.

يقول المرجع السيستاني(دام ظله): (انَّنا عندما نريد أن نُقنع إنساناً بفكرةٍ معيّنةٍ فالطريق الأفضل لإقناعه أن نستخدم معه الأسلوب الذي يستخدمه ويتفاعل معه في إثبات أفكاره الأخرى وفي إثبات الحقائق الأخرى لا أن نستخدم معه الأسلوب المتعارف عندنا في مجال الإثبات، بل الأسلوب المعهود لديه في مجال إثبات الحقائق والأفكار، فلأجل ذلك يحتاج المبلغون للدين وبيان حقائقه وشرح معتقداته من خلال المعاهد والمدارس والمنابر والمساجد أن يستخدموا الأسلوب العلميّ الحديث الذي هو معهودٌ لدى الشاب في دراسته الجامعيّة في إثبات الحقائق والأفكار الأخرى، فإنَّ النفوذ إليه من خلال هذا الأسلوب، ومن خلال هذا المنهج الذي يعتقد بصوابيته ونجاحه في إثبات الواقع طريقٌ ناجحٌ ومؤثِّرٌ وفعّالٌ في إثبات الحقائق الدينيّة، وأمّا التركيز على الأسلوب الذي كان مُتَّبعاً لدى المبلغين في العقود الماضية في إقناع الأجيال الجديدة بالمعتقدات الدينيّة فهو طريقٌ قليل الجدوى في كثيرٍ من الحالات، قال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ

الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)[١].

الجدير ذكره أن العمل الدعوي لا يتم في هذا العصر إلا من خلال الاعلام ووسائله الحديثة، بشرط أن يكون العمل الاعلامي مبنيا على أسس مهنية، لأن الاعلام "مهنة" لها قواعد واصول ولا بد من مراعاتها لتحقيق الهدف من الجهد الاعلامي، ولن يكون لدينا إعلاما مهنياً إلا اذا كان لدى الكوادر الاعلامية المتخصصة مساحة كافية لانتاج رسائل اعلامية مؤثرة لا تحجّمها رغبات الجهات المموّلة، وإلى ذلك أشار الدكتور (لطيف القصاب)[٢] قائلا: (مما لا يخفى على المشتغلين في الحقل الاعلامي أن القناة إذا ما أرادت تحقيق نسب مقبولة من النجاح أن تعمل ولو ظاهريا على عزل رغبات وسياسات جهات التمويل عن الخط التحريري ... وذلك من خلال اعتماد اليات التوازن والموضوعية والابتعاد عن المباشرة والسطحية في التعامل مع المتلقي)[٣].

وختاماً لا بد للمهتمين بشأن الشباب أن يضعوا نصب اعينهم أهمية تحسين الوضع الاقتصادي لدى الشباب، فمما تقدم يتبين لنا أن تحسين الوضع الاقتصادي أحد الركائز التي يقوم عليها الوضع الثقافي لهم، لذا فان ايجاد فرص العمل للشباب في المجتمع الاسلامي يجب ان يكون من أولويات المؤسسات الخيرية والثقافية والدينية لتعويض التقصير الحكومي في هذا المضمار، وأن يكون ذلك في رؤيتها جزء لا يتجزأ من نشاطها الارشادي الموجّه للشباب المسلم.

(١) (هذا ما تحدث به السيد السيستاني حول ظاهرة «تراجع الشباب عن دينهم»)- السيد منير الخباز- موقع الائمة الاثنا عشر- نشر بتاريخ ٢٠١٨/٣/٢٩.

(٢) باحث اكاديمي ومسؤول دار اللغة العربية في إعلام العتبة الحسينية المقدسة.

(٣) الفضائيات الدينية والإعلام الناجح- د. لطيف القصاب- مؤسسة النور للثقافة والاعلام- نشر بتاريخ ٢٠٠٨/٦/٢٢.



تطبيق المركز الاسلامي
للدراسات الاستراتيجية

www.iicss.iq
info@iicss.iq

الاختراق الثقافي